

أَخْبَارُ الْجَوَارِحِ

مِنْ كِتَابٍ

الْكَامِلِ

فِي اللَّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ

تَأَلِيفِ

الإمامِ أَبِي العَبَّاسِ المَبَرِّدِ

دار الفکر

**اهـءاءء 2005**

**ا.ء.ءءاس ءءءءءءءء**

**ءاءءء الإسءءءءءءءء**

أَخْبَارُ الْجَوَاهِرِ

مِنْ كِتَابٍ

الْبُكَامِ

فِي اللَّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالنَّحْوِ وَالْتَصْرِيفِ

تَأَلِيفِ

الإمام أبي العباس البغدادي



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة الكامل

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال : حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قراءةً عليه قال : قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

الحمد لله حمداً كثيراً يبلغُ رضاه ، ويوجب مزيده ، ويجيرُ من سخطه ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلاة تامة زاكية ، تؤدِّي حقه ، وتزلفه عند ربه .

قال أبو العباس : هذا كتاب ألقناه يجمع ضرباً من الآداب ، ما بين كلام مشور ، وشعرٍ مرصوف ، ومثلٍ سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة .

والنية أن تُفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مُستغليق ، وأن تشرح ما يعرضُ فيه من الإغراب شرحاً شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ، وعن أن يُرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً ، وبالله التوفيق والجول والقوة ، وإليه مفزعنا في درك كل طلبية ، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عملٍ بطاعته ، وعقدٍ برضاه ، وقولٍ صادقٍ يرفعه عملٌ صالح ، إنه على كل شيء قدير .



## أخبار الخوارج

قال أبو العباس : ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّةِ أنَّ الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي من الأزد تكراً ذلك ، فأبوا من سواه ، ولم يريدوا غيره . فلما رأى ذلك منهم قال : يا قوم ! استئيتوا الرأي . أي دعوهُ يغب . وكانت يقول : نعوذُ بالله من الرأي الدُّبْرِيِّ .

قوله « استئيتوا الرأي » يقول : دعوا رأيكم فات عليه ليله ثم تعقبوه ، يقال « بيت فلان كذا وكذا » إذا فعله ليلاً . وفي القرآن : ( إذ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ) أي أداروا ذلك ليلاً بينهم . وأنشد أبو عبيدة :

أتوني فلم أرض ما بيئتوا      وكانوا أتوني بأمرٍ نكراً  
لأنكح أيتهم منثديراً      وهل ينكح العبد حرّاً حرّاً

« والرأي الدُّبْرِيُّ » : الذي يعرض من بعد وقوع الشيء ، كما قال جرير :

ولا يعرفون الشرَّ حتى يُصيَّبهم      ولا يعرفون الأمر إلا تدبيراً  
وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ، ولسان وشجاعة ، وإنما لجؤوا إليه وخلصوا معدان الإيادي لقول معدان :

سلامٌ على من بايع الله شاربياً      وليس على الحزب المقيم سلامٌ  
فبرئت منه الصُّفْرِيَّةُ ، وقالوا : خالفت ، لأنك برئت من القعد .  
قال أبو العباس : والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ، ومن ذي المعصية الظاهرة .

وحدثت: أن واصيل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رقيقة ، فأحسوا الحوارج ، فقال واصل لأهل الرقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا ودعوني وإيَّام ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقالوا له : شأنك ، فخرج إليهم ، فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ، ليستمعوا كلام الله ، ويتعرفوا حذوده ، فقالوا : قد أجرناكم ! قال : فعلمونا ، فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين ، فإنكم إخواننا ! قال : ليس ذلك لكم ، قال الله تبارك وتعالى : ( وإن أحد من المشركين استجرك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ) فأبلغونا مأمننا ، فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن .

وذكر أهل العلم من غير وجه : أن علياً رضي الله تعالى عنه لما وجه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم ، قال لهم : ما الذي نقيم على أمير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً ، فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان ، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له ! فقال ابن عباس لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقرب على نفسه بالكفر . قالوا : إنه قد حكم ، قال إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد ، فقال عز وجل : ( يحكم به ذوا عدل منكم ) فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين ؟ فقالوا : إنه قد حكم عليه فلم يرض . فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان ، لما خالفا نذبت أقاويلها . فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ! فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم : ( بل هم قوم خصمون ) وقال عز وجل : ( وتندبر به قوماً لداً ) .

★ ★ ★

والشيء يذكرك بالشيء ، وجاء في الحديث : أن رجلاً أعرابياً أتى عمرَ  
 بنَ الخطاب رضي الله عنه فقال : إني أصبتُ ظلياً وأنا مُحرمٌ ؟ فالتفتَ عمرُ  
 إلى عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ ، فقال : قل ، فقال عبدُ الرحمن : يُهدي شاةً ،  
 فقال عمرُ : أهدِ شاةً ، فقال الأعرابيُّ : واللهِ ما درى أميرُ المؤمنينَ ما فيها  
 حتى استفتى غيرهَ ! فخففه عمرُ رضوان الله عليه بالدرة ، وقال : أتقتلُ في  
 الحرمِ وتغيبُ الفتيا ؟ ! إن الله عزَّ وجلَّ قال : ( يحكمُ به ذوا  
 عدلٍ منكم ) فأنا عمرُ بن الخطاب ، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ .

قال أبو العباس : وفي هذا الحديثُ ضربٌ من الفقه : منها ماذكروا  
 أن عبد الرحمن بن عوفٍ قال أولاً ، ليكون قولُ الإمام حكماً قاطعاً .  
 ومنها أنه رأى أن الشاةَ مثلُ الظبيةِ ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ( فجزاءٌ  
 مثلُ ما قتلَ من النعمِ ) . وأنه لم يسأله : أخطأَ قتله أم عنداً ؟  
 وجعل الأبرين واحداً . ومنها أنه لم يسأله : أقتلتَ صيداً قبله وأنت مُحرمٌ ؟  
 لأن قوماً يقولون : إذا أصابَ ثانيةٌ لم يحكمُ عليه ، ولكننا نقولُ له :  
 اذهبُ فاتقِ اللهَ ، لقول الله تبارك وتعالى : ( ومن عادَ فينتقمُ اللهُ منه ) .

قال أبو العباس : من طريفِ أخبارِ الخوارجِ قولُ قطري بن الفجاءةِ  
 المازنيِّ لأبي خالد القنانيِّ ، وكان من قعدِ الخوارجِ :

وما جعلَ الرحمنُ عذراً لقاعدِ  
 وأنتَ مُقيمٌ بينِ لصٍ وجاحِدِ

أبا خالدٍ يا نفيرُ فلستَ بخالدِ  
 أتزعمُ أنَ الخارجيَّ على الهدى

فكتب إليه أبو خالدٍ :

بنائي ، إنهن من الضعافِ  
 وأن يشربنَ رنقاً بعدَ صافِ  
 فتنبو العينُ عن كرمِ عجاجِ  
 وفي الرحمنِ للضعفاءِ كافِ  
 وصارَ الحيُّ بعدك في اختلافِ

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حباً  
 أحاذرُ أن يَرَيْنَ الفقرَ بعدي  
 وأن يعرَيْنَ إن كسي الجواري  
 ولولا ذلكَ قد سوَّمتُ مهري  
 أبانا من لنا إن غبتَ عنا

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وقد كانت رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم ، قال لما قتل أبو بلال ، وهو مرداس بن أدية ، وهي جدته ، وأبوه حدير ، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد ثمانية بن عيم ، قال عمران بن حطان :

لقد زاد الحياة إليّ بغضاً  
أحاذرُ أن أموت، على فراشي  
ولو أنني علمتُ بأنّ تحنفي  
فمن يك همّة الدنيا فإني  
وحبّاً للخروج أبو بلال  
وأرجو الموت تحت ذوى العوالي  
كحنف أبي بلال لم أبال  
لها والله رب البيت قالي

وفيه يقول :

يا عين بكّي لمرداس ومصرعه  
تركتني هائماً أبكي لمرزني  
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه  
إما شربت بكأس دار أولها  
فكل من لم يذوقها شارب عجلأ  
يارب مرداس اجعلني كمرداس  
في منزل موحش من بعد إيناس  
ما الناس بعدك يا مرداس بالناس  
على القرون فذاقوا جرعة الكاس  
منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

★ ★ ★

قال أبو العباس : وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثني العباس ابن الفرغ الريامي عن محمد بن سلام : أنه لما أطرده الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حي انتسب نسباً يقرب منه ، ففي ذلك يقول :

تزلنا في بني سعد بن زيد  
وفي لحم وفي أدد بن عمرو  
وفي عك وعامر عوثنان  
وفي بكر وحى بني الغدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامي ، وكان روح يقري الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده ، فانتسب

له من الأزد . وفي غير هذا الحديث : أن عبد الملك ذكر روحاً فقال :  
 من أعطي مثل ما أعطي أبو زرعة؟ أعطي فيقه أهل الحجاز، ودعاة أهل العراق ،  
 وطاعة أهل الشام . ورجع الحديث : وكان روح بن زنباع لا يسمع  
 شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان  
 إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فقال إن لي جاراً من الأزد  
 ما أسمع من أمير المؤمنين خبيراً ولا شعراً إلا عرفته وزاد فيه ، فقال :  
 خبرني ببعض أخباره ، فخبّره وأنشده ، فقال : إن اللغة عدنانية ،  
 وإنني لأحسبه عمران بن حطان ، حتى تذاكروا ليه قول عمران بن حطان  
 يمدح ابن ملجم لعنه الله :

ياضربة من تقي ما أراد بها      إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً  
 إنني لأذكره حيناً فأحسبه      أوفى البرية عند الله ميزاناً

قلبه الفقيه الطبري فقال :

ياضربة من شقي ما أراد بها      إلا لهدم من ذي العرش بنيانا  
 إنني لأذكره يوماً فالعنه      لها وألعن عمران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطيب يردُّ على عمران بن حطان :

ياضربة من غدور صار ضاربها      أشقى البرية عند الله إنسانا  
 إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه      وألعن الكلب عمران بن حطانا

فلم يدور عبد الملك لمن هو ، فرجع روح إلى عمران بن حطان ، فسأله  
 عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن  
 ملجم قاتل علي بن أبي طالب ، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال  
 له عبد الملك : ضيفك عمران بن حطان ، اذهب فجنني به ، فرجع إليه ،  
 فقال : إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك ، قال له عمران : قد أردت أن  
 أسالك ذلك فاستحييت منك ، فامض فإني بالأثر ! فرجع روح إلى عبد

الملك فأخبره ، فقال له عبدُ الملك : أما إنك سترجعُ فلا تجده ! فرجع وقد ارتحل عمرانُ ، وخلف رُقعةً فيها :

ياروحُ كم من أخي مئوى تزلتُ به  
حتى إذا خفتهُ فارقتُ منزله  
قد كنتُ جارك حولاً ما تروءني  
حتى أردتُ بي العظمى فأدركني  
فاعذِرْ أخاك ابن زنباعٍ فإن له  
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا بين  
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ  
لكن أبتُ لي آياتُ مطهرةٌ

قد ظنَّ ظنك من لحمٍ وغسان  
من بعدِ ما قبل عمرانُ بن حطان  
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جان  
ما أدرك الناس من خوف ابن مروان  
في النائباتِ مُخطوباً ذاتَ ألوان  
وإنت لقيتُ معديةً فعدتاني  
كنتَ المُقدّم في سرّي وإعلاني  
عند الولاية في طه وعمران

ثم ارتحل حتى تزل بزُفر بن الحُرث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، فانتسب له أوزاعياً ، وكان عمرانُ يُطيلُ الصلاة ، وكان غلماناً من بني عامرٍ يضحكون منه ، فأناه رجلٌ يوماً يمتن رآه عند روح بن زنباعٍ فلم عليه ، فدعاه زُفرٌ فقال : من هذا ! فقال : رجلٌ من الازد رأيتُه ضيفاً لروح بن زنباعٍ ، فقال له زُفرٌ : يا هذا ؟ أزدياً مرةً وأوزاعياً مرةً ؟ ! إن كنت خائفاً آمناك ، وإن كنت فقيراً جبرناك ، فلما أمسى هرب وخلف في منزله رُقعةً فيها :

إن التي أصبحتُ يعني بها زُفرٌ  
أعيتُ عيائاً على روح بن زنباع  
قال أبو العباس : أنشدني الرياشيُ .  
أعيا عياها على روح بن زنباع ،  
وأنكره كما أنكرناه ، لأنه قصر المدود ،  
وذلك في الشعر جائرٌ ، ولا يجوز  
مدُّ المقصور .

ما زال يسألني حولاً لأخبره  
والناسُ من بين مخدوعٍ وخداع  
حتى إذا انقطعتُ عنى وسائله  
كف السؤال ولم يُولع بإهلاعي

فاكفّف كما كفّ عني إنني رجلٌ  
واكفّف لسانك عن لومي ومساتي  
أما الصلاة فإني غيرٌ تاركها  
أكرم بروح بن زباعر وأسرته  
جاورتهم سنة فيما أمر به  
فاعمل فإنك منعي بواحدة  
إما صميمٌ وإما فقعة القاع  
ماذا تريدُ إلى شيخٍ لأوزاع  
كلُّ امرئٍ للذي يُعنى به ساعي  
قومٌ دعا أوليهم للعلى داعي  
عرضي صحيحٌ ونومي غيرٌ تهجاعي  
حسبُ اللبيب بهذا الشيب من ناعي

ثم ارتحل حتى أتى عمان ، فوجدهم يُعظّمون أمر أبي بلال ويُظهرونه ،  
فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عمان ، فارتحل  
عمرانٌ هارباً ، حتى أتى قوماً من الأزديين فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله  
بهم يقول :

نزلنا بحمد الله في خير منزلٍ  
نزلنا بقومٍ يجمعُ الله شملهمُ  
من الأزديين إن الأزديين أكرمُ أمرةٍ  
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كعشريةٍ  
أم الحيّ قحطانٍ ؟ فتلکم سفاهةٌ  
وما منها إلا يُسرٌ بنسبةٍ  
فنحنُ بنو الإسلام والله واحدٌ  
نسرٌ بما فيه من الأئس والحقر  
وليس لهم عودٌ سوى المجد يُعتمر  
يمانيةٌ طابوا إذا نُسب البشرُ  
أتوني فقالوا من ربيعة أو مضرُ  
كما قال لي روحٌ وصاحبه زفرُ  
تقرّبني منه وإن كان ذا نقرُ  
وأولى عباد الله بالله من شكرُ

قوله « ياروحُ كم من أخي مثوى نزلتُ به » قد مر تفسيره ، يقالُ « هذا  
أبو مثوي » وللأنتى « هذه أمٌ مثوي » ومنزلُ الضيافة وما أشبهها « المثوى »  
وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل ( أكرمي مثواه ) أي إضافة  
ويقالُ من هذا « ثوى بثوي مثوياً » كقولك « مضى بمضي مضياً » ، ويقالُ  
« ثواة » و « مضاء » كما قال الشماخ :

طال الثواء على رسم ييموثود أودي وكلُّ جديدٍ مرةٌ مودي

وقوله « فيه روائعٌ من إنس ومن جان » الواحدة « رائعة » يقال « راعني يروعني روعاً » أي : أفرعني . قال الله تعالى ذكره : ( فلما ذهب عن إبراهيم (الروحُ) ويكونُ « الرائعُ » الجميل يقال : جمالٌ رائعٌ ، يكونُ ذلك في الرجل والفرس وغيرهما ، وأحسبُ الأصل فيها واحداً : أنه يُفرطُ حتى يروع ، كما قال الله جل ثناؤه : ( يكادُ سنا بريقه ينهبُ بالأبصار ) للأفراط في ضيائه ، و « الرائعُ » ميموزٌ ، وكذلك كل فعلٍ من الثلاثة بما عينه واو أو ياءٌ إذا كانت معتلةً ساكنةً ، تقولُ « قال يقول » و « باع يبيع » و « خاف يخافُ » و « هاب يهاب » يعتلُ اسمُ الفاعل فيهمزُ موضع العين نحو « قاتل » و « بائع » و « خائف » و « هائب » . فإن صحَّت العين في الفعل صحَّت في اسمِ الفاعل ، نحو « عورَ الرجلُ فهو عاورٌ » و « صيدَ فهو صايدٌ » ، و « الصيدُ » داءٌ يأخذُ في الرأس والعينين والشؤون وإنما صحَّت في « عور » و « حول » و « صيد » لأنه منقولٌ من « احولٌ » و « اعور » . وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب .

وقوله :

« يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا عينٍ وإن لقيتُ معدياً فعدتاني »

يُريد : أنا يوماً يمانٍ ، ولولا أن الشَّعر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزاً ، على معنى أتقل يوماً كذا ويوماً كذا ، والرفعُ حسنٌ جميلٌ . وهذا الشعرُ يُنشدُ نصباً .

أبي السَّم أعياراً جفاءً وغلظةً وفي الحرب أمثال النساءِ العوارك

« العواركُ » من الحوائضُ . وكذلك قوله :

أبي الولاثم أولاداً لواحدةٍ وفي المحافل أولاداً لعلات

قال « العلاتُ » سُميت لأن الواحدة « تُعلُّ » بعد صاحبها ، وهو من

« العلل » وهو الشربُ الثاني ، أي يختلفون ويتحولون في هذه الحالات . ومن

كلام العرب: أممياً مرةً وقبياً أخرى؟ وكذلك إن لم تستفهم وأخبرت قلت  
ممياً مرةً علم الله وقبياً أخرى . أي : تنقل . ومن ثم قال له زفر بن  
الحريث : أزدباً مرةً وأوزاعياً أخرى ؟ والرفع على « أنت » جيدٌ بالغٌ .

وقوله : « لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةً » ، يكون على وجهين : لنفسٍ  
طاغيةٍ ، والآخِرُ للمذكر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقال : رجلٌ  
راويةٌ وعلامةٌ ونسابةٌ ، وكلاهما وجهٌ . ويقال : جاءت طاغيةُ الروم ، يرادُ  
الجماعةُ الطاغيةُ ، كما قال رسولُ الله ﷺ : « تقتلك الفئةُ الباغيةُ » .

وقوله « عند الولاية » ، إذا فتحت فهو مصدرٌ « الوليُّ » ، وفي القرآن  
المجيد : ( ما لكم من ولایتهم من شيءٍ ) . والولايةُ مكسورةٌ نحو السياسة  
والرياضة والإيالة ، وهي الولايةُ ، وأصله من الإصلاح ، يقال « آله يؤولهُ  
أولاً » ، إذا أصلحه . قال عمرُ بن الخطاب : قد ألنا وإيل علينا . تأويل ذلك  
قد ولينا وولي علينا . وهذه كلمةٌ جامعةٌ ، يقول : قد ولينا فعلنا ما يصلحُ  
الوالي ، ووولي علينا فعلنا ما يصلحُ الرعيةُ .

وقوله « حتى إذا ما انقضتُ مني وسائله » ، الوسائلُ ، واحدها وسيلةٌ ،  
وهي : الذريعةُ والسببُ . يقال : قد توصلتُ إلى فلانٍ ، قال رؤبةُ بن  
العجاج :

والناسُ إن فصلتهم فصائلاً كلُّ إلينا يبتغي الوسائلا

وقوله : « ولم يولعُ بإعلامي » ، أي : يافزاعي وترويعي . والمطلعُ من  
الجبين عند ملاقاته الأقران ، يقال : نعوذ بالله من اللمع . ويقال : رجلٌ هلوعٌ  
إذا كان لا يبصر على خيرٍ ولا شرٍّ ، حتى يفعل في كل واحدٍ منها غير الحقِّ ،  
قال الله وهو أصدق القائلين : ( إنَّ الإنسانَ خلقٌ هلوعاً . إذا مسَّهُ الشرُّ  
جزوعاً . وإذا مسَّهُ الخيرُ منوعاً ) . وقال الشاعرُ :

ولي قلبٌ سقيمٌ ليس يصحو ونفسٌ ما تفيقُ من الملاح

وقوله . « إمّا صميمٌ وإمّا فقعةٌ القاع » ، « الصميمُ » ، الخالصُ من كل شيءٍ ، يقال : فلانٌ من صميم قومه ، أي : من خالصهم . وقال جريرٌ لمشام ابن عبد الملك :

وتنزلُ من أُميّةٍ حيثُ تلقى      شؤونُ الرأسِ مجتمعِ الصميمِ  
وقوله « وإمّا فقعةٌ القاع » ، يقال لمن لا أصل له : هو فقعةٌ بقاع ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لها ولا أغصان ، والفقعة الكمأة البيضاء ، ويقال : حمامٌ فقيعٌ : لبياضه . ومن ذا قولُ الشاعر :

قومٌ إذا نسبوا يكونُ أبومُ      عند المناسبِ فقعةٌ في قرقر  
وقال بعضُ القرشيين :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً      فلا تجعلُ خليلك من تميم  
بلوتُ صميمهم والعبد منهم      فما أدنى العبيد من الصميم

وقوله « نسرٌ بما فيه من الأنس والحقر » ، فأصل « الحقر » ، شدّةُ الحياء يقال « امرأةٌ خفرةٌ » ، إذا كانت مستورةً لاستحيائها ، قال ابنُ عمير الثقفِيُّ :  
تضوعُ سكا بطنُ نعان أن مشتُ      به زينبُ في نسوةٍ خفرات  
وقوله « إنَّ الأزدَ أكرمُ امرأةٍ » ، يقولُ : عصابةٌ وقبيلةٌ ، ويقالُ للرجل : من أيّ امرأةٍ أنت ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقتب « مأسورٌ » وقد مضى تفسيره .

وينشدُ « يمانيةٌ قرَّبوا إذا نسب البشرُ » ، يريدُ « قرَّبوا » . وهذا جائزٌ في كلِّ شيءٍ مضمومٍ أو مكسورٍ إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقولُ في الأسماء في « فخذٍ » ، « فخذتُ » ، وفي « عضدٍ » ، « عضدتُ » . وتقولُ في الأفعال « كرمُ عبدُ الله » أي كرمُ ، و « قد علم الله » ، أي علم الله . قال الأخطلُ :

فإن أهجهُ بضجرٍ كما ضجرُ بازلُ      من الإبلِ دبوتُ صفحتاهُ وكاهلهُ

وقال آخر :

عجبت لمولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلدَه أبوان

ولا يجوزُ في « ضرب » ولا في « جل » ، أن يسكن ، لحقة الفتحة .  
وقوله « أتوتني فقالوا من ربيعة أو مضر » يقول : أمن ربيعة أم من مضر ؟ ويجوزُ في الشعر حذفُ ألف الاستفهام ، لأن « أم » التي جاءت بعدها تدلُّ عليها . قال ابنُ أبي ربيعة :

لعمرك ما أدري وإن كنتُ دارياً بسبعِ رمين الجمرِ أم بثانِ يريدُ : أسبعِ ؟ وقال التميمي :

لعمرك ما أدري وإن كنتُ دارياً شعيثُ بن سهمِ أم شعيثُ بن منقر

الروايةُ على وجهين : أحدهما « من ربيعة أم مضر أم الحي فحطان » يريدُ : إذا أم ذا ؟ والأصلحُ في الرواية « من ربيعة أو مضر » ، أم الحي فحطان ، لأن ربيعة أخو مضر ، فأراد من أحد هذين أم الحي فحطان ، لأنه إذا قال : أزيدُ عندك أم عمرو ؟ فأجوابُ : نعم ، أو لا ، لأن أحد هذين عندك ، ومعنى الأول : أيها عندك ؟ ويروى - وحدثني المازني - : أن صفة بنت عبد المطلب ألقاها رجلاً ، فقال لها : ابن الزبير ؟ قالت : وما تريدُ إليه ؟ قال : أريدُ أن أباطشه ! فقالت : ها هو ذاك ، فصار إلى الزبير فباطشه . فغلبه الزبيرُ ، فمرَّ بها مفلولاً ، فقالت صفة :

كيف رأيت زيرا . ألقطاً أو تمرأ . أم قرشياً صقرا

لم تشكك بين الأقط والتمر فتقول أيها هو ؟ ولكنها أرادت : رأيتُه طعاماً أم قرشياً صقراً ؟ أي أحد هذين رأيتُه أم صقراً ؟ ولو قالت : ألقطاً أم تمرأ : كان محالاً على هذا الوجه .

وقوله : « وما منها إلا يسرٌ بنسبة » معناه : وما منها واحدٌ ، فحذف لعلم المخاطب . قال الله جلَّ اسمه : ( وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به

قبل موته ( أي : وإن أحدٌ . ومعنى « إن » ، معنى « ما » ، قال الشاعر :  
وما الدهرُ إلا ثلاثٌ فمنها موتٌ وأخرى أبتغي العيش أكدهُ

يريدُ : فمنها تارةٌ .

وقوله :

« فنحنُ بنو الإسلامِ واللهُ واحدٌ وأولى عبادِ الله بالله من شكرٍ »

يقول : انقطعت الولايةُ إلا ولاية الإسلام ، لأن ولاية الإسلام قد قاربت  
بين الغرباء . وقال الله عز وجل : ( إنما المؤمنون إخوةٌ ) . وقال عز وجل  
فباعد به بين القرابة : ( إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرٌ صالح ) وقال  
نهارٌ بن توسة البشكريُّ :

دعيُّ القومِ ينصرُ مدعيه ليُلحقهُ بندي الحسبِ الصميمِ  
أبي الإسلامِ لا أب لي سواه إذا افتخروا بقبسٍ أو تميمِ

\* \* \*

ويقالُ فيما يُروى من الأخبار : إن أول من حكم عروةُ بن أديّة ، وأديّة  
جدةٌ له جاهليةٌ ، وهو عروةُ بن حدير ، أحدُ بني ربيعة بن حنظلة . وقال  
قومٌ : بل أول من حكم رجل يقال له سعيدٌ من بني محارب بن خصفة بن  
قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا في إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي ،  
وأنه امتنع عليهم ، وأوماً إلى غيره ، فلم يقنعوا إلا به ، فكان إمام القوم ،  
وكان يُوصفُ بالرأي .

قال أبو العباس : فأما أولُ سيفٍ سلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عروةُ  
ابن أديّة ، وذلك : أنه أقبلَ على الأشعثِ فقال : ما هذه الدنينةُ يا أشعثُ ؟  
وما هذا التحكيمُ : أشرطُ أوثقُ من شرطِ الله عزَّ وجلَّ ؟ ! ثم شمر عليه  
السيفَ والأشعثُ مولٍ ، فضربَ به عجزَ البغلةِ ، فشبتِ البغلةُ فنقرتِ اليانيةُ ،  
وكانوا جلَّ أصحابِ عليٍّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأحنفُ قصد

هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدي بن أعبد وشبث بن ربيعي الرباحي ،  
إلى الأشعث ، فسأله الصّحح ، ففعل .

وكان عروة بن أدية نجا من حرب النهروان ، فلم يزلّ باقياً مدةً من  
خلافة معاوية ، ثم أتى به زيادٌ ومعه مولى له ، فسأله عن أبي بكرٍ وعمر ،  
فقال خيراً ، ثم سأله فقال : ما تقولُ في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي  
ترابٍ عليّ بن أبي طالبٍ ؟ فتولى عثمان ست سنين من خلافتِهِ ، ثم شهد عليه  
بالكفر ! وفعل في أمر عليّ مثل ذلك إلى أن حكم ، ثم شهد عليه بالكفر !  
ثم سأله عن معاوية ؟ فسبّه سباً قبيحاً ! ثم سأله عن نفسه ؟ فقال : أولئك  
لزنيةٍ وآخرُك لدعوةٍ ، وأنت بعدُ عاصٍ لربك ! ثم أمر به فضربت عنقه ،  
ثم دعا مولاه فقال : صف لي أمره ؟ فقال : أأطنبُ أم أختصرُ ؟ فقال :  
بل اختصر ، فقال : ما أتيتهُ بطعامٍ بهارٍ قطُّ ، ولا فرشتُ له فراشاً  
بليلٍ قطُّ .

وكان سببُ تسميتهم الحرورية : أن علياً لما ناظرهم بعد مناظرة ابن  
عباس رحمه الله إياهم ، فكان بما قال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما  
رفعوا المصاحف قلتُ لكم أن هذه مكيدةٌ ووهمٌ ، وأنهم لو قصدوا إلى  
حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم ، أفعلتمُ أنه كان منكم أحدٌ أكره  
لذلك مني ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فهل علمتمُ أنكم استكروهموني على  
ذلك حتى أجبتمكم إليه ، فاشتروطتُ أن حكمها نافذةٌ ما حكما بحكم الله عزّ  
وجلّ ، فإن خالفاه فأنا وائمه من ذلك برآء ، أو أنتم تعلمون أن حكم الله  
لا يعدوني ؟ قالوا : اللهم نعم - وفيهم في ذلك الوقت ابنُ الكواء ، وهذا  
من قبل ان يذبحوا عبد الله بن خبابٍ ، فإبما ذبحوه بكفر في الفرقة الثالثة -  
فقالوا : حكمت في دين الله برأينا ، ونحن مقرون بأننا قد كفرنا ، ونحن  
تائبون ! فأقررتُ بثل ما أقررنا به وتبّ ، ننهضُ معك إلى الشام !! فقال :  
أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاقٍ بين رجلٍ وامرأة ، فقال تبارك  
وتعالى : ( فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ) وفي صيدٍ أصيب في الحرم ،

كأرنب يساوي ربيع دينارٍ ، فقال عز وجل ( بحكمٍ به ذوا عدلٍ منكم )  
فقالوا : إن عمراً لما أبى عليك أن تقول في كتابك « هذا ما كتبه عبدُ الله  
عليّ أميرُ المؤمنين » محوت اسمك من الخلافة ، وكتبت « عليّ بنُ أبي طالبٍ »  
فقال لهم رضي الله عنه : لي برسول الله ﷺ أسوةٌ ، حيثُ أبى عليه سهيلُ بن  
عمرو أن يكتب « هذا كتابُ كتبه محمدُ رسولُ الله وسهيلُ بن عمرو » فقال :  
لو أقررنا بأنك رسولُ الله ما خالفناك ، ولكنني أقدمك لفضلك ، ثم قال :  
اكتب « محمدُ بنُ عبد الله » فقال لي : يا عليّ ، امحُ « رسولُ الله »  
فقلتُ : يا رسول الله ، لا تسخر نفسي بجز اسمك من النبوة ، فقال عليه  
السلام : قفني عليه ، فمجاهُ بيده ﷺ ، ثم قال اكتب « محمدُ بنُ عبد الله »  
ثم تبسّم إلي فقال ، يا عليّ : أما إنك ستسامُ مثلها فتعطي فرجع معه منهم  
ألفان من حروراء ، وقد كانوا تجمّعونها ، فقال لهم عليّ صلواتُ الله عليه :  
مانسميكم ؟ ثم قال : أنتم الحروريةُ ، لاجتماعكم بحروراء .

والنسبُ إلى مثل « حروراء » « حروراويُّ » فاعلم ، وكذلك كلُّ ما كان  
في آخره ألفُ التانيث الممدودة ، ولكنه نسب إلى البلد بحذف الزوائد ، فقبل  
« الحروريُّ » .

★ ★ ★

وقال الصلتانُ العبدِيُّ في كلمةٍ له :

أرى أمةً شهت سيفها	وقد زيد في سوطها الاصبحي
بنجديةٍ وحروريةٍ	وأزرق بدعو إلى أزرق
فلتنا أننا المسلمون	على دين صديقنا والنبي

وفي هذا الشعر بما يستحسنُ قوله :

أشاب الصغير وأفنى الكبير	مرورُ الليالي وكرُّ العشي
إذا ليلةٌ هرمت يومها	أتى بعد ذلك يومٌ فتي

نروحُ ونغدو لحاجاتنا      وحاجةُ من عاش لانتقضي  
تموتُ مع المرء حاجاته      وتبقى له حاجة ما بقي

قوله « وقد زيد في سوطها الأصبحي » ، فإنه تسمى هذه السياطُ التي يعاقبُ بها السلطانُ « الأصبحية » وتنسبُ إلى ذي أصبح الحميري ، وكان ملكاً من ملوك حمير ، وهو أولُ من اتخذها ، وهو جدُّ مالك بن أنس الفقيه رضي الله عنه .

« والتجديّة » تنسبُ إلى نجدة بن عويمر ، وهو عامرُ الحنفي ، وكان رأساً ذا مقالةٍ منفردةٍ من مقالات الخوارج ، وقد بقي من أهلها قومٌ كثيرٌ . وكان نجدةٌ يصلي بمكة بمجذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة ، وعبد الله يطلبُ الخلافة ، فيمسكان عن القتال من أجل الحرم . قال الراعي مخاطباً عبد الملك :

إني حلفتُ على يمينِ برةٍ      لا أكذبُ اليوم الخليفة قبيلاً  
ما إن أتيتُ أبا خيبٍ وافتداً      يوماً أريدُ بيديتي تبديلاً  
ولا أتيتُ نجدةً بن عويمرٍ      أبغي الهدى فيزيديني تضليلاً  
من نعمة الرحمن لا من حياتي      إني أعدتُ له عليّ فضولاً

وفي هذه القصيدة :

أخذوا العريف فقطعوا حيزومهُ      بالأصبحية قائماً مغلولاً

قوله « وأزرق يدعو إلى أزرق » يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكان نافعٌ شجاعاً مقدّماً في فقه الخوارج ، وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة ، وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب إن شاء الله .

وقوله « على دين صدّيقنا والني » فالعربُ تفعلُ هذا ، وهو في الواو جائزٌ ، أن تبدأ بالشيء ، وغيرهُ المقدمُ . قال الله عز اسمه : ( هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ ) وقال : ( يامعشر الجن والإنس ) وقال : ( وامجدني وارزكعي مع الراكعين ) وقال حسّانُ بن ثابتٍ :  
بهاينُ منهم جعفرٌ وابنُ أمه      عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيرُ

يعنى : بني هاشم . ومن كلام العرب ربيعةٌ ومضرٌ وقيسٌ وخندفٌ وسليمٌ وعامرٌ . وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذؤوب الحَدِّ والجدُّ ، وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها ، وكان الباقون على الترحل ، فقلد المهلبُ حربهم ، فهزمهم إلى الفرات ، ثم هزمهم إلى الأهواز ، ثم أخرجهم عنها إلى فارس ، ثم أخرجهم إلى كرمان . وفي ذلك يقول شاعرٌ منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحبُ الزنج بالبصرة ، يرثي البلد ، ويذكر المنقبة التي كانت لهم . قال الأخفش : أنشدني يزيدُ المهلبِيُّ لنفسه :

سقى الله مِصرًا خف أهله من مصر  
ولو كنتُ فيه إذ أبيح حريمه  
أبيح فلم أملك له غير عيرة  
ونحن رددنا أهلها إذ ترحلوا  
ومن يخش أطراف المنايا فإننا  
فإن كربه الموت عذب مذاقه  
وما رزق الانسان مثل منية  
وفي هذا الشعر يقول :

وماذا الذي يبقى على عُقبِ الدهرِ  
لمتُ كريماً أو صدرت على عنبر  
تهيب بها أن حاردت لوعة الصدر  
وقد نُظمت خيل الأزارق بالجر  
لبسنا لمن السابغات من الصبر  
إذا ما مزجناه بطيب من الذكر  
أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر  
ليشكر بنو العباس نعمى تجددت  
لقد جنبتم أمة حسدكم  
وقد نغصتهم جولة بعد جولة

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

على أنها معشوقة الدل عاشقه  
وسولاف رُستاق حمة الأزارقة  
حرورية أضحت من الدين مارقة  
ألا طرقت من أهل بية طارقة  
تبيت وأرض السوس بيني وبينها  
إذا نحن شئنا صادقتنا عصابة

وكان مقدارُ من أصاب عليَّ صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين ومئتي مائة ، في أصح الأقاويل ، وكان عددهم ستة آلاف ، وكان منهم بالكوفة

زُهَاءُ الْفَيْنِ مِنْ مُيَسَّرُ أَمْرُهُ وَلَمْ يَشْهَرِ الْحَرْبُ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ  
عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : ارْجِعُوا وَادْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَّابٍ ،  
فَقَالُوا : كَلَّنا قَتْلَهُ وَشَرِكُ فِي دَمِهِ ! ثُمَّ حَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلِيٍّ ،  
وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ : لَا تَبْدُؤُواهُمْ بِقِتَالٍ ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ثَلَاثَةً وَهُوَ يَقُولُ :  
أَقْتَلْتُهُمْ وَلَا أَرَى عَلِيًّا وَلَوْ بَدَأَ أَوْجَرْتُهُ الْخَطِيْبَا

فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا خَالَطَهُ السِّيفُ قَالَ : حَبْدَا  
الرُّوحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ : مَا أَذْرِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى  
النَّارِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : إِنَّمَا حَضَرْتُ اغْتَرَارًا بِهَذَا ، وَأَرَاهُ قَدْسَكَ !!  
فَانخَزَلَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَالَ أَلْفٌ إِلَى نَاحِيَةِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ  
رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَى مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَتَسَلَّلُونَ ، وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ  
يُرِيدُونَ الْجِسْرَ ، فَقَالَ : لَنْ يَبْلُغُوا النُّطْقَةَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ ،  
حَتَّى كَادُوا يَشْكُونُ ، ثُمَّ قَالُوا : قَدْ رَجَعُوا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَآلَهُ مَا  
كَذَبْتُ وَلَا كَذِبْتُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ وَآلَهُ  
مَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يُقْتَلُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ تِسْعَةً ،  
وَأَقْتَلَتْ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةً .

\* \* \*

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَقِيلَ : أَوَّلُ مَنْ حَكَمَ وَلَفِظَ بِالْحُكُومَةِ وَلَمْ يُشَدَّ بِهَا رَجُلٌ مِنْ  
بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرَّةٍ ، مِنْ بَنِي صَرِيمٍ ، يُقَالُ لَهُ الْحِجَابُ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُعْرَفُ بِالْبُرْكَ ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ مَعَاوِيَةَ عَلَى أَلْتِهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا  
سَمِعَ بِذِكْرِ الْحَكَمِينَ قَالَ : أَيْحَكُمُ فِي دِينِ اللَّهِ ؟ لِأَحْكُمِ الْإِلَهِ ! فَسَمِعَهُ  
سَامِعٌ فَقَالَ : طَعَنَ وَآلَهُ فَأَنْقَذَهُ .

وَأَوَّلُ مَنْ حَكَمَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ،  
فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَحَمَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ غَيْلَةً ، ثُمَّ مَرَقَ بَيْنَ

الصفين فحكم ، وحمل على أصحاب معاوية ، فكثروه ، فرجع الى ناحية عليّ صلوات الله عليه ، فحمل على رجل منهم ، فخرج إليه رجل من همدان فقتله ، فقال شاعرٌ همدان :

ما كان أغنى البشكري عن التي      تصلى بها جمرأ من النار حاميا  
غداة يُنادي والرماحُ توشه      خلعتُ علياً بادياً ومُعاويا  
وجاء في الحديث ، ان علياً رضي الله عنه تليّ بحضرته : ( قل هل  
تنبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون  
أنهم مُحسنون صنعا ) فقال عليّ : أهل حروراء منهم

وروي عن عليّ صلوات الله عليه : انه خرج في غداةٍ يُوقظُ الناس للصلاة  
في المسجد ، فمرّ بجماعةٍ تتحدث ، ، فسلمَ وسلّموا عليه ، فقال وقبض على  
لحيته : ظننتُ أن فيكم أشقاها ، الذي يخضبُ هذه من هذه . وأوماً بيده إلى  
هامته ولحيته .

ومن شعر عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين الذي لا اختلاف فيه أنه قاله ،  
وأنه كان يُردّده : أنهم لما ساموه أن يُقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى  
الشام ، فقال : أبعدهُ صحبة رسول الله ﷺ والتفقه في الدين أرجع كافراً !؟ :  
ياشاهد الله عليّ فاشهد أنّي على دين النبيّ أحمد  
من شك في الله فإنني مهتدي

ويروى : أنتي توليت وليّ أحمد

ويروى : « أن رجلاً أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله ﷺ  
وهو يقسم غنائم خيبر ، ولم تكن إلا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الأسود على  
رسول الله ﷺ ، فقال : ما عدت منذُ اليوم ! فغضب رسول الله ﷺ حتى  
رؤي الغضب في وجهه . فقال عمر بن الخطاب : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال  
رسول الله : إنه سيكون لهذا ولأصحابه نباءة . »

وفي حديث آخر : « أن رسول الله ﷺ قال له ويحك ! فمن يعدل إذا لم يعدل ؟ » ثم قال لأبي بكر : اقتله ، ففضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ! رأيت راعياً ، ثم قال لعمر : اقتله ، ففضى ثم رجع ، فقال يا رسول الله ! رأيت ساجداً ، ثم قال لعلي : اقتله ، ففضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ! لم أره ، فقال رسول الله : لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله .

قال أبو العباس : وحدثني إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة في إسناده ذكره : « أن علياً رضي الله عنه وجهه إلى رسول الله ﷺ بنصبه من اليمن ، فقسما أربعاً ، فأعطى ربعاً للأقرع بن حابس الجاشعي ، وربعاً لزيد الحيل الطائي ، وربعاً لعينة بن حصن الفزاري ، وربعاً لعلقمة بن علاثة الكلابي فقام إليه رجل مضطرب الخلق ، غائر العينين ، ثاقب الجبهة ، فقال له : لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله !! فغضب رسول الله ﷺ حتى تورده خداه ، ثم قال : أيأمنني الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنوني ؟ فقام إليه عمر فقال : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً ، وتنظر في الرصاص فلا ترى شيئاً ، وتتأرى في الفوق . »

قوله ﷺ « من ضئضئ هذا » أي : من جنس هذا . يقال : فلان من ضئضئ صدق ، ومن محتد صدق ، وفي مركب صدق . وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو ابن عم الحجاج ، وكان عاملاً على البصرة :

أقبلن من ثهلان أو وادي خيم على قلاصير مثل خيطان السلم  
إذا قطعن علماً بدا علم حتى أنخناها إلى باب الحكم  
خليفة الحجاج غير المشهم في ضئضئ المجد ومجوح الكرم  
ويقال « مرق السهم من الرمية » إذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك ان

لا يعلق به من دمها شيء ، وأقطع ما يكون السيف إذا سبق الدم . قال امرؤ القيس بن عابس الكندي :

وقد أختلس الضربُ      ة لا يدمى لها نصلي

فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلطٍ وضع . وذكر الأصمعي أن الشعر لإسحق بن سويدٍ الفقيه ، وهو لأعرابي لا يعرف المقالات التي يميل إليها أهل الأهواء ، أنشد الأصمعي :

برئت من الحوارج لست منهم      من الغزال منهم وابن باب  
ومن قومٍ إذا ذكروا علياً      يردئون السلام على السحاب  
ولكني أحبُّ بكلِّ قلبي      وأعلم أن ذاك من الصواب  
رسول الله والصدِّيق جاً      به أرجو غداً حسن الثواب

فإن قوله « من الغزال منهم » يعني واصل بن عطاء ، وكان يكنى أبا حذيفة ، وكان معتزلياً ، ولم يكن غزالياً ، ولكنه كان يلقب بذلك ، لأنه كان يلزم الغزالين ، ليعرف المتعففات من النساء ، فيجعل صدقته لمن ، وكان طويل العنق . ويروى عن عمر بن عبيد ، أنه نظر إليه من قبل ان يكلمه ، فقال : لا يفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق !

وقال بشار بن بردٍ يهجو واصل بن عطاء :

ماذا منيت بغزالٍ له عتقٌ      كنيقتك الدوِّ إن ولي وإن مثلاً  
عتق الزرافة ما بالي وبالكم      تكفرون رجالاً أكفروا رجلاً  
ويروى ، لا بل كأنه لا يشك فيه : إن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ، ويصوب رأي إبليس - لعنه الله - في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، ويروى له :

الأرض مظلمة والنار مشرقة      والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما يرويه المتكلمون .

وقته أمير المؤمنين المهدي على الإلحاد . وقد روى قوم أن كعبه فتشت فلم يصب فيها شيء مما كان يرثى به ، وأصيب له كتاب فيه : إني أردت هجاء آل سليمان بن علي ، فذكرت قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت منهم إلا إني قلت :

دينار آل سليمان ودرتهم  
كبابلين حفا بالعقاريت  
لا يرتجيان ولا يرتجى نوالهما  
كاسمعت بهاروت وماروت

وحدثني المازني قال : قال رجل لبشار : أتأكل اللحم وهو مباح لديانتك؟! يذهب به إلى أنه ثوي! قال : فقال بشار : ليسوا يدرون أن هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة .

وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الرء ، فكان يخلص كلامه من الرء ، ولا يظن بذاك ، لاقتداره وسهولة ألفاظه . ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة ، يدحه بإطالته الخطب واجتبابه الرء ، على كثرة ترددها في الكلام ، حتى كأنها ليست فيه :

علمٌ يبدال الحروف وقامعٌ  
لكل خطيب يغلب الحق باطله  
وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً في تصرّفه  
وخالف الرء حتى احتال للشعر  
ولم يطق مطراً والقول يعجله  
فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

ومما يحكى عنه قوله ، وذكر بشاراً : أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقاتله؟! أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ثم لا يكون إلا سدوسياً أو عقلياً .

فقال « هذا الأعمى » ولم يقل بشاراً ، ولا ابن بردي ، ولا الضريّ وقال « من أخلاق الغالية » ولم يقل المغيرة ، ولا المنصورية . وقال « لبعثنا إليه » ولم يقل لأرسلت إليه . وقال « على مضجعه » ولم يقل على فراشه

ولا مرقدہ . وقال « يعجب » ولم يقل يقرئ . وذكر « بني عقيل » لأن  
بشاراً كان يتوالى إليهم . وذكر « بني سدوس » لأنه كان نازلاً فيهم .

واجتاب الحرف شديد .

قال : ولما سقطت ثيابا عبد الملك بن مروان في الطست قال : والله لولا  
الخطبة والنساء ما حفلت بها .

قال : وخطب الجمحي ، وكان منزوع إحدى التينتين ، وكان يصفر  
إذا تكلم ، فأجاد الخطبة ، وكانت لنكاح ، فرد عليه زيد بن علي بن الحسين  
كلاماً جيداً ، إلا أنه فضله بتمكث الحروف وحسن مخارج الكلام ، فقال عبد  
الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك .

صحت مخارجها وتم حروفها فله بذاك مزية لا تنكر

« المزية » الفضية .

وأما قوله « وابن باب » فإنه ، عمرو بن عبيد بن باب ، وكان مولى  
بني العدوية ، من بني مالك بن حنظلة ، فهذان معتزليان ، وليسا من الخوارج ،  
ولكن قصد إسحق بن سويد إلى أهل البدع والأهواء ، إلا تراه ذكر الرافضة  
معها ، فقال :

ومن قوم إذا ذكروا علياً أشاروا بالسلام على السحاب

ويروي : يردون السلام على السحاب

★ ★ ★

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج .

قال أبو العباس : فلما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان ، وكان بالكوفة  
زهاء ألفين من الخوارج ، ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب ، وقوم ممن  
استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري : فتجمعوا وأمرؤا عليهم رجلاً من طييء ،

فوجه إليهم علي صلوات الله عليه رجلاً ، وهم بالنخيلة ، فدعاهم ورقق بهم ، فأبوا ، فعادهم فأبوا ، فقتلوا جميعاً . فخرجت طائفة منهم نحو مكة ، فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم ، فناوشه هؤلاء الخوارج ، فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلّي بالناس رجل من بني شيبة ، لثلاث يقات الناس الحج ، فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها ، فقالوا : إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة ، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقه ! وقال رجل من أشجع : والله ما عمرو دونها وإنه لأصل هذا الفساد . فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنة الله عليه : أنا أقتل علياً ، فقالوا : وكيف لك به ؟ قال : أغتاله ، قال الحجاج بن عبد الله الصريمي ، وهو البرك : وأنا أقتل معاوية . وقال زاذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن نعيم : وأنا أقتل عمراً . فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة ، فبعثوا تلك الليلة ليلية إحدى وعشرين من شهر رمضان ، فخرج كل واحد منهم إلى ناحية ، فأتى ابن ملجم الكوفة ، فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب ، وكانت ترى رأي الخوارج ، والأحاديث تختلف ، وإنما يؤثر صحيحها ، ويروى في بعض الأحاديث أنها قالت : لا أقنع منك إلا بصدق أسميه لك ، وهو ثلاثة آلاف درهم ، وعبد وأمة ، وأن تقتل علياً ! فقال لها : لك ما سألت ، فكيف لي به ؟ قالت : تروم ذلك غيلة ، فإن سلت أرحت الناس من شر ، وأمت مع أهلك ، وإن أصبت مرت إلى الجنة ونعيم لا يزول ! فأنعم لها بذلك . وفي ذلك يقول :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة      وضرب علي بالحسام المصم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا      ولاقتك إلابون فتك ابن ملجم

قال أبو العباس : وقد ذكروا أن القاصد إلى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد إلى عمرو وآخر من بني ملجم ، وأن أباهم ناهم ، فلما عصوه قال : استعدوا للموت ، وأن أمهم حضتهم على ذلك . والحبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة .

فأقام ابن ملجم ، فيقال : أن امرأته قطام لامته ، وقالت : ألا تخفي لما  
قصدتَ له ؟ لشد ما أحبيت أهلك ! قال : إني قد وعدت صاحبي  
وقتاً بعينه . وكانت هنالك رجلاً من أشجع ، يقال له شبيب ، فواطأه  
عبد الرحمن .

ويروى : أن الأشعث نظر إلى عبد الرحمن متقلداً سيفاً في بني كندة ،  
فقال : يا عبد الرحمن ، أرنى سيفك ، فأراه إياه ، فرأى سيفاً حديداً ، فقال :  
ما تقلدك هذا السيف وليس بأوان حربٍ ؟ فقال : إني أردت أن أنحر به  
جزور القرية ! فركب الأشعث بغلته وأتى علياً صلوات الله عليه فخبّره ، وقال  
له : قد عرفت بسالة ابن ملجم وقتكه فقال عليٌ : ماقتلني بعد !!

ويروى : أن علياً رضوان الله عليه كان يخطب مرةً ويذكر أصحابه ، وابن  
ملجم تلقاه المنبر ، فسمع وهو يقول : والله لأرجمنهم منك ! فلما انصرف عليٌ  
صلوات الله عليه إلى بيته أتى به ملبياً ، فأشرف عليهم ، فقال : ما تريدون ؟  
فخبّروه بما سمعوا ، فقال : ماقتلني بعد . فخلّوا عنه

ويروى : أن علياً كان يتمثل إذا رآه بيت عمرو بن معدي كرب في  
قيس بن مكشوح المرادي ، والمكشوح هيرة ، وإنما سمي بذلك لأنه ضرب  
علي كسحه :

أريد جاءه ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

فيتنفي من ذلك ، حتى أكثر عليه ، فقال له المرادي : إن قضي شيء كان .  
ف قيل لعلي : كأنك قد عرفت وعرفت ما يريد بك ، أفلا تقتله ؟ فقال : كيف  
أقتل قاتلي ؟ !

فلما كان ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، خرج ابن ملجم وشبيب  
الأشجعي ، فاعتورا الباب الذي يدخل منه عليٌ رضي الله عنه ، وكانت عليٌ  
يخرج مغزلاً ، ويوقظ الناس للصلاة ، فخرج كما كان يفعل ، فضربه شبيب

فأخطاه ، وأصاب سيفه الباب ، وضربه ابن ملجم على صلته ، فقال علي :  
قرت ورب الكعبة ، شأنكم بالرجل . فيروى عن بعض من كان بالمسجد من  
الأنصار قال : سمعت كلمة علي ، ورأيت بريق السيف . فأما ابن ملجم  
فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد  
المطلب بقطيفة ، فرمى بها عليه ، واحتمله فضرب به الأرض ، وكان المغيرة  
أيداً ، فقع على صدره . وأما شيب فانتزع السيف منه وجل من حضرموت ،  
وصرعه وقعد على صدره . وكثر الناس ، فجعلوا يصيحون : عليكم صاحب  
السيف ، فخاف الحضرمي أن يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره ، فرمى بالسيف ،  
وانسل شيب بين الناس . فدخل ابن ملجم على علي رضي الله عنه ، فأمر  
فيه ، فاختلف الناس في جوابه ، فقال علي : إن أعش فالأمر إلي ، وإن  
أصب فالأمر لكم ، فإن آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة ، وأن تعفوا أقرب  
للتقوى . وقال قوم : بل قال : وإن أصبت فاضربوه ضربة في مقتله .  
فأقام علي يومين ، فسمع ابن ملجم الرنة من الدار ، فقال له من حضره .  
أي عدو الله : إنه لا بأس على أمير المؤمنين ، فقال : أعلى من تبكي أم كلثوم؟  
أعلي ؟ أما والله لقد اشتريت سيفي بألف درهم ، وما زلت أعرضه ، فما يعيبه  
أحد إلا أصلحت ذلك العيب ، ولقد أسقته السم حتى لفظه ، ولقد ضربته  
ضربة لو قسمت على من بالشرق لأنت عليهم . ومات علي صلوات الله ورضوانه  
عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث ، فدعاه الحسن رضي الله عنه ، فقال : إن  
لك عندي سرّاً ! فقال الحسن رضوان الله عليه : أتدرون ما يريد ؟ يريد أن  
يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها ، فقال : أما والله لو أمكنتني منها  
لاقتلعتها من أصلها ! فقال الحسن : كلا والله ، لأضربتك ضربة تؤدبك إلى  
النار ، فقال : لو علمت أن هذا في يديك ما اتخذت إلهاً غيرك ، فقال عبد الله  
ابن جعفر : يا أبا محمد ، ادفعه إلي أسف نفسي منه . فاختلفوا في قتله ، فقال  
قوم : أحمى له ميلين وكحله بها ، فجعل يقول : إنك يا ابن أخي لتكحل  
عمك بملولين مضاضين ، وقال قوم : بل قطع يديه ورجليه ، وهو في ذلك

يذكر الله عز وجل ، ثم حمد إلى لسانه ، فشق ذلك عليه ، فقيل له : لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونزارك قد جزعت من قطع لسانك ؟ فقال : نعم ، أحببت أن لا يزال في بذكر الله رطباً ، ثم قتله .

ويروى : أن علياً رضي الله عنه أتى ابن ملجم وقيل له إننا قد سمعنا من هذا كلاماً فلا نأمن قتله لك ؟ فقال : ما أصنع به ؟ ثم قال عليّ رضوان الله عليه :

اشدّ حيازيمك للموت فإن الموت لا يكا  
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك  
والشعر إنما يصح بأن تحذف « اشدّ » فتقول :

حيازيمك للموت فإن الموت لا يكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ، ولا يعتدون به في الوزن ، ويحذفون من الوزن ، علماً بأن المخاطب يعلم ما يزيدونه ، فهو إذا قال « حيازيمك للموت » فقد أضمر « اشدّ » فأظهره ، ولم يعتد به . وقال : وحدثني أبو عثمان المازني قال : فصحاء العرب ينشدون كثيراً :

لسعد بن الضباب إذا غدا أحبُّ إلينا منك فافرسِ حمراً

وإنما الشعر : لعمرى لسعد بن الضباب إذا غدا

. . .

وأما الحجاج بن عبد الله الصريمي - وهو البرك - ، فإنه ضرب معاوية مصلياً فأصاب ما كتبه ، وكان معاوية عظيم الأوزار ، فقطع منه عرقاً يقال أنه عرق النكاح ، فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد ، فلما أخذ قال : الأمان والبشارة ، قتل عليّ في هذه الصبيحة ، فاستوفني به حتى جاء الخبر ، فقطع معاوية يده ورجله ، فأقام بالبصرة ، فبلغ زبداً أنه قد ولد له ، فقال : أولد له وأمير المؤمنين لا يولد له ، فقتله . هذا أحد الخبرين .

ويروى : أت معاوية قطع يديه ورجليه ، وأمر باتخاذ المقصورة ، فقيل لابن عباس بعد ذلك : ما تأويل المقصورة ؟ فقال : يخافون أن يهظم الناس .

وأما زاذويه : فإنه أرصد لعمرىو ، واشتكى عمرو بطنه ، فلم يخرج للصلاة ،  
 وخرج إلى الصلاة خارجة ، وهو رجل من بني سهيم بن عمرو بن هيصص ،  
 رهط عمرو بن العاص ، فضربه زاذويه فقتله ، فلما دخل به على عمرو فرآهم  
 يخاطبونه بالإمرة قال : أو ما قتلت عمراً ؟ قيل : لا ، إنما قتلت خارجة ،  
 فقال : أردت عمراً والله أراد خارجة .

\* \* \*

وقال أبو زيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :  
 إن الكرام على ما كان من خلقٍ رهط امرئٍ خارهِ للدين مختار  
 طبٌ بصيرٌ بأضغان الرجال ولم يعدلٌ بجبر رسول الله أحبار  
 وقطرة قطرت إذ حان موعدها وكلُّ شيءٍ له وقتٌ ومقدار  
 حتى تنصلها في مسجدٍ طهرٍ على إمام هدى إن معشرٌ جاروا  
 حمت ليدخل جنات أبو حسنٍ وأوجبت بعده للقاتل النار  
 قوله « خارهِ » إنما هو : اختاره ، وهو « فعله » و « اختاره » « افتعله »  
 كما تقول : قدر عليه واقتدر عليه .

وقوله « بصيرٌ بأضغان الرجال » ، فهي أمرارها ونخبأتها . قال الله تعالى :  
 ( فيحسفكم تبخلوا ويخريج أضغانكم ) . و « الحبر » العالم . ويروى ابن علياً  
 رضوان الله عليه مر يهودي يسأل مسلماً عن شيءٍ من أمر الدين ، فقال له علي\* :  
 اسألني ودع الرجل ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حبرٌ ، أي : عالمٌ ،  
 قال علي\* : أن تسأل عالماً أجدي لك .

وقوله « حتى تنصلها » يريد : استخرجها .  
 وقوله « حمت » معناه قدرت .

قال الكمي :

والوصي الذي أمال التسجوب بيُّ به عرش أمةٍ لانهدام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه      حكما لا كغابر الحكام  
الإمام الزكي والفارس المعن      لم تحت العجاج غير الكهام  
واعياً كان منجماً ففقدنا      وفقد السيم هلك السوام

قوله « الوصي » فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرهون فيه . قال ابن  
قيس الرقيات :

نحن منا النبي أحمد والصدب      ق منا التقي والحكام  
وعلي وجعفر ذو الجناح      ن هناك الوصي والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشر  
رجلاً من أهله في سجن عارم :

متخبر من لا قيت أنك عائد      بل العائد المحبوس في سجن عارم  
وصي النبي المصطفى وابن عمه      وفكأك أعناق وقاضي مغارم

أراد : ابن وصي النبي ، والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مقام  
المضاف ، كما قال الآخر :

صبعن من كاظمة الحص الحرب      يحملن عباس بن عبد المطلب  
يريد : ابن عباس رضي الله عنه ، وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك :  
ورثم ثياب المجد فهي لبوسكم      عن ابن مناف عبد شمس وهاشم  
يريد : ابني عبد مناف .

وقال أبو الأسود :

أحب محمدًا حباً شديداً      وعباساً وحمزة والوصياً  
أحبهم لحب الله حتى      أجيء إذا بعثت على هويأ  
هوى أعطته منذ استدارت      رحي الإسلام لم يعدل سويأ

« السوي » ، و« السواء » الذي قد سوى الله خلقه ، لا زمانة به ولا  
داء . وفي القرآن : ( بشراً سويأ ) . وتقول : ساويت ذاك بهذا الأمر ،

أي : جعلته مثلاً له .

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى علياً  
بنو عم النبي وأقربوه أحبُّ الناس كلهم إلينا  
فإن يك حبهم رشداً أصبه وليس بخطيء إن كان غيباً  
ويروى « ولست » وكان بنو قشير عثمانية ، وكان أبو الأسود نازلاً  
فيهم ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرة ، فقالوا  
له : ما نحن ترميك ، ولكن الله يرميك ! فقال : كذبتهم والله ، لو  
كان الله يرميني لما أخطأني .

قال : وكان نقش خاتمه :

ياغالي حبك من غالب ارحمة علي بن أبي طالب  
وقوله « غير الكهام ، فالكهام : الكليل من الرجال والسيوف ، يقال  
سيف كهام . وقوله :

« راعياً كان مسجياً فقدنا » وفقد المسم هلك السوام ،  
فالمسم : الذي يسم إبله أو غنمه ترعى ، وكذلك كل شيء من الماشية ،  
فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسمها ويسوسها ويصلحها ، ومتى لم  
يرجع أمر الناس إلى واحد فلا نظام لهم ، ولا اجتماع لأموالهم . قال ابن  
قيس الرقيات :

أها المشتبي فناء قريش بيد الله عمرها والفناء  
إن تودع من البلاد قريش لا يكن بعدم لحي بقاء  
لو تقفني ويترك الناس كانوا غم الذئب غاب عنها الرعاء  
وقال الحميري يعني علياً رضوان الله عليه :

كان المسم ولم يكن إلا لمن لزم الطريقة واستقام مسياً  
ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم « لاحقاً إلا لله » قال : كلمة عادة  
يؤاد بها جور ، إنما يقولون لا إماره ، ولا بد من إماره ، برة أو فاجرة .

\*\*\*

وروي أن علياً عليه السلام لما أوصى إلى الحسن في وقف أمواله وأن يجعلَ فيها ثلاثة من مواله وقف فيها عين أبي نيزر والبغيغة . وهذا غلط ، لأن وقفه لهذين الموضعين لستين من خلافته .

قال أبو العباس : حدثنا أبو عَلمٍ محمد بن هشام في إسناد ذكره آخره أبو نيزر ، وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم ، قال : وصح عندي بعدُ أنه من ولد النجاشي ، ( يعني أبا نيزر ) ، فرغب في الإسلام صغيراً ، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم ، وكان معه في بيوته ، فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام ، قال أبو نيزر : جاءني علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وأنا أقوم بالضيعتين : عين أبي نيزر والبغيغة ، فقال لي : هل عندك من طعام ؟ فقلت : طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين ، قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة سنخة ، فقال : علي به ، فقام إلى الربيع ، وهو جدول ، فغسل يديه ، ثم أصاب من ذلك شيئاً ، ثم رجع إلى الربيع ، فغسل يديه بالرمل حتى أنقما ، ثم ضم يديه كل واحدةٍ منها إلى أختها ، وشرب بها حساً من ماء الربيع ، ثم قال : يا أبا نيزر ! إن الأكف أنظف الآنية ، ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه ، وقال : من أدخله بطنه النار فأبعده الله ، ثم أخذ المعول وانحدر في العين ، فجعل يضرب ، وأبطأ عليه الماء ، فخرج وقد تفضج جبينه عرقاً ، فانتكف العرق عن جبينه ، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها وجعل يهيمهم فانتالت كأنها عتق جزور ، فخرج مسرعاً ، فقال أشهد الله أنها صدقة ، علي بدواة وصحيفة قال : فعجلت بها إليه ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، ليقى الله بها وجهه حر النار يوم القيامة ، لاتباعاً ولا توهباً ، حتى يرثها الله وهو خير الوارثين ، إلا أن يحتاج إليها الحسن أو الحسينُ فيها يطلق لها ، وليس لأحدٍ غيرها . قال محمد بن هشام : فركب الحسين رضي الله عنه دابةً ، فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار ، فأبى أن يبيع ،

وقال : إنما تصدق بها أبي ليقب الله بها وجهه حرّ النار ، ولست بأتبعها بشيء .  
وتحدث الزبيريون : أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم ، وهو والي  
المدينة : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين أحب أن يرد الألفه ، ويسل السخيمة ،  
ويصل الرحم ، فإذا وصل إليك كتابي هذا فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته  
أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين ، وارغب له في الصداق ، فوجه مروان  
إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية ، وأعلمه بما في ردّ الألفه من  
صلاح ذات البين ، واجتماع الدعوى ، فقال عبد الله : إن خالها الحسين يئيب ،  
وليس بمن يفتات عليه بأمر ، فأنظرني إلى أن يقدم ، وكانت أمها زينب بنت  
علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله  
ابن جعفر ، فقام من عنده فدخل إلى الجارية ، فقال : يا بنية ! إن ابن عمك القاسم  
ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغين في كثرة الصداق  
وقد نخلتك البغيغات ، فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم ،  
فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة ، فتكلم الحسين فزوجها من  
القاسم بن محمد فقال له مروان : أغدراً يا حسين ؟ ! فقال : أنت بدأت ،  
خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا  
لذلك ، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير ، فقال مروان : ما كان  
ذلك ، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال : أنشدك الله ، أكان ذاك ؟  
قال : اللهم نعم . فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر ، من  
ناحية أم كلثوم ، يتوارثونها ، حتى ملك أمير المؤمنين المأمون ، فذكر ذلك  
له ، فقال كلا ، هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فانتزعها من  
أيديهم ، وعوضهم عنها ، وردّها إلى ما كانت عليه .

• • •

قال أبو العباس : رجع الحديث إلى ذكر الخوارج وأمر علي بن  
أبي طالب .

قال : وروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان

العبدى ، وقد كان وجهه إليهم ، وزباد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس ، فقال لصعصعة : بأي القوم رأيتهم أشد إطفاءة ؟ فقال : يزيد بن قيس الأرحبي ، فركب عليّ إليهم إلى حروراء ، فجعل يتخللهم ، حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس ، فطلى فيه ركعتين ، ثم خرج فاتكأ على قومه ، وأقبل على الناس ، ثم قال : هذا مقام من فليج فيه فليج يوم القيامة ، أنشدكم الله ، أعلمت أحداً منكم كان أكره للحكومة مني ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : فعلام خالقموني ونابدتموني ؟ قالوا : إننا أتينا دنبا عظيماً ، فتبنا إلى الله ، فتب إلى الله منه واستغفره نعد لك ؟ فقال عليّ : إني أستغفر الله من كل ذنب ، فرجعوا معه ، وهم ستة آلاف . فلما استقرّوا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينفض إلى الشام ، فأتى الأشعث بن قيس عليّاً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفرأ !! فخطب عليّ الناس فقال : من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضلُّ ، فخرجت الخوارج من المسجد ، فحكمت ، فقيل لعليّ : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس ، فلما صار إليهم رَجَبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جِباهاً قريحةً لطول السجود ، وأيدياً كثفناات الإبل ، و عليهم قمصٌ مرحضةٌ ، وهم مشمرون ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئتكم من عند رسول الله ﷺ وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، و من عند المهاجرين والأنصار ، قالوا : إننا أتينا عظيماً حين حكمتنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم ! أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أربب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم ، فقال : فأنشدكم الله ، هل علمتم أن رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟ قالوا : نعم ،

ولكن علياً محاً نفسه من إمارة المسلمين ، قال ابن عباس : ليس ذلك بزيها عنه ، وقد محاً رسول الله ﷺ اسمه من النبوة ، وقد أخذ عليُّ على الحكمين أن لا يجورا ، وإن يجورا فعليُّ أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعي مثل دعوى عليٍّ ، قال : فأبشها رأيتموه أولى فولثوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : و متى جار الحكمان فلا طاعة لها ولا قبول لقولها ، قال : فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف ، فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء ، وقال متى كانت حربٌ فرئيسكم شيب بن ربيعة الرياحيُّ ، فلم يزالوا على ذلك يومين ، حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبيُّ ، قال : ومضى القوم إلى النهروان ، وكانوا أرادوا المضي إلى المدائن . قال الأخفش : كذا كان يقول المبرد « النهروان » بكسر النون والراء ، وإنما هو « النهروان » بالفتح : وانشد للطرماح :

قَلَّ في شَطِّ نَهْرٍ وانْ اغْتاضِي

• • •

قال أبو العباس : فمن طريف أخبارهم : انهم أصابوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني ، فقالوا : احفظوا ذمة نبيكم !! ولقيهم عبد الله بن خبابٍ وفي عنقه مصحفٌ ، ومعه امرأته وهي حاملٌ ، فقالوا له : إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا ان نقتلك ! قال : ما أحيا القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه ، فوثب رجلٌ منهم على رُطبةٍ فوضعها في فيه ، فصاحوا به فلفظها تورعاً ، وعرض لرجلٍ منهم خنزيراً فضربه الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض !! فقال عبد الله بن خبابٍ : ما علي منكم بأس ، إني لمسلم ، قالوا له : حدثنا عن أبيك ؟ قال سمعت ابي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، فكن عبد الله المقتول ، ولا تكن القاتل » . قالوا : فما تقول في أبي بكرٍ وعمر ؟ فأثنى خيراً ، فقالوا : فما تقول في عليٍّ أميرِ

الؤمنين قبل التحكيم ، وفي عثمان ست سنين ؟ فأنى خيراً ، قالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول : إن علياً أعم بكتاب الله منكم ، وأشدُّ توكيلاً على دينه ، وأنفذ بصيرةً ، قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، إنما تتبع الرجال على أسمائنا ! ثم قربوه إلى شاطئ النهر ، فذبحوه ، فامدقروا دمه ، أي : جرى مستطيلاً على دقة . وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له ، فقال : هي لكم ، فقالوا : ما كنا لناخذها إلا بئس ! قال ما أعجب هذا ، أنقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جني نخلة ؟

ومن طريف أخبارهم : أن غيلان بن خرشة الضبي سمر ليلة عند زيادٍ ومعه جماعة ، فذكر أمر الخوارج ، فألقى عليهم غيلان ، ثم انصرف بعد ليل إلى منزله ، فلقه أبو بلال مرداس بن أدية فقال له : يا غيلان ! قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق ، من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ، ما يؤمنك أن يلقاك رجلٌ منهم ، أحرص والله على الموت منك على الحياة ، فينفذ حضنك برمحه ؟ فقال غيلان : لن يبلغك أني ذكرتهم بعد هذه الليلة .

ومرداسٌ تتحله جماعة من أهل الأهواء ، لقصفه وبصيرته ، وصحة عبادته ، وظهور ديانته ، وبيانه . تتحله المعتزلة ، وترغم انه خرج منكراً لجور السلطان ، داعياً إلى الحق . وتحتج له بقوله لزيد حيث قال على المنبر : والله لا أخذنُ الحسن منكم بالسيء ، والحاضر منكم بالغائب ، والصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، فقام إليه مرداسٌ فقال : قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ يقول : ( وإبراهيمَ الذي وفى ، ألا توررُّ وازرةٌ وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزاهُ الجزاء الأوفى ) وأنت ترغم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ، ثم خرج في عقب هذا اليوم . والشيعُ تتحله ، وترغم أنه كتب إلى الحسين إن علياً صلواتُ الله عليه : أما إني لست أرى رأي الخوارج ، وما أفا إلا على دين أبيك .

وهذا رأيٌ قد استهوى جماعةً من الأشراف . يُروى : أنت المنذر بن  
 لجرود كان يرى رأي الحوارج . وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن  
 يوسف يراه . وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه . وكان  
 عدّة من الفقهاء يُنسبون إليه ، منهم عكرمة مولى ابن عباس . وكان يقالُ  
 ذلك في مالك بن أنس ، ولعل هذا يكون باطلاً . ويروى الزُّبيريون :  
 أن مالك بن أنس المدني كان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزُّبير ، فيقول :  
 والله ما اقتلوا إلا على التّريد الأعفر !

فأمّا أبو سعيد الحسن البصريُّ فإنه كان يُنكرُ الحكومة ، ولا يرى  
 رأيهم ، وكان إذا جلس فتمكّن في مجلسه ذكر عثمان فتوحّم عليه ثلاثاً ، ولعن  
 قتله ثلاثاً ، ويقولُ : لو لم تلعنهم للعنا ، ثم يذكر علياً فيقولُ : لم يزل  
 أمير المؤمنين عليٌّ رحمه الله يتعرّفه النصر ، ويساعده الظفر ، حتى حكم ،  
 فلم تُحكّم والحقُّ معك ؟ ألا تمضي قدماً لا أبالك وأنت على الحقِّ ؟!

\* \* \*

قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جفاءٌ ، والعرب تستعملها عند الحثِّ على  
 أخذ الحقِّ والإغراء ، وربما استعملتها الجفافة من الأعراب عند المسألة والطّلب ،  
 فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر في امر رعيتك لا أبالك ! وسمع سليمان بن  
 عبد الملك رجلاً من الأعراب في سنةٍ جديدةٍ يقول :

ربّ العباد مالنا ومالكنا قد كنت تسقينا فما بدا لكنا

اتزل علينا الغيث لا أبالكنا

فأخرجه سليمان أحسن محرّج ، فقال أشهد أنه لا أبأ له ولا ولد ولا صاحبة ،  
 وأشهد أن الخلق جميعاً عباده . وقال رجلٌ من بني عامر بن صعصعة أبعد من  
 هذه الكلمة لبعض قومه :

أبني عقيل لا أبأ لأبيكم أبي وأيُّ بني كلابٍ أكرم

وقال رجلٌ من طيِّبٍ ، أنشده أبو زيد الانصاري :

ياقرط قرط حيّ لا أبالكم      ياقرط قرط حيّ لا أبالكم  
أن روى مرقش واصطاف أعزّه      أن روى مرقش واصطاف أعزّه  
قلتم له اهج تيماً لا أبالكم      قلتم له اهج تيماً لا أبالكم  
فإن بيت تيم نو سمعت به      فإن بيت تيم نو سمعت به

قوله « ياقرط قرط حيّ » نصبها معاً أكثر على السنة العرب ، وتأويلها :  
أنهم أرادوا « ياقرط حيّ » فأقحموا « قرطاً » الثاني توكيداً ، وكذلك لجرير :

ياتيم تيم عديّ لا أبالكم      لا يلقينكم في سونةٍ عمر  
ومثله لعمر بن لُجّاء :

يازيد زيد العملات الذبيل      تطاول الليل عليك فانزل

فإن لم ترد التوكيد والتكرير لم يجزّ إلا رفع الأول « يازيد زيد العملات »  
و « ياتيم تيم عديّ » كما تقول « يازيد أخا عمرو » على النعت . ومثل الأول  
في التوكيد « يابؤس للحرب » أراد : يابؤس الحرب ، فأقحم اللام توكيداً ؛  
لأنها توجب الإضافة . وعلى هذا جاء « لا أبالك » و « لا أبأ لزيد » ولولا  
الإضافة لم تثبت الألف في الأب ؛ لأنك تقول : رأيتُ أباك ، فإذا أفردت  
قلت : هذا أبٌ صالحٌ . وإنما كانت « لا أباك » كما قال الشاعر :

أبالموت الذي لا بدّ أني      مُلاقٍ لا أباكٍ مُتخوفيني  
وقال آخرٌ :

وقدمات شماغٍ ومات مزودٌ      وأيُّ كريمٍ لا أباكٍ مُجحدٌ

وقوله : « أن روى مرقش » « مرقش » رجلٌ . و « روى » استقى  
لأهله ، يقال : فلانٌ راويةٌ أهله : إذا كان يستقي لأهله ، والتي على البعير  
والحمار مزادةٌ ، فإذا كبوتٌ وعظمتٌ وكانت من ثلاثة آدميةٍ فهي المثلثةٌ ،  
وأصغر منها السطّيحةُ ، وأصغرُهن الطَّبْعُ .

وقوله « واصطاف أعزّه » يريد : اقتعلت ، من الصِّيف ، أي : أصابت البقل فيه .

و « التَّلعة » : ما ارتفع من الأرض في مُستقرِّ المسيل إذا تجافى السيلُ عن مَتته ، وجمعه « تلاع » .

وقوله : « ذُو سمعت به » يريد : الذي ، وكذلك تفعلُ طيبةٌ ، تجعلُ « ذُو » في معنى « الذي » ، قال زيدُ الحيلُ لبني فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال :

إني أرى في عامرٍ ذُو تَرَوْن

وقال عارقُ الطائيُّ :

فإن لم يُغيرْ بعضُ ما قد فعلتمْ  
لأنتحينُ للعظمِ ذُو انا عارقهُ  
يريد : الذي ..

ومن مُظرفاء المحدثين البانية من يعملُ هذا اعتماداً لإيثار لغة قومه ، قال الحسنُ ابن هانئ الحكمي :

مُحب المدامة ذُو سمعت به  
وقال حبيبُ بن أوسِ الطائي :  
أنا ذُو عرفتِ فإن عرتك جهالةٌ  
وقال الحسنُ بنُ وهبِ الحارثي :  
عللاني بذكرها عللاني  
أنا ذُو لم يزلْ يهونُ على الند  
ويكونُ العزيزُ في ساعة الرو  
لم يُبقِ في غيرها فضلا  
فأنا المقيمُ قيامة العذال  
واسقياني أو لا فمن تسقيان  
مان إن عزَّ جانبُ الندمان  
ع بصدق الطعان يوم الطعان

\* \* \*

عاد الحديثُ إلى ذكر الخواارج :

قال أبو العباس ، وكان في جهة الخواارج لندٌ واحتجاجٌ ، على كثرة

خطباتهم وشعراتهم ، وتفاذ بصيرتهم ، وتوطن أنفهم على الموت ، فمنهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه إلى قاتله وهو يقول : ( وعجلت إليك رب لترضى ) .

ويروى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قال : « سيام التحليق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، علامتهم رجل مخدج اليد » . وفي حديث عبد الله بن عمرو : « رجل يقال له عمرو ذو الحويصرة ، أو الحيصرة » . وروى عن النبي ﷺ : « أنه نظر إلى رجل ساجد ، إلى أن صلى النبي عليه السلام ، فقال : ألا رجل يقتله ؟ فحسرت أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال : أقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ؟ فقال النبي عليه السلام : ألا رجل يفعل ؟ ففعل عمر مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره ، فقال رسول الله ﷺ : لو قتل لكان أول فتنه وآخرها » .

ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام ، فقال أبو مريم : والله إن كان معنا لفي المسجد وكان فقيراً ، وكان يحضر طعام أمير المؤمنين علي إذا وضعه للمسلمين ، ولقد كسوته برنسا لي ، فلما خرج القوم إلى حروراء قات : والله لأنظرن إلى عسكرهم ، فجعلت أتخللهم حتى صرت إلى ابن الكواء وشبث بن ربعي ، ورسل علي تناشدم ، حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لبعلي ، فضرب دابته بالسيف ، فحمل الرجل مرجه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم انصرف القوم إلى الكوفة ، فجعلت أنظر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد ، فرأيت المخدج ، وكان مني قريباً ، فقلت : أكنت مع القوم ؟ فقال : أخذت سلاحي أريدكم فإذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي ! فلما كان يوم البهر قال علي أمير المؤمنين : اطلبوا المخدج ، فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك علياً ، وحتى قال رجل : لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم ،

فقال عليّ : والله ما كذبت ولا كذبت ، فبهاء وجلّ فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنين ، فخر عليّ ساجداً ، وكان إذا أتاه ما يسرُّ به من الفتوح سجد ، وقال : لو أعلم شيئاً أفضل منه لفعلته ، ثم قال : سياه أن يده كالثدي ، عليها شعرات كشارب السنور ، يتوني يده المجدجة ، فأتوه بها ، فنصبها .  
ويروى عن أبي الجلد : أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفي وإلى نظره وتوغله وتعمقه ، فقال : إني لأجد لجهنم سبعة أبواب ، وإن أشدها حرّاً للخوارج ، فأحذر أن تكون منهم .

قال : وكان نافع بن الأزرق يتجمع عبد الله بن العباس فيسأله ، فله عنه مسائل من القرآن وغيره ، قد رجع إليه في تفسيرها ، فقبله واتحلّه ، ثم غلبت عليه الشقوة . ونحن ذاكرون منها صدراً إن شاء الله .

• • •

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميُّ النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه ( والليل وما وسق ) فقال ابن عباس : وما جمع ، فقال : أتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً ؟

هذا قول ابن عباس ، وهو الحق الذي لا يقدر فيه قادحٌ . ويعرض القول فيحتاج المبتدئ إلى أن يزداد في التفسير .

قوله : « حقائقاً » إنما بنى الحقّة من الإبل ، وهي التي قد استحققت أن يحمل عليها ، على « فعيلة » مثل « حقيقة » ولذلك جمعها على « حقائق » . ويقال : « استوسق » القوم : إذا اجتمعوا .

وروى أبو عبيدة في هذا الإسناد ، وروى ذلك غيره ، وسمناه من غير وجهٍ : أنه سأله عن قوله عز وجل : « قد جعل ربك تحتك سرياً » فقال ابن عباس : هو الجدول ، فسأله عن الشاهد : فأنشده :

سَلماً تَرَى الدَّالِجَ مِنْهَا أَزُوراً      إِذَا يَبْعُجُ فِي السَّرِيِّ هَرَمِراً  
« السَّمُّ » : الدُّرُّ الَّذِي لَهُ عَرُودٌ وَاحِدَةٌ ، وَهُوَ دَلُّ السَّقَائِنِ ، وَهُوَ الَّذِي  
ذَكَرَهُ طَرِيقَةُ فَقَالَ :

لَهَا مَرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّهَا      أَمْرًا بِسَلْمِي دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ  
و « الدَّالِجُ » ، الَّذِي يَمْشِي بِالدُّلُوبِ بَيْنَ الْبَثْرِ وَالْحَوْضِ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يُنْشِدُونَ :  
« تَرَى الدَّالِيَّ مِنْهُ أَزُوراً » وَهَذَا خَطَأٌ لِأَوْجِهِ لَهُ .

وَرَوَى أَبُو عَيْبَةَ وَغَيْرُهُ : أَنَّ نَافِعًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ ( عَتَلِيَّ  
بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ) : مَا الزَّيْمُ ؟ قَالَ : هُوَ الدَّعِيُّ الْمَلْزُوقُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ  
حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

زَيْمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً      كَأَزِيدٍ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْكَرْعُ ؟

وَيَزَعُمُ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اسْتِثْقَالَ ذَلِكَ مِنَ الزَّيْمَةِ الَّتِي يَجْلُتِقِ الشَّاةُ ، كَمَا يَقُولُونَ  
لِمَنْ دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ : زَعْنَفَةٌ وَلِلْجَمْعِ « زَعَانِفٌ » ، وَ « الزَّعْنَفَةُ »  
الْجَنَاحُ مِنَ الْأَجْنَحَةِ السَّمَكِ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : كَذَا قَالَ « زَعْنَفَةٌ »  
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ « زَعْنَفَةٌ » بِكسْرِ الزَّايِ وَهُوَ الْوَجْهُ .

وَيُرْوَى عَنْ غَيْرِ أَبِي عَيْبَةَ : أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ جَلٌّ اسْمُهُ ( وَالتَّقْتِ السَّاقُ  
بِالسَّاقِ ) ؟ قَالَ الشَّدَّةُ بِالشَّدَةِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّاهِدِ ؟ فَأَنْشَدَهُ :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّتْهَا      وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَقَرَأْتُ عَلَى عِمَارَةَ بْنِ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ قَصِيدَةَ جَرِيرٍ ،  
الَّتِي يَهْجُو فِيهَا آلَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ، وَيَمْدِحُ هَلَالَ بْنَ أَحْوَزَ الْمَازِنِيَّ ، وَيَذَكُرُ  
الْوَقْعَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ عَلَيْهِمُ بِالسَّنَدِ فِي سُلْطَانِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِسَبَبِ  
خُرُوجِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ عَلَيْهِ :

أَقُولُ لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ لَيْسَ طَوَّلَهَا      كَطَوَّلِ اللَّيَالِي لَيْتَ صُبْحِكَ نَوَّارَا  
أَخَافُ عَلَى نَفْسِ ابْنِ أَحْوَزَ إِنَّهُ      جَلَّأَ حُمَامًا فَوْقَ الْوَجْهِ فَاسْفَرَا

قال الشيخ أبو يعقوب : الذي رويت في شعر جرير :  
 حذاراً على نفس ابن أحوز إنه جلا كل وجه من معدٍ فأسفرا  
 وقوله « عدي » ، يعنى عدي بن أرطاة الفزاري ، قتله معاوية بن يزيد بن  
 المهلب بواسط ، وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله :  
 جعلت لقبر للخيار ومالك وقبر عدي في المقابر أقبرا  
 ويروى « للخيار وواسط » الحيار : موضع بعان ، فيه قبر الحيار بن سبرة  
 الجاشعي ، وواسط : بها قبر عدي بن أرطاة الفزاري .  
 وأطفات نيران المزون وأهلها وقد حاولوها فتنة أن تسعرا  
 « المزون » عمان ، بالفارسية .

فلم تبق منهم راية يعرفونها ولم تبق من آل المهلب عسكرا  
 الأرب ساسي الطرف من آل مازن إذا شممت عن ساقها الحرب شمرا  
 فهذا نظير ذلك . و « المزون » عمان . قال الكمي :  
 فأما الأزد أزد أبي سعيد فاكره أن أسميا المزونا  
 وقال آخر يعني الحرب :

فإن شممت لك عن ساقها فويها حذيف ولا تسم  
 تقول : « ويها لزيد » إذا زجرته عن الشيء فأغريته به . و « واهاله » :  
 إذا تعجبت منه . و « حذيف » يريد حذيفة ، فرخم .

ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه : أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس  
 فقال : أرأيت نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم ، مع ما خوله الله وأعطاه ، كيف  
 عني بالهدهد على قلته وضوولته ؟ فقال له ابن عباس : إنه احتاج إلى الماء ،  
 والهدهد قنأ ، الأرض له كالزجاجة ، يرى باطنها من ظاهرها ، فسأل عنه  
 لذلك . قال ابن الأزرق : قف ياوقاف ! كيف يبصر ما تحت الأرض  
 والفتح يغطي له بقدر إصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه ؟ فقال  
 ابن عباس : ويحك يا ابن الأزرق ! أما علمت أنه إذا جاء القدر عشي  
 البصر ؟ !

وبما سأله عنه ( الم ، ذلك الكتاب ) فقال ابن عباس : تأويله : هذا القرآن . هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهداً عن ابن عباس ، وأنا أحسبه أنه لم يقبله إلا بشاهد ، وتقديره عند النحويين إذا قال « ذلك الكتاب » : أنهم قد كانوا وُعدوا كتاباً ، هكذا التفسير ، كما قال جل ثناؤه : ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) يعني بذلك اليهود ، وقال : ( يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ) ، فعناه : هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه . وبيت خُفاف بن ندبة على ذلك يصحُّ معناه . وكان من خبره : أنه غزاه مع معاوية بن عمرو أخي خنساء ، مرة وفزارة ، فعمد ابننا حرمة دريد وهاشم المرثبان عمدة معاوية ، فاستطرد له أحدهما ، فحمل عليه معاوية ، فطعنه ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكناً ، وكان صميم الحليل ، فلما تادوا قتل معاوية :

قال خُفاف بن ندبة ، وهي أمه ، وكانت حبشية ، وأبوه عمير ، وهو أحد بني سليم بن منصور : قتلني الله إن رمت حتى أثار به ، فحمل على مالك بن حمار ، وهو سيد بني شَمخ بن فزارة ، فطعنه فقتله ، فقال خُفاف بن ندبة :

إن تك خلي قد أصيبَ صيمها      فعمداً على عيني تيممت مالكا  
وقفت له علوى وقد خام صُحبتى      لأبني مجدأ أو لأثار هالكا  
أقول له والرُمح يَطر متته :      تأمل خفافاً إنني أنا ذلِكا

يريد : أنا ذلك الذي سمعت به . هذا تأويل هذا . وقوله « يَطر متته » أي يثني . يقال أطرَّت القوسَ آطرها أطرأ ، وهي مَطورة . و « علوى » فرسه . وبما سأله عنه قوله عز وجل : ( لهم أجرٌ غير ممنونٍ ) فقال ابن عباس : غير مقطوع ، فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ فقال : قد عرفه أخو بني يَشكر ، حيث يقول :

وترى خلفين من مرعة الرجب      مع منيناً كأنه أهباء  
قال أبو العباس : « منين » يعني الغبار ، وذلك أنها تقطعه قطعاً ورامها ، و « المنين » الضعيف المؤذن بانقطاع ، أنشدني التوزي عن أبي زيد :

باريتها إن سلمت يميني . وسلم الساق الذي يليني . ولم تخنني عقد المنين  
 تريد الحبل الضعيف ، فهذا هو المعروف ، ويقال « منين » و « ممنون » كقتيل  
 ومقتول ، وجريح وجروح ، وذكر التوزي في كتاب الأضداد أن « المنين »  
 يكون القوي ، يجعله « فعلاً » من « المنة » والمعروف هو الأول .  
 وقال غير ابن عباس : ( لهم أجر غير ممنون ) لا يُعمن عليهم فيكفروا  
 عندهم .

★ ★ ★

ويروى من غير وجه : أن ابن الأزرق أتى ابن عباس يوماً فجعل يائه  
 حتى أمله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبي  
 ربيعة على ابن عباس ، وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس :  
 ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر	غداة غد أم رانح فمهجّر ؟
مراجعة نفس لم تقل في جوابها	قتيلغ عنراً والمقالة تعذر
تيم إلى نعم فلا الشمل جامع	ولا الحبل موصل ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم إن دنت لك نافع	ولا نأيا يسلي ولا أنت تصبر
وأخرى أنت من دون نعم ومثلها	نهي ذا النهي لو يرعوي أو يفكر
إذا زرت نعماً لم يزل ذو قرابة	لها كلها لاقته يتنمر
عزيز عليه أن أمر يابها	مسر لي الشحاء والبغض مظهر
ألكني إليها بالسلام فإنه	يشهر إلماي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها	يدفع أكنات هذا الشهر ؟
قفي فانظري بأسم هل تعرفينه ؟	أهذا المغيري الذي كان يذكر ؟
أهذا الذي أطربت نعتاً فلم أكن	وعيشك أنساه إلى يوم أقبر ؟!
فقلت : نعم ، لا شك غير لونه	سرى الليل يحيي نضه والنهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا	عن العهد والإنسان قد يتغير

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضى وأما بالعشي فيخسر حتى أتتها ، وهي ثانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : الله أنت يا ابن عباس ! أنضرب إليك أكباد الإبل ، نسألك عن الدين ، فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش ، فيشدك سفهاً فتمعه ؟! فقال : والله ما سمعت سفهاً ، فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيغزى وأما بالعشي فيخسر ؟  
فقال : ما هكذا قال ، إنما قال « فيضى وأما بالعشي فيخسر » قال :  
أو تحفظ الذي قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ، ولو شئت أن  
أردتها لرددتها ! قال : فارددها ؟ فأنشده إياها كلها .

وروى الزبيريون : أن نافعاً قال له : ما رأيت أروى منك قط ، فقال له  
ابن عباس : ما رأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من علي .

وقوله « فيضى » يقول : يظهر للشمس . و « يخسر » يقول : في البردين ،  
فاذا ذكر العشي فقد دل على عيب العشي . قال الله تبارك وتعالى : ( وأنك  
لا تظلم فيها ولا تضحي ) « والضح » الشمس ، وليس من « ضحيت »  
يقال : جاء فلان بالضح والريح ، يُراد به الكثرة . قال علقمة :

أغرأ أبرزه للضح راقبه مقلد قضب الرعيان مغموم  
له « فغمة » أي : رائحة طيبة ، يعني إربيقاً فيه شراب . وفي الحديث :  
« أن رسول الله ﷺ لما توجه إلى تبوك جاء أبو خيثة ، وكانت له امرأتان ،  
وقد أعدت كل واحدة منها من طيب ثمر بستانه ، ومهدت له في ظل ،  
فقال : أظل ممدود ، وثمره طيبة ، وماء بارد ، وامرأة حسنة ، ورسول  
الله في الضح والريح !؟ ما هذا بخير ، فركب ناقته ومضى في أثره . وقد  
قيل لرسول الله ﷺ في نفر تخلفوا ، أبو خيثة أحدهم ، فجعل لا يذكر  
له أحد منهم إلا قال : دعوهُ فإن يُرد الله به خيراً بلحقه بكم ، فقيل ذات  
يوم : يا رسول الله ! نرى رجلاً يرفعه الآل ، فقال رسول الله ﷺ كن أبا  
خيثة ، فكان هو .

وإذا انبسطت الشمس فهو « الضحى » مقصورٌ ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينها مقدارُ ساعةٍ أو نحو ذلك فذلك « الضحَاءُ » ممدودٌ مفتوحُ الأولِ .

★ ★ ★

وذكرت الرواة : ان الحجاجَ أتىَ بامرأةٍ من الخوارج ، وبحضرتة يزيدُ ابن ابى مسلمٍ مولاه ، وكانت يستسیرُ برأى الخوارج ، فكلمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه ، فقال لها يزيد بن ابى مسلمٍ : الأميرُ وئيلك بكلمك ! فقالت : بل الويل والله لك يا فاسقُ الرَّذِي . « والرَّذِي » عندَ الخوارج : هو الذي يعلم الحقَّ من قولهم ويكتمه .

وذكروا انَّ عبدَ الملك بن مروان أتىَ برجلٍ منهم فبحثهُ ، فرأى منه ما شاءَ فهماً وعلماً ، ثم بحثهُ ، ذرأى ما شاءَ إرَباً ودَهياً ، فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه ، فراه مُستبصراً محققاً ، فزاد في الاستدعاء ، فقال له : لِتَغْنِكَ الأولى عن الثانيةِ ، وقد قلت فسمعتُ ، فاسمعَ أقلُّ ، قال له : قلُّ ، فجعل يبسطُ له من قولِ الخوارجِ ويُزَيِّن له من مذهبهم بلسانٍ طلقٍ وألفاظٍ بيّنةٍ ومعانٍ قريبةٍ ، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته : لقد كاد يُوقِع في خاطري ان الجنة خلقت لهم ، وأنى أولى بالجهادِ منهم ، ثم رجعت إلى ما ثبت اللهُ عليَّ من الحجةِ وقرَّر في قلبي من الحقِّ ، فقلت له : لله الآخرةُ والدنيا ، وقد سلطني الله في الدنيا ، ومكّن لنا فيها ، وأراك لست تجيب بالقولِ ، والله لاقتلنك إن لم تطيعَ ، فأنا في ذلك إذ دخل عليَّ بابني مروان - قال ابو العباس : كان مروان أخا يزيدَ لأمه ، أمُّها عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية ، وكان ابناً عزيزَ النفس ، فدخِلَ به في هذا الوقتِ على عبد الملك - باكياً لضربِ المؤدّبِ إياه ، فشقَّ ذلك على عبد الملك ، فأقبلَ عليه الخارِجي ، فقال له : دَعَه يبكُ ؛ فإنه أرحبُ لِشِدْقِهِ ، وأصحُّ لدماغه ، وأذهبُ لصوتِهِ ، وأحرى ان لا تآبى عليه عينهُ إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها ، فأعجبَ

ذلك من قوله عبد الملك ، فقال له متعجباً : أما يشغلك ما أنت فيه وبعرضه  
عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي ان يشغل المؤمن عن قول الحق شيء ، فأمر  
عبد الملك بحبسه ، وصفح عن قتله ، وقال بعد يعتذر إليه : لولا ان تقسد  
بالفاظك اكثر رعيتي ما حبستك ، ثم قال عبد الملك : من شككني ووهمني  
حتى مات بي عصمة الله فغير بعيد ان يستهوي من بعدي . وكان عبد الملك  
من الرأي والعلم بموضع .

وترجم الرواة : ان رجلاً من اهل الكتاب وفد على معاوية ، وكان موصوفاً  
بقراءة الكتب ، فقال له معاوية : اتجد نعني في شيء من كتب الله ؟ قال :  
إي والله ، لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم ! قال : فكيف  
تجدني ؟ قال أجده اول من يحول الخلافة ملكاً ، والحشة لنا ، ثم إن  
ربك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ ، قال معاوية : فسري عني ، ثم قال : لا تقبل  
هذا مني ، ولكن من نفسك ، فاخبر هذا الخبر ! قال : ثم يكون ماذا ؟  
قال : ثم يكون منك رجل شرابٌ للخمر ، سفاكٌ للدماء ، يحتجن الأموال ،  
ويصطنع الرجال ويحنب الحيول ، ويبيع حرمة الرسول ! قال : ثم ماذا ؟  
قال : ثم تكون فتنة تشعب بأقوام حتى يفضي الأمر بها إلى رجل أعرف  
نعتة ، يبيع الآخرة الدائمة بجزء من الدنيا نخسوس ، فيجتمع عليه ، من  
آلك وليس منك ، لا يزال لعدوه قاهراً ، وعلى من ناواه ظاهراً ، ويكون له  
قرينٌ ميينٌ لعين ! قال : أفترمه إن رأيت ؟ قال : شتما ، فأراه من بالشام  
من بني أمية ، فقال : ما أراه هنا ، فوجه به إلى المدينة مع ثقات من  
رسله ، فإذا عبد الملك يسعى مؤتزرأ في يده طائرٌ ، فقال للرسل : ما هو ذا ،  
ثم صاح به : إليّ أبو من ؟ قال : أبو الوليد ، قال : يا أبا الوليد ! إن  
بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى  
نعلم مقدارها من الجعل ؟ قال : أن تملك الأرض ! قال : ما لي من مال ،  
ولكن أرايتك إن تكلفت لك جعلاً أنال ذلك قبل وقته ؟ قال : لا ،

قال : فإن حرمتك أتوخره عن وقته ؟ قال : لا ، قال : فمحبك ما سمعت !!  
فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يبدأ عنده مجازيه بها في  
مخلفته في وقته .

وكان عبد الملك من أكثر الناس علماً . وأبرعهم أدباً ، وأحسنهم في شيبته  
ديانةً ، فقتل عمرو بن سعيد ، وتسمى بالخلقة ، فسلم عليه بها أوّل  
تسليمه ، والمنصف في حجره ، فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك !!

قال أبو العباس : وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في إسناده ذكره :  
أن عبد الملك كان له صديق ، وكان من أهل الكتاب ، يقال له يوسف ،  
فأسلم ، فقال له عبد الملك يوماً - وهو في عنقوان نسك ، وقد مضت  
جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري ، من مرة غطفان - يريد  
المدينة - : ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله ﷺ ؟ ! فقال  
له يوسف : جيشك والله إلى حرم رسول أعظم من جيشه ! فنفض عبد الملك  
ثوبه ، ثم قال : معاذ الله ! قال له يوسف : ما قلت شاكاً مُرتاباً ، وإني  
لأجدك بجميع أوصافك ، قال له عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : ثم يتداولها  
وهطك ، قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان .

قال : وحدثت عن ابن جعدبة ، قال : كنت عند أمير المؤمنين  
المنصور ، في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ،  
قال : فغمة ذلك ، حتى امتنع من الغداء في وقته ، وطال عليه فكره ،  
فقلت : يا أمير المؤمنين ! أحدثك حديثاً ؟ كنت مع مروان بن محمد ، وقد  
قصده عبد الله بن علي ، قال : فإننا لكذلك إذ نظر إلى الأعلام السود من  
بعدي ، فقال : ما هذه البغت المجللة ؟ قلت : هذه أعلام القوم ، قال : فمن  
تحتها ؟ قلت : عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، قال : وأبهم عبد  
الله ؟ فقلت : الفتي المعروق الطويل ، الحفيف العارضين ، الذي رأته في وليمة  
كذا يأكل فيجيد ، فسألني عنه فنسبته لك ، فقلت : إن هذا الفتي لتلقامة ،

قال : قد عرفته ، والله لوددتُ أن عليّ بن أبي طالبٍ مكانه ، قال : فقال لي المتصورُ : آله لسمعت هذا من مروان بن محمدٍ ؟ قلتُ : والله لقد سمعتهُ منه ، قال : يا غلامُ ! هات الغداء .

\* \* \*

قال أبو العباس : وكان أهل النخبة جماعةً بعد أهل النهروان ، بمن فارق عبد الله بن وهبٍ ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب ، ومن كان أقام بالكوفة ، فقال : لا أقاتلُ عليّاً ولا أقاتلُ معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا ، وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائمٌ يقالُ له المستوردُ ، من بني سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمدٍ ، ثم قال : إنَّ رسول الله ﷺ أتانا بالعدل ، تحقق رايته ، معلناً مقالته ، مبلغاً عن ربّه ، ناصحاً لأمتّه ، حتى قبضه الله غيراً مختاراً ، ثم قام الصديق فصدق عن نيته وقاتل من ارتدَّ عن دين ربّه ، وذكر أن الله عزَّ وجلَّ قرن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طعنٌ على الأخرى ، لابن علي جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام بعده الفاروق ، ففرق بين الحقِّ والباطل ، مسوياً بين الناس في إعطائه ، لا مؤثراً لأقاربه ، ولا محكماً في دين ربّه ، وها أنتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : ( وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ) فكلُّ أجاب وبابيع ، فوجه إليهم عليُّ بن أبي طالبٍ عبد الله بن العباس داعياً ، فأبوا ، فسار إليهم ، فقال له عفيف بن قيسٍ : يا أمير المؤمنين ! لا تخرج في هذه الساعة ؛ فإنها ساعة نحس لعدوك عليك ! فقال له عليٌّ : توكلت على الله وحده ، وعصيت رأي كلِّ متكهنٍ ، أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟ ! « إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها ، إن ربي على صراطٍ مستقيمٍ » ، ثم سار إليهم فطعنهم جميعاً ، لم يفلت منهم إلا خمسةٌ ، منهم المستورد ، وابن جوين الطائيُّ ، وفروة بن شريك الأشجعيُّ ، وهم الذين ذكروهم الحسن البصريُّ ، فقبال : دعاهم إلى دين الله

فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرخوا واستكبروا استكباراً ، فسار إليهم أبو حسن فطحنهم طحناً .

وفيه يقول عمران بن حطان :

يوم النخيلة عند الجوسق الحرب

إني أدن بما دان الثرارة به

وقال الحميري يعارض هذا المذهب :

يوم النخيلة من قتل المحلينا

إني أدن بما دان الوصي به

وشاركت كفه كفي بصفينا

وبالذي دان يوم النهر دنت به

ومثلها فاسقتي أمين آمينا

تلك الدماء معاً يارب في عنقي

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس : إذ كان عليّ على حقٍ لم يشكك

فيه وحكمم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب ؟ فقال لهم ابن عباس : قد

سمعت الجواب في التحكيم ، فأما قولكم في السباء أفكنتم ما بين أممكم عائشة ؟!

فوضعوا أصابعهم في آذانهم ، وقالوا : أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس !

فإنه طلق ذلوق ، غواص على موضع الحجة . ثم خرج المستورد بعد ذلك بدمية

على المغيرة بن شعبة ، وهو والي الكوفة ، فوجه إليه معقل بن قيس الرياحي ،

فدعاه المستورد إلى المبارزة ، وقال له : علام يقتل الناس بيني وبينك ؟ فقال

له معقل : النصف سألت ، فأقسم عليه أصحابه ، فقال : ما كنت لأبى عليه ،

فخرج إليه ، فاختلفا ضربتين ، فخر كل واحدٍ منها ميتاً .

وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آداب يوصي بها وهي

محفظة عنه .

كان يقول : إذا أفضيتُ بسري إلى صديقي فأفشاء لم أله ، لأنني كنتُ

أولى بحفظه .

وكان يقول : لا تنفس إلى أحدٍ مرآ ، وإن كان مخلصاً ، إلا على

جهة المشاورة .

وكان يقول : كُنْ أحرص على حفظ مرءٍ صاحبك منك على حقن

دمك .

وكان يقول : أوّل ما يدلّ عليه عائذُ الناسِ معرفتهُ بالعبوب ، ولا يعيبُ إلا معيبٌ .

وكان يقول : المال غير باقٍ عليك ، فاشتر من الحمد ما يبقى عليك .

وكان يقول : بذلُ المالِ في حقّه استدعاءٌ للزيد من الجواد .

وكان يُكثرُ أن يقولَ : لو مُلكت الأرضَ بمخادفيهما ثم دعيتُ إلى أن أستفيدَ بها خطيئةً ما فعلتُ .

★ ★ ★

قال : وخرجت الخوارجُ ، واتصل خروئُها ، وإيما تذكر منهم من كان ذا خبرٍ طريفٍ ، واتصلت به حكمٌ من كلامٍ وأشعارٍ .

فأول من خرج بعد قتل عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام حوثةُ الاسديّ ، فإنه كان مُتعباً بالبندنيين ، فكتب إلى حابسِ الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه ، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية ، فأجابهُ ، فرجعاً إلى موضع أصحاب النخيلة ، ومعاويةُ بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن عليّ ابن أبي طالب صلواتُ الله عليه ، بعد أن بايعهُ الحسن والحسين عليهما السلام ، وقيس بن سعد بن عبادة ، ثم خرج الحسن يريدُ المدينة ، فوجهَ إليه معاويةُ وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم ، فقال الحسن : والله لقد كفت عنك لحقن دماء المسلمين ، وما أحسبُ ذلك يسعني ، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أوّلَى بالقتال منهم ؟! فلما رجع الجوابُ إليه وجهَ إليهم جيشاً أكثرهم من أهل الكوفة ، ثم قال لأبيه أبي حوثة : اكفني أمر ابنك ، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع ، فأبى فأداره ، فصمم ، فقال له : يا بني ! أجيئك بابنك فلعلك تراه فتعن إليه ؟ فقال : يا أبت ! أنا والله إلى طعنة نافذةٍ أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوقُ مني إلى ابني ! فرجع إلى معاوية فأخبره الخبر ، فقال : يا أبا حوثة ! عتا هذا جداً ، فلما نظر حوثة إلى أهل الكوفة قال : يا أعداء الله ! أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانهُ ، واليوم تقاتلون

مع معاوية لتشدوا سلطانه !! فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز ، فقال : يا أبتِ !  
لك في غيري مندوحة ، ولي في غيرك عنك منهدب ، ثم حمل على القوم  
وهو يقول :

أُدررُ على هذي الجموع حوثه فغن قليل ما تال المغفرة  
فحمل عليه رجلٌ من طيءٍ فقتله ، فرأى أثر السجود قد لوح جبهته ، فندم على  
قتله ، ثم انهزم القوم جميعاً .

وأنا أحسب أن قول القائل :

وأجراً من رأيت بظهر غيبٍ على عيب الرجال ذوو العيوب  
إنما أخذه من كلام المستورد .

قال رجلٌ للمستورد : أريدُ أن أرى رجلاً عياباً ، قال : التمه بفضل  
معايبٍ فيه .

وقال العباسُ بن الأحنف يعاتب من اتهمه بإفشاء مرءه :

تعبت تطلب ما أستحق	به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهوتي	إذا كنت مارك لا يشهر
أمني تخاف انتشار الحديث	وحظي في ستره أوفر
ولو لم تكن في بقيا عليك	نظرت لنفسي كما تنظر

★ ★ ★

ويروى من حديث محمد بن كعب القرظي قال : قال عمارُ بن ياسرٍ :  
« خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات العشيرة . فلما قفلنا نزلنا منزلاً ،  
فخرجتُ أنا وعلي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه ننظرُ إلى قومٍ يعتملون ،  
فنعنا ، فمنا ، فسفت علينا الريح التراب ، فما نبها إلا كلام رسول الله ﷺ ،  
فقال لعليّ : يا أبا ترابٍ ! لما عليه من التراب ، أتعلم من أسقى الناس ؟ فقال :  
خبرني يا رسول الله ؟ فقال : أسقى الناس اثنان : أحمرٌ يهود الذي عقر الناقة ،

وأشقاها الذي يخضب هذه ، ووضع يده على لحيته ، من هذا ، ووضع يده على قرنه ، .

ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال : تلقاني أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه في الغلس ، فقال لي : من أنت ؟ قلت : عياض بن خليفة الخزاعي ، فقال : ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ، ووضع يده على لحيته وعلى قرنه .

ويروى : أنه كان يقول كثيراً - قال أبو العباس : أحبه عند الضجر بأصحابه - : ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا ؟

ويروى عن رجل من ثقيف أنه قال : خرج الناس يعقبون دوابهم بالمداين ، وأراد عليّ أمير المؤمنين السير إلى الشام ، فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم إليه ، وكان ابن عمّ لي في آخر من خرج ، فأتيت الحسن بن عليّ عليه السلام ذات عشية ، فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين إلى معقل بن قيس في التوفيه عن عمّي ، فإنه في آخر من خرج ، فقال : تغدو علينا والكتاب مختومٌ إن شاء الله تعالى ، فبت ليلي ، ثم أصبحت والناس يقولون : قتل أمير المؤمنين الليلة ، فأتيت الحسن ، وإذا به في دار عليّ عليه السلام ، فقال : لولا ما حدث لقضينا حاجتك ، ثم قال : حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال : يا بني ! إني صليت ما رزق الله ، ثم نمت نومة ، فرأيت رسول الله ﷺ ، فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد ، فقال : ادع الله أن يربحك منهم ، فدعوت الله ، قال الحسن : ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمت .

وحدثت من غير وجه : أن علماً لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشيةٌ ثم أفاق ، فدعا الحسن والحسين ، فقال : أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، ولا تأسفا على شيءٍ فاتكما منها ، اعملا الخير ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ثم دعا محمداً فقال : أما سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : بلى ، قال : فإني أوصيك به ، وعليك ببر أخويك

وتوقيرهما ومعرفة فضلها ، ولا تقطعُ أمراً دونها ، ثم أقبل عليها فقال :  
أوصيكما به خيراً ، فإنه شقيقكما وابنُ أهلكما ، وأنتما تعلمان أن أباكما كان  
محبباً ، فأجابه . فلما قضى عليّ كرم الله وجهه قالت أمّ العريان :

وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِ زَمَانًا نَرَى نَجْوَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا  
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا  
أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ فَلَا قَرَّتْ عُيُونَ الشَّامِتِينَ

ويروى : أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن  
قيس بن معدية كرب ، وأن حُجْرَ بن عديّ سمع الأشعث يقول له :  
فضحك الصبح ، فلما قالوا : قتل أمير المؤمنين قال حُجْرُ بنُ عديّ للأشعث :  
أنت قتله بأعور ! ويروى : أن الذي سمع ذلك أخو الأشعث ، عفيف بن  
قيس ، وأنه قال لأخيه : عن أمرك كان هذا بأعور !

\*\*\*

وأخبارُ الخوارج كثيرةٌ طويلةٌ ، وليس كتابنا هذا مفرداً لهم ،  
ولكننا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدبٌ ، أو شعراً مستطرفاً ،  
أو كلاماً من خطبةٍ معروفةٍ مختارة .

\*\*\*

تخرجُ قُريبُ بنُ مرّة الأزديُّ وزحافُ الطائي ، وكانا مجتهدين بالبصرة  
في أيام زيادٍ ، واختلف الناس في أمورهما ، أيها كان الرئيس ، فاعتراضاً الناس ،  
فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، فقتلاه ، وكان يقال له  
رؤبة الضبي ، وتنادى الناس ، فخرج رجلٌ من بني قطيعة من الأزد وفي  
يده السيف ، فناداه الناس من ظهور البيوت : الحرورية الحرورية ! انج  
بنفسك ، فنادوه : لسنا حرورية ، نحن الشرط ، فوقف فقتلوه ، وبلغ  
أبا بلال خبرهما ، فقال : قريب لا قرّبه الله من الخير ، وزحاف لا عفا الله

عنه ، ركباها عشواء مظلمة ، يريد اعتراضها الناس ، ثم جعل لايمران بقيعة إلا قتل من وجدا ، حتى مرّا ببني علي بن سؤد من الأزدي ، وكانوا رماة ، وكان فيهم مائة يجيدون الرمي ، فرمواهم رميا شديدا ، فصاحوا : يا بني علي ! البقيا ، لا رماة بيننا ، فقال رجل من بني علي :

لا شيء للقوم سوى السهام مشحونة في غلّس الظلام

فعدّ عنهم الحوارج ، وخافوا الطلب ، فاشتقوا مقبرة بني يشكر ، حتى نقلوا إلى مزينة ، ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها ، فجاءهم ثمانون ، وخرجت إليهم بنو طاحية بن سؤد وقبائل مزينة وغيرها ، فاستقل الحوارج فقتلوا عن آخرهم ، ثم غدا الناس إلى زياد فقال : ألا نهى كل قوم سفاهم ؟ يا معشر الأزدي ! لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم أرتتموها ، فكانت القبائل إذا أحست بتجارجية فيهم شدتهم وثاقا وأتت بهم زيادا ، فكان هذا أحدا ما يذكر من صحة تدبيره .

وله أخرى في الحوارج : أخرجوا معهم امرأة ، فظفر بها فقتلها ، ثم عرّتها . فلم تخرج النساء بعد علي زياد ، وكن إذا دعين إلى الخروج قلن : لولا التعرية لسارنا .

ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأة المختار - وليس هذا من أخبار الحوارج - أنكره الحوارج غاية الإنكار ، ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما ، لأنه أتى مانه عن رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين . وللخواص منهن أخبار ، فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عطبول  
قتلت باطلا على غير ذنب إن لله درها من قتل  
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات بحر الذبول

★ ★ ★

قال : وكانت الخوارج أيام ابن عامرٍ أخرجوا معهم امرأتين ، يقال لإحدهما كعينة ، والأخرى قطام ، فجعل أصحاب ابن عامرٍ يعيرونهم ويصيحون بهم : يا أصحاب كعينة وقطام ! يعرضون لهم بالفجور ، فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ، ويقول قائلهم : لا تقف ما ليس لك به علم .

ويروى عن ابن عباسٍ في هذه الآية : ( والتدين لا يشهدون الزور وإذا مرثوا باللغو مروا كراماً ) قال : أعياد المشركين . وقال ابن مسعودٍ : الزور : اللغناء فقيل لا بن عباسٍ : أو ما هذا في الشهادة بالزور ؟ فقال : لا ، إنما آية شهادة الزور : ( ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ) .

\*\*\*

عاد الحديث إلى أمر الخوارج .

وكان من المجتهدات من الخوارج ، ولو قلت : من المجتهدين - وأنت تعني امرأة - كان أفصح ، لأنك تريد رجالاً ونساءً هي إحداهم ، كما قال الله عز وجل : ( وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ) وقال جل ثناؤه : ( إلا عبثوا في الغابرين ) . منهم البلجاء ، وهي امرأة من بني حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، من رط سجاح ، التي كانت ثباتاً ، وسند كره خبرها في موضعه إن شاء الله . وكان مرداس ابن حدير أبو بلال ، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج ، وكان مجتهداً كثير الصواب في لفظه ، فلقبه غيلان بن خرشة الضبي ، فقال : يا أبا بلال ! إني سمعت الأمير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء ، وأحسبها ستؤخذ ، فمضى إليها أبو بلال ، فقال لها : إن الله قد وسع على المؤمنين في التقيّة . فاستترى ؛ فإن هذا المشرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك ، قالت : إن يأخذني فهو أشقى بي ، فأما أنا فما أحب أن يُعنت إنسان

بسبي ، فوجه إليها عبيدُ الله بن زيادٍ فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوقِ ، فمرَّ أبو بلالٍ والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البلجاءُ ، فعرج إليها فنظرت ، ثمَّ عضتْ على لحيته ، وقال لنفسه : لهذه أطيبُ نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداسُ .

ثم إنَّ عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم ، وحبس مرداساً ، فرأى صاحبُ السجن شدةَ اجتهاده وحلاوة منطقته ، فقال له : إني أرى لك مذهباً حسناً ، وإني لأحب أن أوليك معروفاً ، أفرايت إن تركتكَ تتصرف ليلاً إلى بيتك ، أتدّلعج إلي ؟ قال : نعم . فكان يفعل ذلك به ، ولج عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم ، فكلم في بعض الخوارج فليج وأبى ، وقال : أقمع النفاق قبل أن ينجم ، لكلام هؤلاء أمرع إلى القلوب من النار إلى البراع ، فلما كان ذات يوم قتل رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشرط ، فقال ابن زيادٍ : ما أدري ما أصنع هؤلاء ، كلما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فتكوا بقاتله؟! لأقتلن من في حبسي منهم ، فأخرج السجنان مرداساً إلى منزله كما كان يفعل ، وأتى مرداساً الخبر ، فلما كان السحر نهياً للرجوع ، فقال له أهله : اتق الله في نفسك ، فإنك إن رجعت قتلت ، فقال : إني ما كنت لألقى الله غادراً ! فرجع إلى السجنان ، فقال : إني علمت ما عزم عليه صاحبك ، فقال : أعلمت ورجعت ؟ !

ويروى : أن مرداساً مرَّ بأعرابيٍّ حيناً بعيداً له ، فهرج البعير ، فسقط مرداسٌ مغشياً عليه ، فظن الأعرابي أنه قد صرع ، فقرأ في أذنه ، فلما أفاق قال له الأعرابي : قرأت في أذنك ، فقال له مرداسٌ : ليس بي ماخفته علي ، ولكنني رأيت بعيرك هرج من القطران ، فذكرت به قطران جهنم ، فأصابني ما رأيت ، فقال : لاجرِمَ والله لا فارقتك أبداً .

وكان مرداسٌ قد شهد صفينَ مع علي بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه ، وأنكر التحكيم ، وشهد النهْر ، ونجا فيمن نجا ، فلما خرج من حبس ابن زيادٍ ورأى جد ابن زيادٍ في طلب الشراة ، عزم على الخروج ، فقال لأصحابه :

إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم ، مجانين للعدل مفارقين للفصل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ، ولكننا نتبذ عنهم ، ولا نجرّد سيفاً ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا ، فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً ، منهم حريث بن حجل ، وكهمس بن طلق الصريمي ، فأرادوا أن يولوا أمرهم حريشاً ، فأبى فولوا أمرهم مرداساً ، فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكان له صديقاً ، فقال له : يا أخي أين تريد ؟ قال أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة ، فقال له : أعلم بكم أحد ؟ قال : لا ، قال : فارجع ، قال : أو تخاف علي مكرهاً ؟ قال : نعم ، وأن يؤتى بك ، قل : فلا تخف ، فإني لا أجرّد سيفاً ، ولا أخيف أحداً ، ولا أقاتل إلا من قاتلني ، ثم مضى حتى نزل آسك ، وهو ما بين رامهرمز وأرجان ، فمر به مالٌ يحمل لابن زياد ، وقد قارب أصحابه الأربعين ، فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ، ورد الباقي على الرسل ، وقال : قولوا لصاحبكم : إنما قبضنا أعطياتنا ، فقال بعض أصحابه : فعلام ندع الباقي ؟ فقال : إنهم يقسمون هذا الفياء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم .



ولأبي بلالٍ أشعارٌ في الخروج اخترت منها قوله :

أبعد ابن وهبٍ ذي النزاهة والتقى	ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحب بقاءً أو أرجى سلامةً	وقد قتلوا زيد بن حصنٍ ومالكا
فيا ربِّ سلمٌ نيتي وبصيرتي	وهبٌ لي التقى حتى ألاتي أولثكا

قوله : « وقد قتلوا » ولم يذكر أحداً ، وإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفه ، وإنما يحتاج الضميرُ إلى ذكرٍ قبله ليعرف ، فلو قال رجلٌ : ضربته ، لم يجوز ، لأنه لم يذكر أحداً قبل ذكره الماء ، ولو رأيت قوماً يلتمسون

الملال فقال قومٌ : هذا هو ، لم يحتج إلى مقدمة الذكر ؛ لأن المطلوب معلومٌ ، وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في افتتاح قصيدته :  
 هل ما علمت ما استودعت مكتوم أم جلبها إذ نأتك اليوم مصروم  
 لأنه قد علم أنه يريد حبيبة له :  
 وقوله : « حتى ألقى » ولم يجرّك الياء فقد مضى شرحه مستقصى .

★ ★ ★

ويروى : أن رجلاً من أصحاب ابن زيادٍ قال : خرجنا في جيشٍ نريد خراسان ، فردنا بآسك ، فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أتم ؟ وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرباً ، فوقف أخي يباه فقال : السلام عليكم ، فقال مرداسٌ : وعليكم السلام ، فقال لأخي : أجتّم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خراسان ، قال : فأبلغوا من لقيمٍ أنا لم نخرج لتفسد في الأرض ، ولا لتروّع أحداً ، ولكن هرباً من الظلم ، ولنا نقاتل إلا من يقاتلنا ، ولا نأخذ على الفياء إلا أعطياتنا ، ثم قال : أندب إلينا أحدٌ ؟ قلنا : نعم ، أسلم بن زرعة الكلابي ، قال : فمتى تروته يصل إلينا ؟ قلنا : يوم كذا وكذا ، فقال أبو بلالٍ : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وجهرَ عيدُ الله أسلم بن زرعة في أسرع وقتٍ ، ووجهه إليهم في ألفين ، وقد تمام أصحاب مرداسٍ أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسلمٌ صاح به أبو بلالٍ : اتقوا الله يا أسلم ؛ فإننا لانريدُ قتالاً ، ولا نحتجنُ فياءً ، فما الذي تريدُ ؟ قال أريد أن أردكم إلى ابن زيادٍ ، قال مرداسٌ : إذا يقتلنا ، قال : وإن قتلكم ! قال : تشركه في دماننا ؟ قال : إني أدين الله بأنه محقٌ وأنكم مبطلون ، فصاح به حريث بن جبلٍ : أهو محقٌ وهو بطبيع الفجرة ، وهو أحدم ، ويقتل بالظنّة ، ويخصُّ بالقيء ، ويمجور في الحكم ؟! أما علمت أنه قتل ابن سعاد أربعة برآء ، وأنا أحد قتلته ، ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه ؟! ثم

حملوا عليه حملة رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابه من غير قتال ! وكان معبد  
 - أحد الخوارج - قد كاد يأخذه. فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً ، وقال :  
 ويحك ! أتخزي في ألفين قتهزم لحمه أربعين؟! وكان أسلم يقول : لأنت ينمئي  
 ابن زياد حياً أحبُّ إلي من أن يمدحني ميتاً!! وكان إذا خرج إلى السوق أو  
 مر بصبيان صاحوا به : أبو بلال وراءك!! وربما صاحوا به : يا معبد خذ!!  
 حتى شكوا ذلك إلى ابن زياد ، فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه ،  
 ففي ذلك يقول عيسى بن فائق ، من بني تميم اللات بن ثعلبة ، في كلمة له :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا	إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم	ظل نوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم	سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لنا أتاهم	بأن القوم ولوا هاريننا
ألفا مؤمن فيما زعمتم	ويهزمهم بأسك أربعونا
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك	على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس ، فاختر عباد بن أخضر ، وليس  
 بابن أخضر ، هو عباد بن علقمة المازني ، وكان أخضر زوج أمه ، فغلب  
 عليه ، فوجهه في أربعة آلاف ، فهد لهم ، ويزعم أهل العلم أن القوم قد  
 كانوا تتحوا عن درا مجرد من أرض فارس ، فصار إليهم عباد ، وكان التعاظم  
 في يوم جمعة ، فناداه أبو بلال : اخرج إلي يا عباد ، فإني أريد أن أحاورك !  
 فخرج إليه ، فقال : ما الذي تبغي ؟ قال : أن آخذ بأفئتك فأردكم إلى الأمير  
 عبيد الله بن زياد ! قال : أو غير ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن ترجع ،  
 فإننا لا نخيف سيلاً ، ولا نذعر مسلماً ، ولا نخارب إلا من حاربنا ، ولا نجبي  
 إلا ما جينا ، فقال له عباد : الأمر ما قلت لك ، فقال له حريث بن حبل :  
 أتحاول أن ترد قته من المسلمين إلى جبار عبيد ؟ قال لهم : أنتم أوئلي بالضلال  
 منه ، وما من ذاك بدء .

وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج ، فلما رأى الجمع قال :  
ما هذا ؟ قالوا الشراة ، فحمل عليهم ، ونشبت الحرب ، فأخذ القعقاع أسيراً ،  
فأتى به أبو بلال ، فقال : ما أنت ؟ قال . لست من أعدائك ، وإنما قدمت  
للحج فجهت وغررت ! فأطلقه ، فرجع إلى عباد فاصلح من شأنه ، ثم حمل  
عليهم ثانية ، وهو يقول :

أقاتلهم وليس علي بعث  
نشاطاً ليس هذا بالنشاط  
أكره على الحرورين مهري  
لأحملهم على وضع الصراط

فحمل عليه حرث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي ، فأمره  
فقتلاه ولم يأتيا به أباً بلال ، فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة ،  
صلاة يوم الجمعة ، فناداهم أبو بلال : يا قوم ! هذا وقت الصلاة ، فوادعونا حتى  
نصلي وتصلوا ، قالوا : لك ذلك ، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا إلى  
الصلاة ، فأمرع عباد ومن معه والحرورية مبطؤون ، فهم من بين راكم وقائم  
وساجد في الصلاة وقاعد ، حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلهم جميعاً ، وأتى  
برأس أبي بلال .

وتروى الشراة : أن مرداساً أباً بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج  
رفع يديه وقال : اللهم إن كان ما نحن فيه حقاً فأرنا آية ، قال : فرجف  
البيت . وقال آخرون : فارتفع السقف .

فروى أهل العلم : أن رجلاً من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحي  
يعجبه من الآية ، ويرغبه في مذهب القوم ، فقال أبو العالية : كاد الحنف ينزل  
بهم ثم أدركتهم نظرة الله .

فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤوسهم ، وفيهم داؤود بن سبث ،  
وكان ناسكاً ، وفيهم حبيبة النصرى من قيس وكان مجتهداً .

فيروى عن عمران بن حطان : أنه قال : قال لي حبيبة : لما عزمت على

الخروج فكرت في بناتي ، فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تقطعن حتى انظر ،  
 فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي ، فقالت : يا أبة اسقني فلم أجبها ،  
 فأعادت ، فقامت أخية لها أسن منها فسقتها ، فعلت أن الله عز وجل غير  
 مضيعن ، فأتمت عزمي .

وكان في القوم كهنس ، وكان من أبر الناس بأمه ، فقال لها بأمة !  
 لولا مكانك لخرجت ، فقالت يابني ! قد وهبتك لله ، ففي ذلك يقول عيسى  
 ابن فاتك الجطي :

ألا في الله لا في الناس نالت	بداؤود وإخوته الجدوع
مضوا قسلاً ومزيقاً وصلباً	تحوم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه	فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الحوف نومهم فقاموا	وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان :

يا عين بكسي لمرداس ومصرعه	يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائماً أبكي لمرزئي	في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه	ما الناس بعدك يامرؤاس بالناس
إما شربت بكأس دار أولها	على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلأ	منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

★ ★ ★

قال أبو العباس : ثم إن عبّاد بن أخضر المازني لبث دهرأ في مصر ،  
 محموداً موصوفاً بما كان منه ، فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج  
 أن يقتكوا به ، فذمر بعضهم بعضاً على ذلك ، فجلسوا له في يوم جمعة ،  
 وقد أقبل على بغلة له ، وابنه رديفه ، فقام إليه رجل منهم ، فقال : أسالك  
 عن مسألة ؟ قال : قل ، قال : رأيت رجلاً قتل رجلاً بغير حق ، وللقاتل

جاءَ وقدرٌ وناحيةٌ من السلطان ، أُوليُّ ذلك المقتول أن يفتكَ به إن قدرَ عليه ؟ قال : بل يرفعه إلى السلطانِ ، قال : إن السلطان لا يعدي عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده ، قال : أخافُ عليه إن فتكَ به فتكُ به السلطانُ ، قال : دعْ ما تخافه من ناحية السلطان ، أتلقه تبعه فيما بينه وبين الله ؟ قال : لا ، قال : فحكمٌ هو واصحابه ، وخطوه بأسياهم ، ورمى عبادةً ابنه فنجاً ، وتنادى الناسُ : قتل عبادةً ، فاجتمع الناسُ فأخذوا أفواه الطرقِ ، وكان مقتل عبادةٍ في سكةِ بني مازن عند مسجد بني كليبٍ ، فجاء معبدٌ بن أخضر أخو عبادةٍ ، وهو معبد بن علقمة ، وأخضرٌ زوج أمها ، في جماعة من بني مازنٍ ، فصاحوا بالناسِ : دعونا وثارتنا ، فأحجم الناس وتقدم المازنيون ، فحاربوا الحوارج حتى قتلوم جميعاً ، لم يفلت منهم أحدٌ إلا عبيدة بن هلالٍ ، فإنه خرق خصاً ونفذ منه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

لقد أدرك الأوتارَ غير ذميمةٍ      إذا ذمَّ طلابُ الترات الأخضر  
هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضرٍ      فنالوا التي ما فوقها نال نائر  
أقادوا به أسداً لها في اقتعائها      إذا برزت نحو الحروب بصائر  
ثم ذكر بني كليبٍ ؛ لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه ، فقال في كلمته هذه :

كفعل كليبٍ إذ أختٌ يجارها      ونصر اللثيم معتمٌ وهو حاضرٌ  
وما لكليبٍ حين تُذكر أولٌ      وما لكليبٍ حين تُذكر آخرٌ

وقال معبد بن أخضر :

سأحي دماء الأخرئين إنه      أبي الناس إلا أن يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتلُ عبادةٍ وعبيدُ الله بن زيادٍ بالكوفة ، وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبي بكره ، فكتب إليه يأمره أن لا يدع أحداً يعرف بهذا الرأي إلا حبسه وجدته في طلبه ، ممن تغيب منهم ، فجعل عبيد الله بن أبي بكره يتبعهم فيأخذهم ، فإذا شفع إليه في أحد منهم كفه إلى أن يقدم ابن زيادٍ ، حتى أتى

بعروة بن أدية فأطلقه ، وقال : أنا كفيلك ، فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن منهم فقتلهم جميعاً ، وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم ، فكل من جاءه بصاحبه أطلقه وقتل الخارجي ، ومن لم يأت بمن كفله به منهم قتله ، ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة : هات عروة بن أدية ، قال : لا أقدر عليه ، قال : إذا والله أقتلك فإنك كفيده ! فلم يزل يطلبه حتى دل عليه في سرب العلاء بن سوية المنقري ، فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فقرأ عليه الكاتب : إنا أصبناه في سرب ، فتهاتف به عبيد الله بن زياد ، وكان كثيراً المحاورة ، عاشقاً للكلام الجيد ، مستحسناً للصواب منه ، لا يزال يبحث عن عذره ، فإذا سمع الكلمة الجيدة عرّج عليها .

ويروى : أنه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي رحمهما الله ، وكانت أسن من حمل إليه منهن ، وقد كلمته فأفصحت وأبلغت ، وأخذت من الحجة حاجتها ، فقال لها : إن تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً ، فقالت : ما للنساء والشعر ؟! وكلت مع هذا الكن يرتضخ لغة فارسية ، وقال لرجل مرة ، واتهمه برأي الخوارج : أهروري منذ اليوم ؟!

رجع الحديث :

فقال للكاتب : صحفت والله ولؤمت ، إنما هو في سرب العلاء بن سوية ، ولوددت أنه كان بمن يشرب النبيذ ، فلما أقيم عروة بن أدية بين يديه حاوره ، وقد اختلف الناس في خبره ، وأصح عندنا : أنه قال له : لقد جهزت أخاك علي ، فقال : والله لقد كنت به ضيقاً ، وكانت لي عزاً ، ولقد أردت له ما أريده لنفسي ، فعزم عزمياً فمضى عليه ، وما أحب لنفسي إلا المقام وترك الخروج ، قال له : أفانت علي رأيه ؟ قال : كلنا نعبد رباً واحداً ! قال : أما لأمثلن بك ! قال : اخترت لنفسك من القصاص ما شئت ؟ فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ، ثم قال له : كيف ترى ؟ قال : أفسدت علي دنياي وأفسدت عليك آخرتك ، ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ، ثم دعا مولاة فسأله عنه ، فأجابه جواباً قد مضى ذكره .

قوله « فتهاق ، حقيقة : تضاحك به ضحك هزئ » ، وقال ابن أبي ربيعة  
الهمزومي :

ولقد قالت لجانا لها      وتعتت ذات يوم تبتود :  
أكما ينعتني تبصرتني      عمر كن الله أم لا يقصد ؟  
فتهاقن وقد قلن لها :      حسن في كل عين من تود  
حسد حمله من أجلها      وقديماً كان في الناس الحد

• • •

وكان عيد الله لا يلبث الحوارج ، يحبسهم ثلثة ويقتلهم ثلثة ، وأكثر ذلك  
يقتلهم ، ولا يتغافل عن أحد منهم . وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس  
زياد لما ولي بعده ، فخرجوا عليه .

فأما زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ، ولا يجرد السيف حتى تقول  
التهمة ، ووجه يوماً بجينة بن كيش الأعرجي إلى رجل من بني سعد يرأى  
رأي الحوارج ، فجاءه بجينة فأخذه ، فقال : إني أريد أن أحدث وضوءاً  
للصلاة ، فدعني أدخل إلى منزلي ، قال : ومن لي بخروجك ؟ قال : الله عز  
وجل ، فتركه ، فدخل فأحدث وضوءاً ، ثم خرج فأتى به بجينة زياداً ، فلما  
مثل بين يديه ذكر الله زياداً ، ثم صلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر  
وعثمان بنخير ، ثم قال : قعدت عني فأنكرت ذلك ، فذكر الرجل ربه  
فحمدته ووحده وأثنى عليه ، ثم ذكر النبي عليه السلام ، ثم ذكر أبا بكر  
وعمر بنخير ، ولم يذكر عثمان ، ثم أقبل على زياد فقال : إنك قد قلت قولاً  
فصدقه بفعلك ، وكان من قولك : ومن قعد عنا لم نهجه ، فقعدت ، فأمر  
له بصلة وكسوة وحملان ، فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه ،  
فقال : ما لكم أستطيع أن أخبره ، ولكني دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا  
نقماً لنفسه ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فرزق الله منه ماترون .

وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول : ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني  
إلا الرجلة ، فيقولون : أجل ، فيحملهم ، ويقول اغشوني الآن واسمروا عندي ،

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتل الله زبداً ، جمع لهم كما تجمع  
الدرة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرية ، وأصلح العراق ، بأهل العراق ،  
وترك أهل الشام في شأهم ، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر  
ألف الف .

قال أبو العباس : وبلغ زبداً عن رجل يكنى أبا الخير ، من أهل البأس  
والنجدة ، أنه يرى رأي الخوارج ، فدعاه فولاه جندي سبور وما يليها ، وورقه  
أربعة آلاف درهم في كل شهر ، وجعل عماله في كل سنة مائة ألف ، فكان  
أبو الخير يقول : ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة !!  
فلم يزل والياً حتى أنكر منه زياداً شيئاً ، فتمرّ لزياد فحبسه ، فلم يخرج من  
حبسه حتى مات .

\* \* \*

وقال الرهين ، وكان رجلاً من مراد ، وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان  
في الدهاء والمعرفة والشعر والفقہ ، بقول الخوارج ، بتزلة عمران بن حطان ،  
وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم .  
وللرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن  
وفي الآثار ، وفي السير والسنن ، وفي الغريب وفي الشعر ، نذكر طريفها إن  
شاء الله . قال المرادي :

يا نفس قد طال في الدنيا مُراوغتي      لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا  
إني لبائع ما يفنى لباقيّة      إن لم يعقني رجاء العيش تريباً  
وأسال الله بيع النفس محتسباً      حتى ألاتي في الفردوس حرقوصاً

قال الأخفش : حرقوص : ذو الثدية .

وابن المنيح ومرداساً وإخوته      إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصاً  
قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعار في مذاهبهم .

وكان زيادٌ ولى شيان بن عبد الله الأشعري صاحب مقبرة بني شيان باب  
عثان وما يليه ، فجاء في طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا قد كثروا ، فلم يزل  
كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بياب داره وجلان من الخوارج ، فضرباه  
بأسيافها فقتلاه ، وخرج بنون له للاغاثة فقتلوا ، ثم قتلها الناس فأتي زيادٌ بعد  
ذلك برجلٍ من الخوارج ، فقال : اقتلوه متكئاً كما قتل شيان متكئاً ، فصاح  
الخارجي : يا عدلاء !! هزأ به !

فأما قول جرير :

ومنا قتي القتيان والبأس معقلٌ ومنا الذي لاقى بدجة معقلا  
- : فإنه أراد معقل بن قيس الرياحي ، ورياح ابن يربوع ، وجرير من بني  
كليب بن يربوع .

وقوله « ومنا الذي لاقى بدجة معقلا » يريد المستورد التيمي ، وهو من  
بني تيم بن عبد مناة بن أد ، وعميم ابن مر بن أد .

وأما قول ابن الرقيات :

والذي نغص ابن دوامة ماتو حي الشياطين والسيوف ظماء  
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلأ وفي الضراب غلاء  
- : فلما يريد ابن دوامة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، والذي نغصه  
مصعب بن الزبير ، وكان المختار لا يوقف له على مذهب ، كان خارجياً ، ثم صار  
زبيرياً ، ثم صار رافضياً في ظاهره !!

وقوله « ماتو حي الشياطين » فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من  
لشجاعة لأموزي تكون ، ثم يجتال فيوقعها ، فيقول للناس : هذا من عند الله  
عز وجل .

فمن ذلك قوله ذات يوم : لتزلن من السماء نار دماء ، فلتحرقن دار  
أسماء ، فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أقد سجع بي أبو إسحق ؟ هو  
الله محرق داري ! فتركه والدار وهرب من الكوفة .

وقال في بعض سبّعه : أما والذي شرع الأديان ، وجنّب الأوثان ،  
وكره العصيان ، لأقتلن أزدعمان ، وجلّ قيس عيلان ، وتميماً أولياء الشيطان ،  
وحاشا النجيب ظيان ! فكان ظيان النجيب يقول : لم أزل في عمر المختار  
أقلّب آمناً .

• • •

ويروى : أن المختار بن أبي عبيدٍ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة  
اتهمه ابن الزبير ، فولى رجلاً من قريش الكوفة ، فلما أطلّ قال لجماعة من  
أهلها : اخرجوا إلى هذا المغرور فردّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : أين تريد ؟  
والله لئن دخلت الكوفة ليقطنك المختار ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير : إن صاحبك  
جاءنا فلما قاربنا رجع ، فما أدري ما الذي ردّه ! فعضب ابن الزبير على القرشي  
وعجزه وردّه إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختار : اخرجوا إلى هذا المغرور  
فردّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله قاتلك ، فرجع ، وكتب المختار  
إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول ، فلام القرشي ، فلما كان في الثالثة فطن ابن  
الزبير ، وعلم بذلك المختار ، وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة  
عشر رجلاً من بني هاشم ، فقال : لتبايعنّ أو لأحرقنكم ، فأبوا بيعته وكان  
السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ، ففي ذلك يقول كثير :

تخبّر من لاقيت أنك عائدٌ بل العائد المظلوم في سجن عارم  
ومن يلق هذا الشيخ بالحيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم  
سمي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائد ، لأنه عاذ بالبيت ، ففي ذلك يقول  
ابن الرُّقبات يذكر مصعباً :

بلدٌ تآمن الحمامة فيه حيث عاذ الحليفة المظلوم  
وكان عبد الله يدعى المُحِيل ، لإحلاله القتال في الحرم ، وفي ذلك يقول  
رجل في رملة بنت الزبير :

ألا من لقلبٍ مُعنى غزيرٍ      بذكر المهلة أخت المهل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله ، وكان يحسده على أبيه ، ويقال : أن علياً استطال دعواً فقال : لينقص منها كذا وكذا حلقة ، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها ، وبالأخرى على فضلها ، ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده بوه فكان ابن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل ، فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه : من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء ، ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه ، وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يدس إلى الشيعة ، ويعلمهم موالاته إياهم ، ويخبرهم أنه على رأيهم وحمد مذاهبهم ، وأنه سيظهر ذلك عما قليل ، ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار ، حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ، ثم ساروا بهم إلى مأمهم .

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأستر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنها ، فأبى عليه إبراهيم إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب ، فكتب إليه يستأذنه في ذلك ، فعلم محمد أن المختار لا عقد له ، فكتب محمد إلى إبراهيم بن الأستر : إنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقتنا على يدي من يشاء من خلقه ، فخرج معه إبراهيم بن الأستر . فتوجه نحو عبيد الله بن زياد ، وخرج يشيعه ماشياً ، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا إسحق ! : إني أحب أن تغبر قدمي في نصرته آل محمد عليهم السلام ، فشيعة فرسخين ، ودفع إلى قوم من خاصته حماماً أيضاً ضخماً ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها ، وقال للناس : إن استقمتم فنصر الله ، وإن حصم حصم حية فإني أجد في محكم الكتاب ، وفي اليقين والصواب ، أن الله مؤيدكم بلانكة غضاب ، تأتي في صور الحمام دونن السحاب ! فلما صار ابن الأستر بخازر وبها عبيد الله بن زياد قال : من صاحب الجيش ؟ قيل له :

ابن الأستر ، قال أليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة ؟ قالوا : بلى ، قال :  
ليس بشيء ، وعلى ميمنة ابن زيادٍ حُضينُ بن عمير السكونيُّ من كندة ، ويقال  
السكوني والسكوني ، والسُدوميُّ والسُدوميُّ ، كذا كان أبو عبيدة يقول ،  
( قال أبو الحسن : السكونيُّ أكثر ) وعلى ميسرته عميرُ بن الحباب فارسُ  
الاسلام ، فقال حُضينُ بن عميرٍ لابن زيادٍ : ان عميرُ بن الحباب غير ناسٍ  
قتلي المرج ، وإني لا أتق لك به ، فقال ابن زيادٍ : أنت لي عدوٌّ ، قال حُضينُ :  
متعلمٌ ، قال ابن الحباب : فلما كان في الليلة التي نريد أن نواقع ابن الأستر في  
صيحنتها خرجت إليه ، وكان لي صديقاً ، ومعني رجلٌ من قومي ، فصرتُ إلى  
عسكره ، فرأيتُه وعليه قميص هرويٍّ وملاءةٌ ، وهو متشعُّ السيف يجوسُ عسكره  
فيأمر فيه وينهى ، فالتزمته من ورائه ، فوافقه ما التقت الي ، ولكن قال : من  
هذا ؟ فقلت : عمير بن الحباب ، فقال : مرحباً بأبي المغلسِ ، كن بهذا الموضع  
حتى أعود اليك ، فقلت لصاحبي : رأيت أشجع من هذا قط ؟ ! يجتضه رجلٌ  
من عسكر عدوِّه ، ولا يدري من هو ؟ فلا يلتفتُ إليه !! ثم عاد إلي وهو  
في أربعة آلافٍ ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : القوم كثيرٌ ، والرأي أن تاجزهم ،  
فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير ، فقال : نصبح  
إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظبات السيوف وأطراف القنا ، فقلت : أنا منخزلٌ  
عنك بثت الناس غداً ، فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم في أول النهار ،  
فأرسل أصحاب المختار الطير ، فتصايح الناس : الملائكة !! فتراجعوا ، ونكس  
عمير بن الحباب رايته ، ونادى يا لثارات المرج ! وانخزل بالميسرة كلها ، وفيها  
قيسٌ فلم يعصوه ، واقتل الناس حتى اختلط الظلام ، وأمرع القتل في أصحاب  
عيد الله بن زيادٍ ، ثم انكشفوا ، ووضع السيفُ فيهم حتى أفنوا ، فقال ابن  
الأستر : لقد ضربتُ رجلاً على شاطئه هذا النهر فرجع إليَّ سيفي ومنه رائحة  
المسك ! ورأيت إقداماً وجرأةً ، فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل  
المغرب ، فانظروه ، فاتوه بالنيران ، فاذا هو عيد الله بن زيادٍ .

وقد كان عند المختار كرمي قديم العهد ، فغشاه بالديباج ، وقال : هذا الكرمي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فضعوه في براكاه الحرب ، وقاتلوا عليه ، فان محله فيكم محل السكينة في بني إسرائيل !! ويقال أنه اشترى ذلك الكرمي بدرهمين من نجار .

وقوله « في براكاه القتال » يقال براكاه وبروكاه ، وهو موضع اصطدام القوم ، قال الشاعر :

وليس بمنقذ لك منه إلا براكاه القتال أو الفرار

x x x

## هذا باب اللام

### التي للاستغانة والتي للاضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجاعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ ، تقول : بالرجالِ ، وبالقومِ ،  
وبالزيدِ ، إذا كنتَ تدعوم .

وإنما فتحها لتفصيل بين المدعوِّ والمدعوِّ له ، ووجب أن تفتحها لأن أصلَ  
اللامِ الحافضةِ إنما كان الفتح ، فكسرتْ مع المظهرِ ليفصلَ بينها وبين لامِ  
التوكيدِ ، تقول : إنَّ هذا لزيدٌ ، إذا أردتَ إنَّ هذا زيدٌ ، وتقول :  
إنَّ هذا لزيدٌ ، إذا أردتَ أنه في ملكه ، ولو فتحتْ لالتبستا .

فإن وقعتِ اللامُ على مضمَرٍ فتحتها على أصلها ، فقلتَ : إنَّ هذا لك ،  
وإنَّ هذا لأنتَ ، إذا أردتَ لامِ التوكيدِ ، لأنه ليس ههنا لبسٌ ، وذلك  
أنَّ الأسماءَ المضمرةَ على غيرِ لفظِ المظهرةِ ، فلها أجرئتها على الأصلِ ،  
والاستغانةُ تردُّها إلى أصلها من أجلِ اللبسِ .

والمدعوُّ له في بابهِ ، فاللامُ معه مكسورةٌ ، تقولُ : بالرجالِ للماءِ ،  
والرجالِ للعجبِ ، وبالزيدِ للخطبِ الجليلِ ، قال الشاعرُ :

بالرجالِ ليومِ الأربعاءِ أما      ينفكُّ يبعثُ لي بعدَ النهيِ طرباً  
وقال آخرُ :

تكنفني الوُشاةُ فأزعجوني      فإلناسِ للنواشيِ المُطاعِ

وفي الحديثِ لما طعنَ العليُّ أو العبدُ عمرَ بنَ الخطابِ رضوانَ الله عليه  
صاح : يا لله بالملسينِ .

وتقول : يا للعجب ، إذا كنت تدعو إليه ، و « يا » لغير العجب ،  
كأنك قلت : بالناس للعجب ، و « ينشد » هذا البيت :

بالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

ف « يا » لغير اللعنة ، كأنه قال : يا قوم لعنة الله والأقوام كلهم .  
وزعم سيويه أن هذه اللام التي للاستغاثه دليل ، بمنزلة الألف التي تبيّن  
بالهاء في الوقف إذا أردت أن تسمع بعيداً ، فإنما هي للاستغاثه بمنزلة هذه  
اللام ، وذلك قولك : يا قوماً ، على غير الندبة ، ولكن للاستغاثه  
ومدّ الصوت .

والقول كما قال ، محلّها عند العرب محلّ واحد ، فإن وصلت حذفت  
الهاء ، لأنها زيدت في الوقف لحقاء الألف ، كما تترادّ لبيان الحركة ، فإذا  
وصلت أغنى ما بعدها عنها ، تقول : يا قوماً تعالوا ، ويا زيدا لا تفعل .  
ولا يجوز أن تقول بالزيد وهو مقبل عليك ، وكذلك لا يجوز أن تقول :  
يا زيدا وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيد ، أو يُنبّه به النائم .

فإن قلت : بالزيد ولعمري ، كسرت اللام في « عمرو » وهو مدعو ،  
لأنك إنما فتحت اللام في « زيد » لتفصل بين المدعو والمدعو إليه ، فلما عطفت  
على « زيد » استغنيت عن الفصل ، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار في  
مثل حاله .

ونظير ذلك الحكاية ، يقول الرجل : رأيت زيدا ، فتقول ، من زيدا ؟  
ويقول : مرت بزيد ، فتقول : من زيد ؟ وإنما حكيت قوله ليعلم أنك  
إنما تستقهمه الذي ذكر بعينه ، ولا تسأله عن زيد غيره ، والموضع موضع  
رفع ، لأنه ابتداء وخبر ، فإن قلت : ومن زيد ؟ أو فمن زيد ؟ لم يكن  
إلا رفعاً ، لأنك عطفت على كلامه ، فاستغنيت عن الحكاية ، لأن العطف  
لا يكون مستأنفاً .

ونظيرُ هذا الذي ذكرتُ لك في اللام قول الشاعر :  
 يَكِيكَ نَاءِ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَأَلُّ الكُھولِ ولِلسُّبَّانِ للعجبِ  
 فقد أحكمتُ لك كلَّ ما في هذا الباب .

### ثم نعودُ إلى ذكرِ الخوارجِ

قال أبو العباسِ : وذُكرَ لعبيدِ الله بنِ زيادٍ رجلٌ من بني سدُوس ،  
 يقال له خالدٌ بن عبادٍ ، أو ابنُ عبادَةَ ، وكان من مُسَاكِمِمْ ، فوجهَ إليه  
 فأخذه ، فأناه رجلٌ من آلِ ثورٍ ، فكذبَ عنه ، وقال : هو صِهْرِي وهو في  
 ضِمِّي ، فظلي عنه ، فلم يزل الرجلُ يتفقدهُ حتى تغيَّبَ ، فأتى ابنُ زيادٍ  
 فأخبره ، فبعثَ إلى خالد بنِ عبادٍ فأخِذَ ، فقال عُبيدُ الله بنُ زيادٍ : أين كنتَ  
 في غيبتكِ هذه ؟ قال : كنتُ عند قومٍ يذكرونَ اللهَ ويذكرونَ أئمةَ الجورِ  
 فيتبرؤونَ منهم ! قال : ذلني عليهم ، قال : إذنُ يسعدوا وتشقى ، ولم  
 أكن لأرؤهم ! قال : فما تقولُ في أبي بكرٍ وعمرَ ؟ قال : خيراً ، قال : فما  
 تقولُ في أميرِ المؤمنينِ عثمانَ ، أتولاهُ وأميرِ المؤمنينِ معاويةَ ؟ قال : إن كانا  
 وليَّينِ لله فليستُ أعاديها ، فأراغهُ مراتٍ فلم يرجع ، فعزَمَ على قتله ، فأمر  
 بإخراجه إلى رجةٍ تُعرفُ برجةِ الزينبيِّ ، فجعلَ الشرطُ يتفادونَ من قتله ،  
 ويرؤغونَ عنه توقياً ، لأنه كان شاسفاً عليه أثرُ العبادةِ ، حتى أتى المثلُمُ بنُ  
 مسرُوحِ الباهليِّ ، وكان من الشرطِ ، فتقدَّم فقتله ، فاشتمَرَ به الخوارجُ  
 ليقتلوه ، وكان رجلاً مُغرماً باللجاجِ ، يتبعها فيشتريها من مظانها ، وهم  
 في تقفدهِ ، فدسُّوا إليه رجلاً في هيئةِ الفتيانِ ، عليه ردعُ زعفرانٍ ، فلقبه  
 بالمربدِ وهو يسألُ عن لقمةٍ صفيِّ ، فقال له الفتى : إن كنتَ تبلغُ فعندي  
 ما يغنيك عن غيره ، فامضِ معي ، فمضى المثلُمُ على فرسه والفتى أمامه ، حتى  
 أتى به بني سعدٍ ، فدخل داراً ، وقال له : ادخل على فرسك ، فلما دخل  
 وتوغل في الدار أغلقَ البابَ ، وثارت به الخوارجُ فاعتوره حُرَيْثُ بنُ جحلٍ ،

وكهس بن طلق الصريمي فقتلاه ، وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ، ودفناه في ناحية الدار ، وحكنا آثار الدم ، وخطبا فرسه في الليل ، فأصيب من الغد في المريد ، وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا ، فاتهموا به بني سدوس ، فاستعدوا عليهم السلطان ، وجعل السدوسيون يجلفون ، فتحامل ابن زياد مع الباهليين ، فأخذ من السدوسيين أربع ديات ، وقال : ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج ؟ كلها أمرت بقتل رجلٍ منهم اغتالوا قاتله فلم يُعلم بمكانه ، حتى خرج مرداس . فلما واقفهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث ابن جمل : أهنا من باهلة أحد ؟ قالوا نعم ، قال : يا أعداء الله ! اخذتم بالمثل أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه في بطنه ، وهو في موضع كذا مدفون ، فلما انهزموا صاروا إلى الدار ، فأصابوا أسلحة والدرهم ، ففي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي :

آليت لا أغدو إلى رب لقحة أساومه حتى يعود المثلم  
ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم ، كلهم قتل ، حتى انتهى الأمر إلى الأزارقة .

\* \* \*

ومن هاهنا افتقرت الخوارج فصارت على أربعة أضرب :  
الإباضية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض .  
والصفرية ، واختلفوا في تسميتهم ، فقال قوم : سُموا بابن صفار ، وقال آخرون ، وأكثر المتكلمين عليه : هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم .  
ومنهم البيهية ، وهم أصحاب أبي بييس .  
ومنهم الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكانوا قبل على رأي

واحد ، لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع ، كما قال صخر بن عروة :  
إني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته ، فأما الآن  
فلا يسعني إلا الخروج . وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر ، فضلته  
الخوارج بامتناعه من قتال علي .

\* \* \*

فكان أول أمرهم الذي نستأفه : أن جماعة من الخوارج ، منهم نجدة  
ابن عامر الحنفي ، عزموا على أن يقصدوا مكة ، لما توجه مسلم بن عقبة  
يريد المدينة لوقعة الحرّة ، فقالوا : هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ، ويجب  
علينا أن نمنع حرم الله منه ، وغمحن ابن الزبير ، فإن كان على رأينا بايعناه ،  
فمضوا لذلك .

فكان أول أمرهم : أن أبا الوازع الراسبي ، وكان من مجتهدي الخوارج  
كان يذمر نفسه ويلومها على القعود ، وكان شاعراً ، وكان يفعل ذلك بأصحابه ،  
فأتى نافع بن الأزرق وهو في جماعة من أصحابه ، يصف لهم جور السلطان ،  
وكان ذا لسان غضب ، واحتجاج وصبر على المنازعة ، فأناه أبو الوازع ، فقال :  
يا نافع ! لقد أعطيت لساناً صارماً ، وقلباً كليلاً ، فتوَدِدْتُ أن صرامة  
لسانك كانت لقلبك ، وكلال قلبك كان للسانك ، أمحض على الحق وتقعده  
عنه ، وتقبح الباطل وتقيم عليه ؟! فقال : إلى أن تجمع من أصحابك من  
تكفي به عدوك ، فقال أبو الوازع :

لسانك لا تكفي به القوم إنما      تنال بكفيك النجاة من الكرب  
فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر      عسى الله أن يخزي غوي بني حرب

ثم قال : والله لا ألومك ونفسي ألوم ، ولأغدؤن غدوة لا أنثني بعدها أبداً ،  
ثم مضى فاشترى سيفاً ، وأتى صيقلاً كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم ،  
فشاوره في السيف فحمدته ، فقال : اشحذهُ ، فشحذهُ ، حتى إذا رضى حكمه  
وتخبط به الصيقل ، وحمل على الناس فتهاربوا منه ، حتى أتى مقبرة بني

يشكر ، قدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر ، خوفاً أن تجعل الحوارج قبره مهاجراً ، فلما رأى ذلك نافع بن الأزرق وأصحابه جدوا ، وخرج في ذلك جماعة ، فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الحطبي ، من تيم اللات بن ثعلبة ، ومقتله بعد خروج الأزارقة .

فرض نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة ، ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه بأنفسهم ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام ، فدافعوا عنهم إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ، ولم يبايعوا ابن الزبير ، ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدم أبا بكر وعمر ، وبريء من عثمان وعلي ، وكفر أباه وطلحة ، وبايعناه ، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده ، فتشاغلنا بما يجدي علينا ، فدخلوا على ابن الزبير ، وهو متبذل ، وأصحابه متفرقون عنه ، فقالوا : إنا جئناك لتخبرنا رأيك ، فإن كنت على الصواب بايعناك ، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق ، ما نقول في الشيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقول في عثمان ، الذي أحى الحمى ، وآوى الطريد ، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكب بخلافه ، واوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين ؟ وفي الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال ، واقام على ذلك غير قائب ولا نادم ؟ وفي أهلك وصاحبه ، وقد بايعا علياً وهو إمام عادل مرضي ، لم يظهر منه كفر ، ثم نكنا ، بعرض من اعراض الدنيا ، وأخرجنا عائشة تقاتل ، وقد أمرها الله وصاحبها أن يقرن في بيوتهن ، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة ، فإن انت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ، ونسأل الله لك التوفيق ، وإن آيت إلا نصر رأيك الأول ، وتصويب أهلك وصاحبه ، والتحقيق بعثمان ، والتولي في السنين الست التي احللت دمه ، ونقضت عهده ، وأفسدت إمامته ، خذك الله وانتصر منك بأيدينا !! فقال ابن الزبير : إن الله أمر - وله العزة -

والقدرة - في مخاطبة أكفر الكافرين واعتى العتاة بأرأف من هذا القول ، فقال لموسى ولأخيه - صلى الله عليها - في فرعون ( فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر او يخشى ) وقال رسول الله ﷺ : « لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى ، فنهى عن سب أبي جهل من اجل عكرمة ابنه ، وابو جهل عدو الله وعدو الرسول ، والمقيم على الشرك ، والجاد في المحاربة ، والمتبغض إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنباً ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميت فيه طلحة وابي ان تقولوا : اتبرأ من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخلاً في غمار الناس ، وإن لم يكونا منهم لم تحتفظوني بسب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن في أبيه : ( وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها ، وصاحبها في الدنيا معرُوفاً ) وقال جل ثناؤه : ( وقولوا للناس حسناً ) وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح ، ولعمري إن ذلك لأحري بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه ، فرؤسوا إلي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله . فلما كانت العشي راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة قال : هذا خروج منابذ لكم ، فجلس على رفع من الأرض ، فحمد الله واثق عليه ، وصلى على نبيه محمد ﷺ ، ثم ذكر ابا بكر وعمر احسن ذكر ، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها ، فجعلها كالماضية ، وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص بإذن رسول ﷺ ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعبوه من أمور ، وكان له أن يفعلها أولاً مصيياً ، ثم أعتبهم بعد محسناً ، وأن أهل مصر لما اتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبي ، ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم ، فدفعوا الكتاب إليه ، فحلف انه لم يكتبه ولم يأمر به ، وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقه ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ﷺ ومكانه

من الإمامة ، وأن يعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه ، وعتان الرجل الذي لزمته عين لو حلف عليها حلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض » ، فعثمان أمير المؤمنين كصاحبه ، وأنا ولي ولية ، وعدو عدوه ، وابي وصاحبه صاحب رسول الله ﷺ ، ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت إصبع طلحة : « سبته إلى الجنة » ، وقال : « أوجب طلحة » ، وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كلفه أو جله لطلحة ، والزبير حوارى رسول الله وصفوته ، وقد ذكر أنها في الجنة ، وقال جل وعز : ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) وما اخبرنا بعد أنه سخط عليهم ، فإن يكن ما سعوا فيه حقاً فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها ، وفيها وفقهم له من السابقة مع نبيهم ﷺ ، ومهما ذكرتموها به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها ، فإن ابي آبي ان تكون له أمماً نبذ اسم الإيمان عنه ، قال الله جل ذكره وقوله الحق : ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ) فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

\*\*\*

وكان سبب وضع الحرب اوزارها بين ابن الزبير وبين اهل الشام - بعد ان كان حنين بن ميمر قد حصر ابن الزبير - انه اتهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس ، وقد كان اهل الشام ضجروا من المقام على ابن الزبير ، وحنقت الحوارج في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجل من قضاة :

يا صاحبي ارتحلا ثم املسا لانحيسا لدى الحنين محبسا

إن لدى الأركان بوئاً

( قال الأخفش : حظي « بأأ أبوئاً » . )

وبارقات يجتلسن الأنفسا إذا الفتى حكتم يوماً كلاً

قوله : « ثم املسا » يريد : تخلصاً تخلصاً سهلاً . « وكلس » اي

حمل وجد .

ولما سمع ابن الزبير للخوارج في القولِ واظهر انه منهم قال له رجل  
يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق :

يا بن الزبير اتهمى عصبة قتلوا ظلماً اباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية ما اعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير : لو شايعتني الترك والديلم على قتال اهل الشام لشايعتها

« الشكك » جمع « شككة » وهي السلاح ، قال الشاعر :

ومدججاً يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

\*\*\*

ففرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان ، فصارت طائفة إلى البصرة ،  
وطائفة إلى اليمامة ، وكان رجاء النُميري هو الذي كان جمعهم للمدافعة عن  
الحرم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافع بن الأزرق الحنفي ، وبنو الماحوز  
السلطيون ، ورئيسهم حسان بن مجزج ، فلما صاروا إلى البصرة نظروا في  
أمرهم فأمرؤا عليهم نافعاً .

ويروى : ان ابا الجليل الشكري قال لنافع يوماً : يا نافع ! إن لجهنم  
سبعة ابواب ، وإن أشدها حرّاً للباب الذي أُعد للخوارج ، فإن قدرت  
ان لا تكون منهم فافعل ، فأجمع القوم على الخروج ، فمضى بهم نافع إلى  
الأهواز في سنة اربع وستين ، فأقاموا بها ، لا يهيجون احداً ، ويناظروهم الناس .

\*\*\*

وكان سبب خروجهم إلى الأهواز انه لما مات يزيد بايع اهل البصرة عبيد  
الله بن زياد ، وكان في السجن يومئذ اربع مائة رجل من الخوارج ، وضعف  
امر ابن زياد ، فكلم فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البيعة عليه ، وفتشوا في الناس ،  
يدعون إلى محاربة السلطان ، ويظهرون مام عليه ، حتى اضطرب على عبيد الله  
أمره ، فتحوّل عن دار الإمارة إلى الأزد ، ونشأت الحرب بسببه بين الأزد

وربيعة وبين بني تميم ، فاعتزلهم الحوارج إلا نفرأ منهم من بني تميم ، معهم عيسى  
ابن طلق الصريمي أخو كهس ، فانهم اعانوا قومهم ، فكان عيسى الطعان في  
سعد ، والرباب في القلب بجذاء الأزدي ، وكلت حارثة بن بدر اليربوعي في  
حنظلة بجذاء بكر بن وائل ، وفي ذلك يقول حارثة بن بدر للأحنف ، وهو  
صخر بن قيس :

سيكفيك عيسى أخو كهس  
وتكفيك عمرو على رسلها

مواقفة الأزدي بالمرئيد  
لكيز بن أفضى وما عددوا

« لكيز » هو عبد القيس .

وتكفيك بكرأ إذا أقبلت بضرب يشيب له الأمر

فلما قتل مسعود بن عمرو المعني ، وتكاف الناس أقام نافع بن الأزرق  
بموضع الأهواز ، ولم يعد إلى البصرة ، وطردها عمال السلطان عنها ،  
ووجبوا الفية .

ولم يزالوا على رأي واحد ، يتولون أهل النهر ومرتداساً ومن خرج معه ،  
حتى جاء موالي لبني هاشم إلى نافع ، فقال له : إن أطفال المشركين في النار ،  
وإن من خالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال ، قال له نافع :  
كفرت وأدلت بنفسك ، قال له : إن لم آتكن بهذا من كتاب الله فاقتلني :  
( قال نوح رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم  
يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ) فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم ،  
فشهد نافع أنهم جميعاً في النار ، ورأى قتلهم ، وقال : الدار دار كفر إلا  
من أظهر إيمانه ، ولا يجلي أكل ذبائحهم ، ولا تناكحهم ، ولا توارثهم ، ومتى  
جاء منهم جاء فعلينا أن تمتحنه ، وهم ككفار العرب ، لانقبل منهم إلا الإسلام  
أو السيف ، والقعد بمنزلتهم ، والتقية لائح ، فان الله تعالى يقول : ( إذا  
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ) وقال عز وجل فيمن

كان على خلافهم : ( يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) . فنفر جماعة من الخوارج عنه ، منهم نجدة بن عامر ، واحتج عليه بقول الله عز وجل : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) . وبقوله عز وجل : ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانه ) فالتقعدُ منا ؛ والجهادُ إذا أمكن أفضل ، لقوله جل وعز : ( وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ) . ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان .

فلما تتابع نافع في رأيه وخالف أصحابه ، وكان أبو طالتوت سالم بن مطر الحضارم في جماعة قد بايعوه ، فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالتوت ، وصاروا إلى نجدة فبايعوه ، ولقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة ، والعرمة كالسكر ، وجمعها عرم ، وفي القرآت المجيد : ( فأرسلنا عليهم سيل العرم ) وقال النابغة الجعدي :

من سبأ الخاضرين مأرب إذ بينون من دون سبيل العرما  
فقال لهم أصحاب نجدة : إن نافعاً قد كفر القعد ورأى الاستعراض ، وقتل الأطفال ، فانصرفوا مع نجدة ، فلما صار باليمامة كتب إلى نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البر ، لاتأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، كذلك كنت أنت وأصحابك ، أما تذكر قولك : لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين ؟ فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبت من الحق فسهة ، وركبت مره ، تجرد لك الشيطان ، ولم يكن أحدٌ ثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستألك واستهواك واستغواك وأغواك ، فغويت ، فأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم ، فقال جل ثناؤه ، وقوله الحق ووعده الصادق : ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم ورسولهم ) ثم سماهم أحسن الاسماء فقال : ( ما على الحسين

من سبيلٍ ) ثم استعملت قتل الاطفال ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم ، وقال الله عز ذكره : ( ولا تَرَوْا وَازِرَةً وَّزَرَ أُخْرَى ) وقال في القعد خيراً ، وفضل الله من جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه ، أو ما سمعت قوله عز وجل : ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ) فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضل عليهم الجاهدين بأعمالهم ، ورأيت ألا تؤدي الأمانة إلى من خالفك ، والله يأمر أن تؤدي الأمانات إلى أهلها ، فاتق الله وانظر نفسك ، واتق يوماً ( لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ) فإن الله عز ذكره بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام .

\* \* \*

فكتب إليه نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد اتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتتصح لي وترجوني ؛ وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ، وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعبت علي ما دنت به من إكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة ؛ فسأفرك لك لم ذلك إن شاء الله : اما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ ، لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين ، وقرؤوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : ( كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْاَرْضِ ) فقيل لهم : ( ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ) وقال : ( فرح الخلفون بتقدم خلاف رسول الله ) وقال : ( وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ) فخبّر بتعذيرهم ، وانهم كذبوا الله ورسوله ، وقال : ( سيصيب

الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ ) فانظر إلى اسمائهم وسماتهم . واما امر الاطفال  
فإن نبي الله نوحاً عليه السلام كان اعلم بالله - يأنجده - مني ومنك ، فقال :  
( رب لا تذرني على الارض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك  
ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ) فساهم بالكفر وهم اطفال ، وقبل ان يولدوا ،  
فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا؟! والله يقول :  
( اكفاركم خير من أولئكم ، ام لكم براءة في الزبير ) وهؤلاء كمشركي العرب ،  
لأنقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الاسلام . واما استغلال  
امانات من خالفنا فان الله عز وجل احل لنا اموالهم ، كما احل لنا دماءهم ،  
فدمائهم حلالٌ مطلق ، واموالهم فيءٌ للمسلمين ، فاتق الله وراجع نفسك ، فإنه  
لا عندك إلا بالتوبة ، ولن يسعك خذلاتنا ، والعودة عنا ، وترك ما نهجناه  
لك من طريقتنا ومقاتلتنا ، والسلام على من اقر بالحق وعمل به .

★ ★ ★

وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعو به إلى امره :

أما بعد ، فإني أحذرك من الله ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير  
مخضراً ، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ، ويحذركم  
الله نفسه ) فاتق الله ربك ، ولا تتول الظالمين ، فإن الله يقول : ( لا يتخذ  
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في  
شيء ) وقد حضرت عثمان يوم قتل ، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر  
قاتلوه وخاذلوه ، ولئن كان قاتلوه مهتدين - وإنهم لمهتدون - لقد كفر من  
يتولاه وينصره وبعضه ، ولقد علمت ان اباك وطلحة وعلياً كانوا اسد الناس  
عليه ، وكانوا في امره من بين قاتل وخاذل ، وانت تتولى اباك وطلحة وعثمان ،  
وكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد؟! ولقد ملك عليٌ بعده  
فنى الشبهات ، واقام الحدود ، واجرى الاحكام بجاريها ، واعطى الأمور

حقائقها ، فيما عليه وله ، فبايعه ابوك وطلحة ، ثم خلعاه ظالمين له ، وإنت  
القول فيك وفيها لكما قال ابن عباس : إن يكن عليّ في وقت معصيتكم  
ومحاربتكم له كان مؤمناً أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وائمة العدل ، وإنتن كان  
كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائراً لقد بوّتم بغضبٍ من الله لفراركم من الزحف ،  
ولقد كنت له عدوّاً ، ولسيرته عائباً ، فكيف توليته بعد موته ؟! فاتق الله  
فإنه يقول : ( ومن يتولهم منكم فإنه منهم ) .

• • •

وكتب نافعٌ إلى من بالبصرة من المحكّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن  
إلا وانتم مسلمون ، والله إنكم لتعلمون ان الشريعة واحدةٌ ، والدين واحدٌ ،  
فقيم المقام بين اظهر الكفار ، ترون الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد ندبكم الله إلى الجهاد فقال :  
( وقاتلوا المشركين كافةً ) ولم يجعل لكم في التخلّف عنراً في حالٍ من  
الحال ، فقال : ( انفروا خفافاً وثقالاً ) . وإنما عنر الضعفاء والمرضى والذين  
لا يجدون ما ينفقون ومن كانت إقامته لعله ، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدن  
فقال : ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل  
الله ) . فلا تغترّوا ولا تطمئنّوا إلى الدنيا ، فإنها غرارةٌ مكارهٌ ، لذتها نافذةٌ ،  
ونعمتها بائدةٌ ، حفتٌ بالشهوات اغتراراً ، واظهرت حبرةٌ ، واضمرت عبرةٌ ،  
فليس آكلٌ منها أكلةٌ تسره ، ولا شاربٌ شربةٌ تؤنّقه ؛ إلا دنا بها  
درجةٌ إلى اجله ، وتباعد بها مسافةٌ من امه ، وإنما جعلها الله داراً لمن تزود  
منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فلن يرضى بها حازمٌ داراً ، ولا حلیمٌ  
بها قراراً ، فاتقوا الله ( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) والسلام على من  
اتبع الهدى .

فورد كتابه عليهم ، وفي القوم يومئذ ابو بيس هيصم بن جابر الضبي ،  
وعبد الله بن ايباض المري ، من بني مرة بن عبيد ، فأقبل ابو بيس على ابن  
ايباض فقال : إن نافعاً غلا فكفر ، وإنك قصرت فكفرت ! تزعم ان من  
خالفنا ليس بمشرك ، وإنما هم كفار النعم ؛ لتمسكهم بالكتاب ، واقرارهم  
بالرسول ، وتزعم أن مناكحهم ومواريتهم والإقامة فيهم حلٌ طلقٌ ؟ وأنا أقول :  
إن أعداؤنا كأعداء رسول الله ﷺ ، تحمل لنا الإقامة فيهم ، كما فعل المسلمون  
في إقامتهم بككة ، وأحكام المشركين تجري فيها ، وأزعم أن مناكحهم ومواريتهم  
تجوز لأنهم مناققون يظهرون الإسلام ، وأن حكمهم عند الله حكم المشركين !!

\* \* \*

فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل : قول نافع في البراءة والاستعراض  
واستحلال الأمانة وقتل الأطفال . وقول أبي بيس الذي ذكرناه . وقول عبد  
الله بن ايباض . وهو أقرب الاقاويل إلى السنة من أقاويل الضلال . والصفرية  
والنجدية في ذلك الوقت يقولون بقول ابن ايباض . وقد قال ابن ايباض ما ذكرنا  
من مقاله .

وأنا أقول : ان عدونا كعدو رسول الله ﷺ ، ولكني لا أحرّم مناكحهم  
ومواريتهم ، لأن معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول عليه السلام ، فأرى  
معهم دعوة المسلمين تجمعهم ، وأراهم كفاراً للنعم . وقالت الصفرية أين من هذا  
القول في أمر القعد ، حتى صار عامتهم قعداً . واختلفوا فيهم ، وقد ذكرنا  
ذلك . فقال قوم : سموا صفرية ، لأنهم أصحاب ابن صفار ، وقال قوم :  
إنما سموا بصفرة آلتهم ، وتصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي ، وكان يرى رأي  
الخوارج ، فتركه وصار مرجئاً :

فأرقت نجدة والذين تزوّقوا وابن الزبير وشيعة الكذاب

والصُّفْرَ الآذَانَ الَّذِينَ تَحْتَرُّوا دِينًا بِلَا ثِقَةٍ وَلَا بَكْتَابٍ

خَفَّفَ الهمزة من « الآذَانَ » ولولا ذلك لانكسر الشعرُ .

وقال أبو بيَّهَسٍ : الدارُ دارُ كُفْرٍ ، والاستعراضُ فيها جائزٌ ، وإن أُصِيبَ من الأطفالِ فلا حَرَجٌ . إلى ههنا انتهتِ المقالةُ .

\* \* \*

وتفرقتِ الحوارجُ على الأضربِ الأربعةِ التي ذكرنا ، وأقام نافعٌ بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويقتلُ الأطفالَ ، فإذا أُجِيبَ إلى المقالةِ جَبَا الحراجَ ، وقسا مَحْمَالَهُ في السَّوَادِ ، فارتاعَ لذلك أهلُ البصرةِ ، فاجتمعوا إلى الأحنفِ ابنِ قَيْسٍ ، فشكوا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا وبين العدوِّ إلا ليلتانِ ، وسيرتُهم ما ترى ، فقال الأحنفُ : إنَّ فعلهم في مصركم - إن ظفروا به - كفعلهم في سوادكم ، فجدثوا في جهادِ عدوِّكم ، فاجتمع إليه عشرةُ آلافِ رجلٍ ، فأتى عبدَ الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلبِ ، وهو بَبَّةٌ ، فسأله أن يؤمِّرَ عليهم ؛ فاختر لهم ابنَ عُبَيْسِ بنِ كُرَيْزٍ ، وكان دِينًا شجاعاً ، فأمره عليهم وشيَّعه ، فلما نفذ من جسرِ البصرةِ أقبل على الناسِ فقال : إني ما خرجتُ لامتيازِ ذهبٍ ولا فضةٍ ، وإني لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحُهم ، فمن كان شأنه الجهادَ فلينهضْ ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجعْ ، فرجع نفرٌ يسيرٌ ، ومضى الباقون معه . فلما صاروا بدوًلاب خرج إليهم نافعٌ ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، حتى تكسرتِ الرماحُ ، وعقيرتِ الحيلُ ؛ وكسرتِ الجِراحُ والقتلُ ، وتضاربوا بالسيوفِ والعمدِ ، فقتل في المعركةِ ابنُ عُبَيْسِ ونافعُ بن الأزرقِ ، وكان ابنُ عُبَيْسِ قد تقدم إلى أصحابه فقال : إن أُصِبتُ فأميركم الربيعُ بن عمرو الأجدمِ الغُدانيُّ ، فلما أُصِيبَ ابنُ عُبَيْسِ أخذ الربيعُ الرايةَ ، وكان نافعٌ قد استغلفَ عبيد الله بن بشر بن الماحِزِ السليطيِّ ، فكان الرئيسانِ من بني يربوعِ :

رئيس المسلمين من بني غداة بن يربوع ، ورئيس الحوارج من بني سليط بن يربوع  
فاقتلوا قتالا شديداً ، وادعى قتل نافع سلامة الباهلي ، وقال : لما قتله و كنت  
على برفون ورد إذا برجل على فرس وأنا واقف في خمس قيس ينادي :  
يا صاحب الورد ! هلم إلى المبارزة ، فوقفت في خمس بني تميم فاذا به يعرضها  
علي ، وجعلت أتقل من خمس إلى خمس ، وليس يزايلي ، فصرت إلى رحلي ، ثم  
رجعت فرآني فدعاني إلى المبارزة ، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين ،  
فضربته فضرعه ، فزلت لسلبه وأخذ رأسه ، فإذا امرأة قد رأني حين قتلت  
نافعاً ، فخرجت لتأثر به ، فلم يزل الربيع الأجدم يقاتلهم نيفاً وعشرين يوماً ،  
حتى قال يوماً : أنا مقتول لا محالة ، قالوا : وكيف ؟ قال : لأنني رأيت البارحة  
كان يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني ، فلما كان الغد قاتل  
إلى الليل ، ثم غاداهم فقتل ، فدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب ،  
إذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الججاج بن باب الحميري ، فأبأها ، فقيل  
له : ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟! فقال :  
مشؤومة ، ما يأخذها أحد إلا قتل ، ثم أخذها ، فلم يزل يقاتل الحوارج  
بدولاب ، والحوارج أعدت بالآلات والدروع والجواشن ، فالتقى الججاج بن  
باب وعمران بن الحرث الراسبي ، وذلك بعد أن اقتلوا زهاء شهر ، فاختلفا  
ضربتين ، فسقطا ميتين ، فقالت أم عمران تربيته :

الله أيّد عمراناً وطهره      وكان عمران يدعو الله في السحر  
يدعوه مرأ وإعلاناً ليرزقه      شهادة بيدي ملحادة غدري  
ولي صحابه عن حرّ ملحمة      وشد عمران كالضرغامه المصر

قول الربيع « استشلتني » أي : أخذتني إليها واستنقدتني . يقال « استشلاه  
واشلاه » وفي الحديث « أن السارق إذا قطع سبقته يده إلى النار ، فإن تاب  
استشلاه » . وقال رؤبة :

إن سليمان اشتلتا ابن علي . وقول الناس « أشليت كلبى » أي أغريته بالصيد ، خطأ ، إنما يقال « آسدت » . و « أشلته » ، دعوته .

وقولها « بيدي ملحادة » ، « مفعال » من الإلحاد ، كما يقول : رجل معطاء يفتى ، ومحسان ، ومكرام ، وأدخلت الماء للمبالغة ، وكما تدخل في رواية وعلامة ونسابة .

« وغدر » « فعمل » من الغدر ، ولفعل باب تذكره في عقب هذه القصة ، إذا فرغنا من خبر هذه الواقعة .

و « الضرغام » من أسماء الأسد .  
و « المصر » الذي يهصر كل شيء ، أي يثنيه ، قال امرؤ القيس :  
فلما تنازعنا الحديث وأسبحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

★ ★ ★

ولذكرنا الصفرية والأزارقة والبيهية والإباضية تفسير ، لم نسب إلى ابن الأزرق بالأزارقة ، وإلى أبي بيس بالكنية المضاف إليها ، ونسب إلى صفر ولم ينسب إلى واحد ، ونسب إلى ابن إباض فجعل النسب إلى أبيه ؟ وهذا تذكره بعد باب « فعل » ، إن شاء الله .

\*\*\*

قال أبو العباس : وما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري :

لعمرك إني في الحياة لزاهد	وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
من الحفرات البيض لم ير مثلها	شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك إني يوم أظم وجهها	على نائبات الدهر جد لثيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت	طعان قتي في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدّها	وأحلافها من بحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى  
 فلم أر يوماً كان أكثر مقعصاً  
 وضاربة خدّاً كريماً على فتى  
 أصيب بدولابٍ ولم تك موطناً  
 فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا  
 رأيت قبةً باعوا الإله نفوسهم  
 تعوم وظلنا في الجلالِ نعوم  
 يمجُّ دماً من فائظٍ وكليم  
 أغر نجيب الأمهات كريم  
 له أرض دولابٍ ودير حمير  
 تبيع من الكفار كل حريم  
 بجناتِ عدنٍ عنده ونعيم

قوله « ولو شهدتنا يوم دولاب » فلم ينصرف « دولاب » وإنما ذلك لأنه أراد البلدة ، و « دولاب » أعجميٌّ معربٌ . وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير الألف واللام فإذا دخلته الألف واللام فقد صار معرباً ، وصار على قياس الأسماء العربية ، لا يمنع من الصرف إلا ما يمنع العربيّ ، فدولاب « فوعال » مثل طومارٍ وسولافٍ . وكلُّ شيءٍ لا يخصُّ واحداً من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجلٍ ، لأن هذا الاسم يلحق كلَّ ما كان على بنيتِه ، وكذلك حملٌ وجبلٌ وما أشبه ذلك . فإن وقع الاسم في كلام العجم معرفةً فلا سبيل إلى إدخال الألف واللام عليه ، لأنه معرفةٌ ، فلا معنى لتعريفٍ آخر فيه ، فذلك غير منصرفٍ ، نحو « فرعون » و « هامان » و « قارون » و كذلك « إسحق » و « إبراهيم » و « يعقوب » .

وقوله « غداة طفت علماء بكر بن وائلٍ » وهو يريد : على الماء ، فإن العرب إذا التقت في مثل هذا الموضع لآمان استجازوا حذف أحدهما استثقلاً للتضعيف ، لأن ما بقي دليلٌ على ما حذف ، يقولون « علماء بنو فلان » كما قال الفرزدق :

وما سبق القيسيُّ من ضعف حيلةٍ  
 ولكن طفت علماء قلقة خالد

و كذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك « بنو » لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك قولك فلانٌ من « بلحرث » و « بلعبر » و « بلهجم » .

وقال آخر من الحوارج :

يرى من جاء ينظر من دجيل  
وقال رجل منهم :

سُميت ابن بدرٍ والحوادث جمة  
والموت حتمٌ لا محالة واقعٌ  
فلئن أميرَ المؤمنين أصابه  
ربب المتون فمن يصبه يغلق

نصب بعد « إن » ، لان حرف الجزاء للفعل ، فإنما أراد : فلئن أصاب أمير المؤمنين ، فلما حذف هذا الفعل وأضمر ، ذكر « أصابه » ليدل عليه ، ومثله قول النمر بن توبل :

لا تجزعي ان متفساً أهلكته  
وقال ذو الرمة :

إذا ابن أبي موسى بلالاً بلغته  
لان « اذا » لا يليها الا الفعل ، وهي به أولى .

هذا باب « فَعَلَ »

اعلم أن كل اسم على مثال « فعل » فهو مصروف في المعرفة والنكرة ، إذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً ، فالأسماء نحو : صردٍ ونغريٌ وجعلٍ ، وكذلك إن كانت جمعاً ، نحو : ظلمٍ وغرفٍ . وإن سميت بشيء من هذا رجلاً انصرف في المعرفة والنكرة ، وأما النعت فنحو رجلٍ حطمٍ ، كما قال :

قد لقيها الليلُ بسواقٍ حطمٍ .

وكذلك مالٌ لبدٌ ، وهو الكثير ، من قوله جلّ جلاله : ( أهلكت مالاً لبداً ) .

فإن كان الاسم على « فَعَلَ » معدولاً عن « فاعلٍ » لم ينصرف إذا كان اسمَ رجلٍ في المعرفة ، وينصرف في النكرة ، وذلك نحو : همراً وقمّاً ، لأنه معدول عن عامرٍ ، وهو الاسم الجاري على الفعل ، فهذا بما معرفته قبل نكرته ،

فإذا أُريد به منعب المعرفة جاز أن تبنيه في النداء من كل فعلٍ ( فَعَلَّ ) ،  
لأن المنادى مشار إليه ، وذلك قولك : يافسق ، وياخبث ، تريدُ : يافاسقُ  
وياخبثُ .

وإنما قالت « بيدي ملحادة غدر » في غير النداء للضرورة ، فنقلته معرفة من  
النداء ، ثم جعلته نكرةً لخروجه عن الإشارة ، فنعتت به « ملحادة » كما  
قال الخطيب :  
أجول ما أجول ثم آوي إلى بيتٍ قعده لكاع

وهذا لا يقع إلا في النداء ، ولكن للشاعر نقله نكرةً ونقله معرفةً ، على  
حد ما كان له في النداء . فيلحق قولها « غدر » بقوله رجلٌ حطمٌ ، ومالٌ لبدٌ ،  
وما أشبه . و « فعال » في المؤنث بمنزلة « فَعَلَّ » في المذكر ، ولو سميت  
رجلاً « حطماً » لصرفته ، من قولك : هذا سائقٌ حطمٌ ، لأنه قد وقع نكرةً  
غير معدولٍ ، فهو في النعوت بمنزلة « صردٍ » في الأسماء .

### هذا باب النسب إلى المضاف

اعلم أنك إذا نسبت إلى علمٍ مضافٍ فالوجه أن تنسب إلى الاسم الأول ،  
وذلك قولك في عبد القيس « عدي » وكذلك في عبد الله بن دارم . فإن  
كان الاسم الثاني أشهر من الأول جاز النسب إليه ، لثلا يقع في النسب التباس  
من اسم باسمٍ ، وذلك قولك في النسب إلى عبد مناف « منافي » وإلى أبي  
بكر بن كلاب « بكري » . وقد يجوز ، وهو قليل ، أن تبني له من الاسمين  
اسماً على مثال الأربعة لينتظم النسب ، وذلك قولك في النسب إلى عبد الدار بن  
قصي « عديري » وفي النسب إلى عبد القيس « عقيسي » .

فإن كان المضاف غير علمٍ فالنسب إلى الثاني على كل حالٍ ، وذلك قولك  
في النسب إلى ابن الزبير « زبيري » ، لأن ابن الزبير إنما صار معرفةً بالزبير ،

وكذلك النسب إلى ابن رالان « رالاني » . فذلك قالوا في النسب إلى ابن الأزرق « أزريقي » ، وإلى أبي بهس « بهسي » .

فأما قولهم « صفري » ، فإنما أرادوا الصفر الألوان ، فنسبوا إلى الجماعة ، وحق الجماعة إذا نسب إليها أن يقع النسب إلى واحدها ، كقولك « مهلي » ، و « مسمعي » ، ولكن جعلوا « صفراً » اسماً للجماعة ، ثم نسبوا إليه ، ولم يقولوا « أصفري » ، فينسب إلى واحدها ، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصفر اسماً للجماعة ، كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد ، ألا ترى أن النسب إلى الأنصار « أنصاري » ، لأنه كان علماً للقبيلة ، وكذلك « مدائني » . وتقول في النسب إلى الأبناء من بني سعد « أبناوي » ، لأنه اسم للجماعة .

فأما قولهم « الأزارقة » ، فهذا باب من النسب آخر ، وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الأب ، إذا كانوا إليه ينسبون ، ونظيره « المهالبة » ، و « المساعة » ، و « المناذرة » . ويقولون : جاءني النميرون والاشعرون ، جعل كل واحد منهم نميراً وأشعر ، فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك .

وقد تنسب الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين ، فيكون له مثل نسب الولادة ، كما قالوا « أزريقي » ، لمن كان على رأي ابن الأزرق ، كما تقول تميمي وقبيلي لمن ولده تميم وقيس ، ومن قرأ ( سلام على إلياسين ) فإنما يريد إلياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال :

قدني من نصر الحيين قد

يريدُ ابا خيبٍ ومن معه .

وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية إذا كان مجازهما واحداً في أكثر الأمر على لفظ أحدهما ، فمن ذلك قولهم « العمران » ، لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنها ، ومن ذلك قولهم « الحيبان » ، لعبد الله ومعصب ، وقد مضى تفسيره .

## عاد اتقول في الخوارج

قال : والازارقة لا تكفروا أحداً من أهل مقاتلها في دار الهجرة إلا القاتل رجلاً مسلماً ، فإنهم يقولون : المسلم حجة الله ، والقاتل قصد لقطع الحجة .

ويروى أن نافعاً مرّ بمالك بن مسمع في الحرب التي كانت بين الأزدي وربيعة وبني تميم ، ونافع متقلد سيفاً ، فقام إليه مالك فضرب بيده إلى حمالة سيفه . وقال : ألا تتصرنا في حربنا هذه ؟ ! فقال : لا يحل لي ، قال : فما بال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب ؟ ! فأمسك عنه ، وخرج بعد ذلك بأيام إلى الأهواز ، فلما قتل من قتل من بنخازر من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بيته القتال ، وأقام حارثه بن بدر الغداني يزاء الخوارج ، يناوشهم على غير ولاية ، وكان يقول : ما عندنا عند إخواننا من أهل البصرة إن وصل إليهم الخوارج ونحن دونهم ؟ فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يخبرونه بقعود بيته ، ويسألونه أن يولي والياً ، فكتب إلى أنس بن مالك أن يصلي بالناس ، فصلى بهم أربعين يوماً ، وكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة ، فلقبه الكتاب وهو يريد الحج ، وهو في بعض الطريق ، فرجع فأقام بالبصرة ، وولى أخاه عثمان محاربة الأزارقة ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، ولقيه حارثة فيمن كان معه ، وعبد الله الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز ، فلما عبروا إليهم دُجلاً نهض إليهم الخوارج ، وذلك قيل الظُّهر ، فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر : أما الخوارج إلا ما أرى ؟ فقال له حارثة ( بن بدر ) : حسبك هؤلاء ، فقال : لا جرم والله لا أتعدى حتى أُنجزهم ! فقال له حارثة بن بدر : إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف ، فأبقى على نفسك وجندك ، فقال : أبيت يا أهل العراق إلا أُجبناً ! وأنت يا حارثة ! ما علمك بالحرب ؟ أنت والله بتغير هذا أعلم ! يعرض له بالشراب ! فغضب حارثة فاعتزل ، وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قبلاً ، وانهمز الناس ، وأخذ حارثة

الراية ، وصاح بالناس : أنا حارثة بن بدر ، فتاب إليه قومه ، فعبر بهم  
 دجيباً ، وبلغ فل عثمان البصرة ، وخاف الناس الخوارج خوفاً شديداً ، وعزل  
 ابن الزبير عمر بن عبيد الله ، وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، المعروف  
 بالقباع ، أحد بني مخزوم ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي  
 الشاعر ، فقدم البصرة ، فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد ، فأراد  
 أن يوليّه ، فقال له رجلٌ من بكر بن وائل : إن حارثة ليس بذلك ، إنما  
 هو صاحب شراب ، وفيه يقول رجلٌ من قومه :

ألم تر أن حارثة بن بدرٍ      يُصلي وهو أكفرٌ من حمار  
 ألم تر أن للفتيان خطأً      وحظك في البغايا والقهار

فكتب إليه القباع : تكفى حريمهم إن شاء الله . فأقام حارثة يدافعهم ، فقال  
 شاعرٌ من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمرٍ ومسلم بن عيسى وحارثة  
 بن بدر :

مضى ابنٌ عيسى صلياً غير عاجزٍ      وأعقبنا هذا الحجازي عثمانُ  
 فأرعد من قبل اللقاء ابن معمرٍ      وأبرق وأبرق الباني خوانُ  
 فضحت قريشاً غثها وسمينها      وقيل بنو تيم بن مرة عزلانُ  
 فلولا ابن بدرٍ للعراقين لم يقم      بما قام فيه للعراقين إنسان  
 إذا قيل من حامي الحقيقة أومات      إليه معدةً بالأنوف وقحطان

\* \* \*

قوله « فأرعد » زعم الأصمعي أنه خطأ ، وأن الكمية خطأ في قوله :

أرعد وأبرق بإزيدٍ فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروي لمهلل مصنوعٌ محدثٌ ، وهو قوله :

أنبضوا معجس النفس وأبرق      بنا كما ترعد الفحول الفحولاً

وأنه لا يقال إلا « رعد وبرق » إذا أوعد وتهدد ! وهو « يرعد ويرق » وكذا يقال « رعدت السماء وبرقت » و « أرعدنا نحن وأبرقنا » إذا دخلنا في الرعد والبرق ، قال الشاعر :

• فقل لأبي قابوس ما شئت فارعدِ •

وروى غير الأصمعي « أرعد وأبرق » على ضعفٍ .

وقوله « والبرق البياني خوان » يريد : والبرق البياني يخون . وأجود النسب إلى اليمن « يمني » ويجوز « يمان » بتخفيف الياء ، وهو حسن ، وهو في أكثر الكلام ، تكون الألف عوضاً من إحدى الياءين ، ويجوز « يمانِي » فاعلم ، تكون الألف زائدة وتشدُّ الياء ، قال العباس بن عبد المطلب :

ضربناهم ضرب الاحامس غدوةً بكلِّ يمانِيٍّ إذا هزَّ صمماً

\*\*\*

ثم إن حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى ، فعبرت إليه الحوارج ، فهرب وأصحابه يرتكضون ، حتى أتى دُجَيْلاً ، فجلس في سفينة ، واتبعه جماعة من أصحابه ، فكانوا معه ، وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه ، والحوارج وراءه وقد توسط حارثة ، فصاح به : يا حارث ! ليس مثلي ضييع ، فقال للملاح : قرب : ف قرب إلى جرف ، ولا فِرْضة هناك ، فطفر بسلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعاً . وأقام ابن الماحوز يجي كور الأهواز ثلاثة أشهر ، ثم وجهه الزبير بن علي نحو البصرة فُصِح الناس إلى الأحنف ، فأتى القُبايع فقال : أصلح الله الأمير ، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيتنا ، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلاً ، قال : فسموا رجلاً ، فقال الأحنف : الرأي لا يخيل ، ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة ، فقال : أو هذا رأي جميع أهل البصرة ؟ اجتمعوا إلي في غدٍ ، وجاء الزبير حتى نزل الفرات ، وعقد الجسر ليعبر إلى ناحية البصرة ، فخرج أكثر أهل

البصرة إليه ، وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكورها ، رغبة ورهبة ، فأتاه البصريون في السفن وعلى الدواب ورجالة ، فاسودت بهم الأرض ، فقال الزبير لما رآهم : أبي قومنا إلا كفراً ، فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات يزارهم ، واجتمع الناس عند القباع ، وخافوا الخوارج خوفاً شديداً ، وكانوا ثلاث فرق ، فسمى قوم المهلب ، وسمى قوم مالك بن مسمع ، وسمى قوم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ، فصرفهم ، ثم اختبر ما عند مالك بن مسمع وزاد ، فوجدهما متناقلين عن ذلك ، وعاد إليه من أشار بها وقالوا : قد رجعنا عن رأينا ، ما نرى لها إلا المهلب ، فوجه الحُرثُ إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيد ! قد ترى ما رهقنا من هذا العدو ، وقد اجتمع أهل مصرك عليك ، وقال الأحنفُ : يا أبا سعيد ! إننا والله ما آثرناك بها ولكننا لم نر من يقوم لها مقامك ، فقال له الحُرثُ - وأوماً إلى الأحنفِ - : إن هذا الشيخ لم يسمك إلا إيثاراً للدين ، وكل من في مصرك ما د عينه إليك ، راجع أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك ، فقال المهلبُ : لاحول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي لدون ما وصفتم ، ولستُ آبياً مادعوتم إليه على شروطٍ أشرطها ، قال الأحنفُ : قل ، قال : على أن أنتخب من أحببتُ ، قال : ذاك لك ، قال : ولي إمرة كل بلد أغلب عليه ، قال : وذاك لك ، قال : ولي فيء كل بلد أظفر به ، قال الأحنفُ : ليس ذاك لك ولا لنا ، إنما هو فيء المسلمين ، فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم ، ولكن لك أن تُعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت ، وتتفق منه ما شئت على محاربة عدوك ، فما فضل عنكم كان للمسلمين ، فقال المهلبُ : فمن لي بذلك ؟ قال الأحنفُ : نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك ، قال : قد قبيلتُ ، فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدي الصلت بن حريث بن جابر الحنفي ، وانتخب المهلبُ من جميع الأخماس ، فبلغت نخبته اثني عشر ألفاً ، ونظروا ما في بيت المال ، فلم يكن إلا مائتي ألف درهم ، فعجزت ، فبعث المهلب إلى التجار فقال : إن تجارتكم منذ حولٍ قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس

عنكم ، فلم فبايعوني واخرجوا معي أوفكم إن شاء الله حقوقكم ، فتاجروا ،  
فأخذ من المال ما يصلح به عسكره ، واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوة  
بالصوف ، ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة ، حتى إذا صار بجذاء القوم أمر  
بسفن فأحضرت وأصلحت ، فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ، ثم أمر الناس  
بالعبور إلى الفرات ، وأمر عليهم ابنه المغيرة ، فخرج الناس ، فلما قاربوا  
الشاطيء خاضت إليهم الحوارج ، فحاربهم المغيرة ، ونضحهم بالسهم حتى تنحوا ،  
فصار هو وأصحابه على الشاطيء ، فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم ، حتى عقد المهلب  
الجسر ، وعبر الحوارج منهزمون ، فنهى الناس عن اتباعهم . ففي ذلك يقول  
شاعر من الأزد :

إنَّ العِراقَ وأهلَهُ لمَ يَجْبُرُوا      مثلَ المهلبِ في الحروبِ فسَلِمُوا  
أَمْضَى وَأَمِينَ فِي اللِّقَاءِ نَقِيَّةً      وَأَقْلَّ تَهْلِيلًا إِذَا مَا أَحْجَمُوا

« التهليل » التكذيب والانهزام .

وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العبدي ، وكان من فرسان بني  
تميم وشجعانهم ، فقال عطية :

يُدعى رجالٌ للعِضَاءِ وَإِنَّمَا      يُدعى عطيةٌ للطعان الأجرد  
وقال الشاعر :

وما فارسٌ إلا عطيةٌ فوقه      إذا الحربُ أبدت عن نواجذها الفها  
به هزمَ اللهُ الأزارقَ بعدما      أباحوا من المصرين حيلًا ومحرمًا

\* \* \*

فأقام المهلب أربعين يوماً يجبي الحراج بكور دجلة ، والحوارج بنهر تيرى ،  
والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز ، فقتل المهلب التجار  
وأعطى أصحابه ، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الحوارج ، ولما في الغنائم  
وللتجارات ، فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي وعبد الله بن رباح ومعاوية  
ابن قرة المزني ، وكان يقول - يعني معاوية - : لو جاء الديلم من ههنا والحرورية

من ههنا ، لحاربت الحرورية ، وأبو عمران الجوني ، وكان يقول : كان كعب يقول :  
قتيل الحرورية بفضل قتل غيرم بعشرة أنوار ، ثم نهض المهلب إليهم إلى نهر تيرى ،  
فتنحروا عنه إلى الأهواز، وأقام المهلب يجبي ما حوالبه من الكور ، وقد دس الجواسيس  
إلى عسكر الحوارج ، فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم ، فإذا حشوة ما بين  
قصارٍ وصباغٍ وداعرٍ وحدادٍ ، فخطب المهلب الناس ، فذكر من هناك ،  
وقال للناس : أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيكم؟! فلم يزال مقيماً حتى فهمهم  
وأحكم أمره وقوى أصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتنام إليه  
زهاء عشرين ألفاً ، ثم مضى يؤم سوق الأهواز ، فاستخلف أخاه المعمارك بن  
أبي صفرة على نهر تيرى ، وفي مقدمته المغيرة بن المهلب ، حتى قاربهم المغيرة  
فناوشوه ، فانكشف عنه بعض أصحابه ، وثبت المغيرة بقية يومه وليته ، برقد  
النيران ، ثم غاداهم القتال ، فإذا القوم قد أوقدوا النيران في ثقله متاعهم ،  
وارتحلوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرة ، وقد جاءت أوائل الخيل خيل  
المهلب ، فأقام بسوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحرث بن عبد الله بن أبي  
ربيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإننا منذ خرجنا تؤم هذا العدو في  
نعم من الله متصلة علينا ، ونقمة من الله متابعة عليهم ، نقدم ويحجمون ،  
ونحلُّ ويرتحلون ، إلى أن حللنا سوق الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ، الذي  
من عنده النصر ، وهو العزيز الحكيم .

فكتب إليه الحرث : هنيئاً لك أخا الأزد الشرف في الدنيا ، والذخر في  
الآخرة ، إن شاء الله .

فقال المهلب لأصحابه : ما أجفى أهل الحجاز ! أما ترونه يعرف اسمي  
واسم أبي وكنيتي؟!

وكان المهلب : بيت الأحراس في الأمن ، كما يبشهم في الخوف ، ويذكي  
العيون في الأمصار ، كما يذكها في الصحارى ، ويأمر أصحابه بالتحريز ، ويخوفهم

البيات ، وإن بعد منهم العدو ، ويقول : احذروا أن تُكادوا كما تكيدون ،  
ولا تقولوا هزمتنا وغلبنا ، فإن القوم خائفون وجلون ، والضرورة تفتح باب  
الحيلة ، ثم قام فيهم خطيباً فقال :

يا أيها الناس ! إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج ، وأنهم إن قدروا  
عليكم فتوكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم ، فقاتلوهم على ما قاتلَ عليه أولهم عليُّ  
ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقد لقيهم قبلكم الصابرُ المحتسبُ مسلمُ بن  
عيسى ، والعجيلُ المفرطُ عثمانُ بن عبيد الله ، والمعصيُ المخالفُ حارثةُ بن بدرٍ ،  
فقتلوا جميعاً وقتلوا ، فالقومُ يجدُ وحدي ، فإنما هم مهتمكم وعبيدكم ، وعارُ  
عليكم ونقصٌ في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيكم ، ويطؤوا حريمكم .

ثم سار يريدُهم ، وهم بمنذر الصغرى ، فوجه عبيد الله بن بشر بن الماحوز  
رئيس الخوارج رجلاً يقال له واقدٌ ، مولى لآل أبي صفرة من سبي الجاهلية ،  
في خمسين رجلاً ، فيهم صالح بن مخراقٍ ، إلى نهر تيرى ، وبها المعاركُ بن أبي  
صفرة ، فقتلوه وصلبوه ، فمى الخبرُ إلى المهلب ، فوجه ابنه المغيرة ، فدخل  
نهر تيرى وقد خرج واقدٌ منها ، فاستنزه ودفنه ، وسكن الناس ، واستخلف  
بها ، ورجع إلى أبيه وقد حل بسولاف ، والخوارجُ بها ، فواقعهم ، وجعل  
على بني تميم الحريش بن هلالٍ ، فخرج رجلٌ من أصحاب المهلب ، يقال له عبد  
الرحمن الإسكاف ، فجعل يحضُّ الناس وهو على فرسٍ له صفراء ، فجعل يأتي  
الميمنة والميسرة والقلب ، فيحضُّ الناس ويهونُ أمر الخوارج ، ويختال بين الصفين ،  
فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه : يامعشر المهاجرين ! هل لكم في فتكةٍ فيها  
أرمنيةٌ ؟ فحمل جماعةٌ منهم على الإسكاف ، فقاتلهم وحده فارساً ، ثم كبا به  
فرسه ، فقاتلهم راجلاً ، قائماً وباركاً ، ثم كثرت به الجراحات ، فذئب بسيفه ،  
وجعل يحو التراب في وجوههم ، والمهلب غيرُ حاضرٍ ، ثم قتل رحمه الله ،  
وحضر المهلب فأخبر ، فقال للحريش وعطية العنبري : أأسلمتا سيد أهل العسكر ،  
لم تعيناه ولم تستنقذاه ، حسداً له ، لأنه رجل من الموالي ؟ ! ووبخها ، وحمل

رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله ، فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ،  
ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، فانهمز الناس ، وقتلوا سبعين رجلاً ، وثبت  
المهلبُ ، وأبلى المغيرةُ يومئذٍ وعُرف مكانه . ويقال : حاص المهلبُ يومئذٍ  
حِصَةً . وتقول الأزدُ : بل كان يرد المنهزمة ويحمي أديارهم ، فقال رجلٌ من  
بني منقر بن عُبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

بسولافٍ أضعتَ دماءَ قومي وطرتَ على مُواشكةٍ دَرور

قوله «مواشكة» يريد سريعة . ويقال : نحنُ على وشك رحيلٍ . ويقال :  
ذميلٌ مواشكٌ ، إذا كان سريعاً . قال ذو الرُّمة :

إذا ما رمينا رميةً في مفازةٍ عراقيةا بالشَّيْطِميِّ المواشكِ

و «دُرورٌ» فعولٌ من درءِ الشيءِ : إذا تابَع .

وقال رجلٌ من بني تميمٍ آخرٌ :

تبعا الأعرور الكذاب طوعاً يُزجني كلُّ أربعة حمارا

فياندمي على تركي عطائي مُعابنةٌ وأطلبهُ ضمارا

إذا الرَّحْمَنُ يسر لي قفولاً فحرق في قري سولاف نارا

قوله : «الأعرور الكذاب» يعني المهلب ، ويقال عارت عينه بسهمٍ كان  
أصابها . وقال «الكذاب» لأن المهلب كان فقيهاً ، وكان يعلم ما جاء عن رسول  
الله ﷺ من قوله : « كل كذبٍ يكتبُ كذباً الا ثلاثة : الكذب في الصُّلح  
بين الرجلين ، وكذب الرجل لامرأته بعدها ، وكذب الرجل في الحرب يتوعدُّ  
ويتهددُ » ، وجاء عنه ﷺ : « إنما أنت رجلٌ » ، فخذل عنا ، فأبدا الحربُ  
خدعةً . وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عباد وسعد بن معاذٍ ،  
وهما سيّدا الحين الخزرج والأوس : « ايّيا بني قريظة ، فان كانوا على العهد  
فأعلنّا بذلك ، وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنائي لحناً أعرفه ، ولا تفتنا في  
أعضاء المسلمين ، فرجعا بغدر القوم فقلا : يا رسول الله عضلٌ والقارة ، قال :

فقال رسول الله ﷺ للمسلمين : « ابشروا فإن الأمر ما تحبثون » . قال الأخفش : سألت المبرد عن قولهما « عضلٌ والقارة » فقال : هذان حيّانٌ كانا في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ ، فأرادا أنهم في الانحراف عنه والغدر به ككهايتين القيلتين .

قال أبو العباس : فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج ، فكان حيٌّ من الأزدي يقال لهم الندب إذا رأوا المهلب رائحاً اليهم قالوا : قد راح المهلب ليكذب : وفيه يقول رجلٌ منهم :  
أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول

★ ★ ★

فبات المهلب في ألفين ، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف ، فخطب أصحابه فقال : والله ما بكم من قلة ، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع ، فإن يسكن قرحٌ فقد مس القوم قرحٌ مثله فسيروا إلى عدوكم على بركة الله . فقام إليه الحريش بن هلال فقال : أنشدك الله - أيها الأمير - أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك ، فإن بالقوم جراحاً وقد أثختهم هذه الجولة ، فقبل منه ، ومضى المهلب في عشرة فآشرف على عسكر الخوارج ، فلم ير منهم أحداً يتحرك ، فقال له الحريش : ارتحل عن هذا الموضع ، فارتحل ، فعبر دجيراً ، وصار إلى عاقول لا يؤتى إلا من وجه واحد ، فأقام به ، واستراح الناس ثلاثاً ، وقال ابن قيس الرقيات :

ألا طرقت من آل بية طارقه	على أنها معشوقة الدلّ عاشقه
تبيت وأرض السوس بيني وبينها	وسولاف رستاق حمة الأزارقة
إذا نحن شئنا صادفتنا عصابة	حرورية أضحت من الدين مارقة
أجازت إلينا العسكرين كليهما	فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقد ذكرنا « الضَّهَار » ومعناه الغائب ، وأصله من قولك « أضمرت الشيء » ،  
أي أخفيت عنه ، ويقال : مالٌ عينٌ ، للحاضر ، ومالٌ ضمائرٌ ، للغائب ،  
قال الأعشى :

ومن لا تضع له ذمةً      فيجعلها بعد عينِ ضميراً  
وقال أيضاً :

ترانا إذا أضمرتك البلا      دُنْجَفَى وتقطع منا الرِّحْمَ

والفعل من هذا « أضمر يُضمر » والمفعول به « مضمَرٌ » والفاعل « مضميرٌ » ،  
و « الضَّهَار » اسمٌ للفعل في معنى الإضمار . وأسماء الأفعالِ تشركُ المصادر في  
معانيها ، تقول : أعطيتُه عطاءً ، فيشرك العطاء الإعطاء في معناه ، ويسمى به  
المفعول . وتقول : كلمته تكليماً وكلاماً ، في معناه ، والمصدر يُنعت به الفاعل  
في قولك : رجلٌ عدلٌ ، ورجلٌ كرمٌ ، ورجلٌ نوَمٌ ، ويومٌ غمٌ وغميمٌ ،  
وينعت به المفعول في قولك : رجلٌ رضىً ، وهذا درهمٌ ضرب الأمير ، وجاءني  
الخلق ، تعني المخلوقين .

وقال رجلٌ من الحوارج في ذلك اليوم :

وكائنٌ تركنا يوم سولافٍ منهم      أسارتي وقلتي في الجحيم مَصِيرها

قوله « وكائنٌ » معناه : كم ، وأصله كاف التشبيه دخلت على « أيّ » ،  
فصارتا بمنزلة كم ، ونظير ذلك : له كذا وكذا درهماً ، إنما هي « ذا » دخلت  
عليها الكاف ، والمعنى : له كهذا العدد من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا  
درهماً ، فهو كناية عن أحد عشر درهماً إلى تسعة عشر ، لأنه ضمّ العديدين ،  
فإذا قال : كذا وكذا ، فهو كناية عن أحدٍ وعشرين درهماً إلى ما جاز فيه  
العطف بعده . ولكن كثرت « كأيّ » فخفضت ، والتثقيب الأصل ، قال الله  
تعالى : ( وكأيّ من قريةٍ أملت لها وهي ظلمةٌ ) ، ( وكأيّ من نبيٍّ قاتل  
معه ربّيون كثيرٌ ) وقد قرئ بالتخفيف ، كما قال الشاعر :

وكأى رددنا عنكم من مدججٍ  
يحيى أمام الألف يردى مقتعاً  
وقال آخر :

وكأى ترى يوم الغميصاء من فتى  
أصيب ولم يُجرح وقد كان جارحاً  
قال أبو العباس : وهذا أكثر على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ، وذلك الأصل ،  
وبعض العرب يقلب فيقول « كىء يافى » فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال ،  
قال الشاعر :

وكىء في بني دودان منهم  
غداة الرّوع معروفاً كميّ

\* \* \*

قال أبو العباس : فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيامٍ ، ثم ارتحل  
والخوارج بسلى وسليرى. قال الاخفش « سلى » و« سليرى » بفتح السين فيها ،  
موضعان بالاهواز ، « وسلى » بكسر السين موضعٌ بالبادية ، وهكذا ينشدُ  
هذا البيت :

كان غديرهم يجنوب سلى  
نعام قاق في بلد قفار

فزل قريباً منهم ، فقال ابن الماحوز لأصحابه : ما تنتظرون بعدوكم وقد  
هزمتهم بالأمس وكسرتهم حدّهم ؟ فقال له وافدٌ مولى أبي صفرة : يا أمير  
المؤمنين ! إنما تفرق عنهم أهل الضعف والجن ، وبقي أهل النجدة والقوة ، فإن  
أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئاً ، لاني أراهم لا يصابون حتى يصبوا ، فإن غلبوا  
ذهب الدين ، فقال أصحابه : نافع وافدٌ ! فقال ابن الماحوز : لاتصّبوا على  
أخيك ، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم . ثم توجه الزبير بن عليّ إلى عسكر المهلب  
لينظر ما حالهم ، فأتاهم في مائتين ، فحزروهم ورجع ، وأمر المهلب أصحابه بالتعارس ،  
حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعيةٍ صحيحة ، فالتقوا بسلى وسليرى فتصافوا ،  
فخرج من الخوارج مائة فارس ، فركزوا رماحهم بين الصفين واتكثروا  
عليها ، وأخرج إليهم المهلب عدادهم ، ففعلوا مثل ما فعلوا ، لا يرمون إلا لصلاةٍ  
حتى أمسوا ، فرجع كل قومٍ إلى معسكرهم ، ففعلوا هذا ثلاثة أيامٍ .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث ، فحمل عليهم هؤلاء الفرسانُ

يحولون ساعة ، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل فطعنه ، فحمل عليه المهلب فطعنه ، فحمل الخوارج بأجمعهم ، كما صنعوا يوم سولاف ، فضعفوا الناس ، وفقد المهلب ، وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان ، ثم نجم المهلب في مائة فارس ، وقد انعمت كفاءه في الدم ، وعلى رأسه قلنسوة "مربعة" فوق المغفر محشوة "قزاً" ، وقد تمزقت ، وإن حشوها ليطاير ، وهو يلهث ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل يجاربهم الى الليل ، حتى كثر القتل في الفريقين . فلما كان الغد غاداهم ، وقد كان وجهه بالامس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الازد ، يردُّ المهزومين ، فمر به عامر بن مسمع فردده ، فقال : إن الامير أذن لي ، فبعث إلى المهلب فأعلمه ، فقال : دعه ، فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبن والضعف . وقد تفرق أكثر الناس ، فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف ، وقال لاصحابه : ما بكم من قلة ، أيعجز أحدكم أن يرمي برمح ثم يتقدم فيأخذه ؟ ففعل ذلك رجل "من كندة يقال له عياش" وقال المهلب لاصحابه : أعدوا مخالي فيها حجارة" وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تصدُّ الفارس وتصرع الراجل ، ففعلوا ، ثم أمر منادياً ينادي في أصحابه ، يأمرهم بالجد والصبر ، ويطمعهم في العدو ، ففعل ، حتى مر بيني العدوية ، من بني مالك بن حنظلة ، فضربوه ، فدعا المهلب بسيدهم ، وهو معاوية بن عمرو ، فجعل يركله برجله ، وهذا معروف في الازد ، فقال له أصلح الله الامير ، أعفني من أم كيسان ، والرُّكبة تسميها الأزد "أم كيسان" . ثم حمل المهلب وحملا ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فجهد الخوارج ، فنادى مناديهم : ألا إن المهلب قد قتل ، فركب المهلب برزوناً قصيراً أشهب ، وأقبل يركض بين الصفين ، وإن إحدى يديه لفي القباء وما يشعر بها ، وهو يصيح : أنا المهلب ، فكمن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل ، وكل الناس مع العصر ، فصاح المهلب بابنه المغيرة : تقدم ، ففعل ، وصاح بذكوان مولاه : قدّم رايتك ، ففعل ، فقال له رجل من ولده : إنك تغرر بنفسك ، فذمره ، ثم صاح : يا بني تميم !

أَأمركم فتعصوني؟! فتقدم وتقدم الناس ، واجتلدوا أشد جلادٍ ، حتى إذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز ، وانصرف الخوارج ، ولم يشعر المهلبُ بقتله ، فقال لأصحابه : ابغوني رجلاً جلدًا يطوفُ في القتلِ ، فأشاروا عليه برجلٍ من جرمٍ ، وقالوا : إننا لم نرَ رجلاً قطُّ أشد منه ، فطوّفَ ومعه النيرانُ ، فجعل إذا مر بجريحٍ من الخوارج قال : كافرٌ وربُّ الكعبة ، فأجهز عليه ، وإذا مر بجريحٍ من المسلمين أمر بسقيه وحمله .

وأقام المهلبُ في عسكره يأمرهم بالاحتباس ، حتى إذا كان نصف الليل وجه رجلاً من اليعمد - قال الأخفش : اليعمد من الأزدي ، والحليلُ من بطن منهم يقال لهم الفراهيد ، والفرهودُ في الأصل الحملُ ، فإن نسبت إلى الحي قلت « فراهيديٌّ » وإن نسبت إلى الحُمْلان قلت « فرهوديٌّ » لاغيرُ - في عشرةٍ فصاروا إلى عسكر الخوارج ، فإذا القومُ قد تحملوا إلى أرتجان ، فرجع إلى المهلب فأعلمه ، فقال : أنا لهم الساعة أشدُّ خوفاً ، فاحذروا البيات .

. . .

قال أبو العباس : ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوماً : إن هؤلاء الخوارج قد ينسوا من حاجتكم إلا من جهة البيات ، فإن كان ذلك فاجعلوا شعاركم حَم لا ينصرون ، فإن رسولَ الله ﷺ كان يأمرُ بها . ويروى : أنه كان شعار أصحابِ علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه .

فلما أصبح المهلب غدا على القتلِ ، فأصاب ابن الماحوز فيهم ، ففي ذلك يقول رجلٌ من الخوارج :

بِلسِيْ وسَلِيْرِي مِصَارِعُ قَبِيَّةِ كِرَامٍ وَجَرَحِي لَمْ تَوْسِدْ خَدُودَهَا  
وقال آخرُ :

بِلسِيْ وسَلِيْرِي مِصَارِعُ قَبِيَّةِ كِرَامٍ وَعَقْرِيْ مِنْ كَمِيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ  
وقال رجلٌ من موالي المهلب : لقد صرعتُ يومئذٍ بجبري واحدٍ ثلاثةً ، رميت به رجلاً فأصبت أصل أذنيه فصرعته ، ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ، ثم صرعت به ثالثاً .

وقال رجلٌ من الخوارج :

أنا بأحجارٍ ليقتلنا بها وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجلٌ من أصحاب المهلب في يومِ سِليّ وسليرى وقتل ابن الماحوز :

ويومَ سِليّ وسليرى أحاط بهم منّا صواعق ما تبقي ولا تندر

حتى تركنا عيدَ الله منجداً كما تجدل جندعَ مال منقعرٌ

قال أبو العباس : تقولُ العربُ « صاعقةٌ وصواعقٌ » وهو منهُبُ أهل

الحجازِ ، وبه نزل القرآنُ ، وبنو تميمٍ يقولون « صاعقةٌ وصواعقٌ » .

و « المنقعرُ » المنقوعُ من أصله . قال الله أصدقُ القائلينَ : ( كأنهم

أعجاز نخلٍ منقერი ) .

ويروى : أن رجلاً من الخوارج يوم سِليّ حمل على رجلٍ من أصحاب المهلب قطعنه ،

فلما خالطه الرمحُ صاح : يا أمّاه ! فصاح به المهلب : لا كثرَ اللهُ بمثلِكَ المسلمين ،

فضحك الخارجيُّ وقال :

أمك خيرٌ لك مني صاحباً تسفيك محضاً وتعمل رابئاً

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماحِ قد تشاجرت في وجهه نكسَ

على قربوس مرجه وحمل من تحتها فبواها بسيفه وأثر في أصحابها ، حتى تخزمت

اليمينه من أجله . وكان أشدَّ ما تكون الحرب أشدَّ ما يكون تبساً ، فكان

المهلبُ يقولُ : ما شهد معي حرباً قط إلا رأيت البشري في وجهه .

وقال رجلٌ من الخوارج في هذا اليوم :

فإن تك قتلِي يوم سِليّ تابعت فكم غادرت أسياقنا من قفار

غداة نكر المشرفةَ فهمُ بولاف يوم المأزق المتلاحم

« المأزقُ » هو يوم تضايق الحرب . و « المتلاحمُ » نعت له . و « المشرفةُ »

السيوف ، نسبت إلى المشارف من أرض الشام . وهو الموضع الملقب بموتة الذي

قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه .

قال الأحنفُ : كانت المبرّد لا يهزم مودة ، . ولم اسمها من علمائنا  
إلا بالهمز ( .

\* \* \*

قال أبو العباس : فكتب المهلب إلى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة  
القباع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإننا لقينا الأزارقة المارقة ، بجدٍ وجدٍ ،  
فكانت في الناس جولةً ، ثم تاب أهل الحفاظ والصبر ، بنياتٍ صادقةٍ ، وأبدان  
شدادٍ ، وسيوف حدادٍ ، فأعقب الله خير عاقبةٍ ، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل ،  
فصاروا درةً رماحنا ، وضرائب سيوفنا ، وقتل الله لميرم ابن الماحوز ، وأرجو  
أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ، والسلام .

فكتب إليه القباعُ :

قد قرأت كتابك يا أبا الأزدي ، فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا  
وعزها ، وذخر لك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرها ، ورأيتك أوثق حصون  
المسلمين ، وهادئ أركان المشركين ، وأخا السياسة وذا الرياسة ، فاستدم الله  
بشكره ، يتم عليك نعمه ، والسلام .

وكتب إليه أهل البصرة يفتوناه ، ولم يكتب إليه الأحنف ، ولكن قال :  
اقرأ عليه السلام ، وقولوا له : أنا لك على ما فارقتك عليه . فلم يزل يقرأ  
الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الأحنف ، فلما لم يره قال لأصحابه : أما  
كتب إلينا ؟ فقال له الرسول : حملني إليك رسالةً ، وأبلغه ، فقال : هذه  
أحبُّ إلي من هذه الكتب .

\* \* \*

واجتمعت الحوارج بأرجان ، فبايعوا الزبير بن علي ، وهو من بني سليط  
ابن يربوع ، من رهط ابن الماحوز ، فرأى فيهم انكساراً شديداً وضعفاً بيناً ،

فقال لهم : اجتمعوا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيصاً وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزيٌ ، وإن يصب منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خيراً مما خَلَّفَ ، وقد أصبتم منهم مُسلمَ بن عيسى ، وربيعاً الأجدم ، والحجاج بن بابٍ ، وحرثة بن بدرٍ ، وأشجيتُ المهلبَ ، وقتلتم أخاه المَعاركَ ، والله يقولُ لإخوانكم من المؤمنين : ( إن يمسكُمُ قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله ، وتلك الأيامُ نداولها بين الناس ) فيوم سلى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً ، ويوم سولاف كان لهم عقوبةٌ ونكالاً ، فلا تغلبن على الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين .

ثم تحملَ لمحاربة المهلبِ ، فنفتحهم للمهلب نفحةً ، فرجعوا ، فأكمن للمهلب في غمضٍ من غموض الأرض ، يقرب من عسكره ، مائة فارس ليغتالوه ، فسار المهلب يوماً يطوف بعسكره ويتفقد سواده ، فوقف على جبلٍ فقال : إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكننت في سفحِ هذا الجبلِ كميناً ، فبعث عشرة فوارس ، فاطلعوا على المئة ، فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا ، وكسفتِ الشمس ، فصاحوا بهم : يا أعداء الله ! لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم . ثم ينس الزبير من ناحية المهلب ، فضرب إلى ناحية أصبهان ، ثم كر واجعاً إلى أرتجان . وقد جمع جموعاً ، وكان المهلب يقولُ : كأني بالزبير وقد جمع جموعاً ، فلا تروهم فتخبث قلوبكم ، ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم . فجاؤوه من أرتجان فالفروهم مستعداً آخذاً بأفواه الطرُق ، فحاربوه ، فظهر عليهم ظهوراً بيناً . ففي ذلك يقول رجلٌ من بني تميم ، أحسبه من بني وراح ابن يربوع :

سقى الله المهلبَ كلَّ غيثٍ من الوسميِّ يتحرُّ انتحاراً  
فما وَّهن المهلبُ يوم جاءت عوايسُ خيلهم تبغي الغوارا

وقال المهلبُ يومئذٍ : ما وقعتُ في أمر ضيقٍ من الحرب إلا رأيتُ أمامي رجالاً من بني المهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون ، وكانَ لحامِ أذنانِ العقاقق . وكانوا صبروا معه في غير موطنٍ .

وقال رجل من بني تميم ، من بني عبشمس بن سعدٍ :  
ألا يا منْ لصبٍ مستحسنٍ قريح القلب قد صحب المزونا  
لهانَ على المهلب ما لقينا إذا مراح مسروراً بطينا  
يجرُّ السابري ونحن شعثٌ كأنَّ جلودنا كُتبت طحينا  
« المزونُ » ، مَعَمَات ، وهو اسم من أسماءها . قال الكميّ :

فأما الأزْدُ أزدُ أبي سعيدٍ فأكرهُ أن أسميها المزونا

وقال جريرٌ :

وأطفأت نيران المزون وأهلها وقد حاولوها فتنةً أن تسعرا  
وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الإكاف ، وكان قيسٌ من أنجذ  
فرسان الحوارج ، فطعنه فذقَّ صلبه ، وقال :  
قيسُ الإكافِ غداة الرّوعِ يعلمني تثبتَ المقامِ إذا لاقيتُ أقراني

• • •

وقد كان فلٌ المهلب يوم سلتى وسلتيرى صاروا إلى البصرة ، فذكروا أن المهلب أصيب ، فهم أهل البصرة بالنقلة إلى البادية ، حتى ورد كتابه بظفره ، فأقام الناس ، وتراجع من كان ذهب منهم ، فعند ذلك يقول الأحنفُ ابن قيسٍ : البصرة بصره المهلب . وقدم رجلٌ من كيندة يقال له فلان بن أرقم ، فتعى ابن عم له ، وقال : رأيتُ رجلاً من الحوارج وقد مكّن رمحاً من صلبه ، فقدم المنعيُّ ، فقيل له ذلك ، فقال : صدق ابن أرقم لما أحستُ برمح بين كفتي صحتُ به البقية ! فرفعه عني ، وتلا « بقيةُ الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين » .

ووجه المهلب بعقب هذه الواقعة رجلاً من الأزدي برأس عبيد الله بن بشر بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباع ، فلما صار بكرثج دينارٍ لقيه حبيبٌ وعبد الملك وعليُّ بنو بشر بن الماحوز ، فقالوا له : ما الخبر ؟ ولا يعرفهم ، فقال : قتل الله المارق ابن الماحوز ، وهذا رأسه معي ! فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس ، فلما ولي الحجاج دخل عليه عليُّ بن بشر ، وكان وسيماً جسيماً ، فقال : من هذا ؟ فخبره فقتله ، ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزدي المقتول ، وكانت زينب بنت بشر لهم مواصلةً ، فوهبها لها .

فلم يزل المهلب يقاتل الحوارج في ولاية الحارث القُباع ، حتى عُزل الحارثُ ووُلي مصعب بن الزبير ، فكتب إليه أن اقدم عليّ واستخلف ابنك المغيرة ، ففعل ، فجمع الناس فقال لهم : إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم رقةٌ ورحمةٌ ، وابن كبيركم طاعةٌ ويراً وتبجيلاً ، وأخو مثله مواصلةً ومناصحةً ، فلتحسن له طاعتكم ، وليلن له جانبكم ، فوالله ما أردتُ صواباً قطُّ إلا سبقني إليه . ثم مضى إلى مصعب ، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته ، وكتب إليه : إنك لم تكن كأيك ، فإنك كافي لما وليتك ، فشمّر واتزر وجدّ واجتهد .

ثم شَخَّص المصعب إلى المذار ، فقتل أحمراً بن شبيب ، ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد . وقال للمهلب : أمرت عليّ بزلج أجعله بيني وبين عبد الملك . فقال له : أذكرك لك واحداً من ثلاثة : محمد بن عمير بن عطارد الدارمي ، أو زناد بن عمرو بن الأشرف العتكي ، أو داؤود بن قحذم ، فقال : أو تكفيني ؟ قال : أكفيك إن شاء الله ، فولاه الموصل ، فشخص المهلب إليها .

وصار مصعبٌ إلى البصرة ، فسأل : من يشتكفي أمر الحوارج ويفد

إلى أخيه ، فشاور الناس ، فقال قومٌ : ولّ عبيد الله بن أبي بكره ، وقال قومٌ : ولّ عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقال قومٌ : ليس لهم إلا المهلب فلردّده إليهم .

وبلغت المشورة الحوارج ، فأداروا الأمر بينهم ، فقال قطريّ بن الفجاءة المازنيّ : إنّ جاءكم عبيد الله بن أبي بكره أتاكم سيّدٌ سمحٌ جوادٌ كريمٌ مصعبٌ لعسكره ، وإنّ جاءكم عمر بن عبيد الله بن معمر أتاكم شجاعٌ بطلٌ فارس جادٌ ، يقاتل لدينه ومملكه ، وبطبيعة لم أر مثلها لأحدٍ ، فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحربٍ إلا كان أول فارسٍ يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه ، وإنّ ردّ المهلب فهو من قد عرفتموه : إن أخذتم بطرف ثوبٍ أخذ بطرفه الآخر ؛ يده إذا أرسلتموه ، ويرسله إذا مددتموه ، لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه ، إلا أن يرى فرصة فينتهزها ، فهو الليث المسير ، والشعب الرواغ ، والبلاء المقيم

فولى عليهم عمر بن عبيد الله ، وولاه فارس ، والحوارج بأرجان ، وعليهم الزبير بن علي السليطي ، فشنّ عليهم فقاتلهم ، وألح عليهم حتى أخرجهم عنها ، فألحقهم بأصبهان ، فلما بلغ المهلب أن مصعباً ولي عمر بن عبيد الله قال : رمام بفارس العرب وقتاها .

فجمعوا له وأعدّوا واستعدوا ، ثم أتوا سابور ، فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ ، فقال له مالك بن حسان الأزدي : ان المهلب كان يذكي العيون ، ويخاف اليبات ، ويرتقب الغفلة ، وهو على أبعد من هذه المسافة منهم ، فقال له عمر : اسكت خلع الله قلبك ! أتراك تموت قبل أجلك؟! فأقام هناك ، فلما كان ذات ليلة بيته الحوارج ، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء ، فأقبل على مالك بن حسان فقال : كيف رأيت ؟ قال : قد سلم الله عز وجل ، ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها ، فقال : أما إنكم لو

ناصحتوني مناصحتكم المهلب لرجوتُ أن أنقي هذا العدو ، ولكنكم تقولون :  
قرشي حجازي بعيد الدار ، خيره لغيرنا ، فقاتلون معي تعذيراً .

• • •

ثم زحف إلى الحوارج من غد ذلك اليوم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى  
أجّام إلى قنطرةٍ ، فكاثف الناس عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلحها ، ثم  
عبروا ، وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر ، وأمه من بني سَهْم بن عمرو بن  
هُصَيْن بن كعبٍ ، فقاتلهم حتى قُتل . فقال قطري : لا تقاتلوا عمر  
اليوم فإنه موتور . ولم يعلم عمر بقتل ابنه ، حتى أفضى إلى القوم ، وكان مع  
ابنه النعمان بن عباد ، فصاح به : يا نعمان ! أين ابني ؟ فقال : احتسبه أيها  
الأمير ، فقد استشهد رحمه الله صابراً مقبلاً غير مدبر . فقال : إنا لله  
وإنا إليه راجعون . ثم حمل على الناس حملةً لم يُرَ مثلاً . وحمل أصحابه محمته  
فقتلوا في وجعهم ذلك تعين رجلاً من الحوارج ، وحمل على قطري فضربه  
على جبينه ففلقه . وانهمت الحوارجُ ، وانتهى . فلما استقرُّوا ، قال لهم  
قطري : أما أشرتُ عليكم بالانصراف ؟ فجعلوه وجوههم حتى خرجوا  
من فارس .

وتلقاهم في ذلك الوقت الفيزر بن مهزم العبديُّ . فسأله عن خبره ؟  
وأرادوا قتله ! فأقبل على قطري فقال : إني مؤمنٌ مهاجرٌ ، فسأله عن أقاويلهم ؟  
فأجاب إليها ، فخلَّوا عنه ، ففي ذلك يقول في كلمةٍ له :

وشدُّوا وثاقِي ثم أجزوا خصومِي      إلى قطريِّ ذي الجين المفلتِ

وحاجبتهم في دينهم وحجبتهم      وما دينهم غيرُ الهوى والتخلقِ

ثم إنهم تراجعوا وتكاتفوا . ( قال الأخفش : « تكاتفوا » أعان بعضهم  
بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعضٍ ) وعادوا إلى ناحية أربجان ،  
فسار إليهم عمر ، وكتب إلى مصعبٍ : أما بعدُ . فإني قد لقيتُ الأزارقةَ ،

فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ، ووهب له السعادة ، ورزقنا عليهم الظفر ، ففرقوا شذرَ مذر ، وبلغتني عنهم عودة ، فيممتهم ، وبالله أستعين ، وعليه أتوكل .

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد ، فالتقوا ، فآلح عليهم حتى أخرجهم ، وانفرد عمر من أصحابه ، فعمد له أربعة عشر رجلاً منهم ، من مذكوريهم وشجعانهم ، وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب رجلاً منهم ضربة إلا صرعه . فركض إليه قطري على فرس طيمري ، وعمر على مهر ، فاستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه ، فبصر به مجاعة فأصرع إليه ، فصاحت الحوارجُ بقطري : يا أبا نعام ! إن عدو الله قد رهقك ، فانحط قطري عن قربوسه ، فطعنه مجاعة ، وعلى قطري درعان فهتكها وأمرع السنان في رأس قطري ، فكشط عنه جيلة ونجا .

وارتحل القوم إلى أصفهان فأقاموا بها برهة ، ثم رجعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى أصطخر ، فأمر مجاعة فجبى الحراج أسبوعاً ، فقال له : كم جيت ؟ قال : تسعمائة ألف ، فقال : هي لك ، فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة :

ودعاك دعوة مرهق فأجبتك  
فرددت عادية الكتبية عن قتي  
عمر وقد نسي الحياة وضاعا  
قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعزل مصعب بن الزبير وولي حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فوجه المهلب إليهم ، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رُد مصعب والمهلب بالبصرة ، والحوارجُ بأطراف أصبهان ، والوالي عليها عتاب بن ورقاء الرياحي ، فأقام الحوارجُ هناك شيئاً يحبون القرى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس ، فكتب مصعب إلى عمر بن عبيد الله : ما أنصفتنا ، أمت بفارس تجبي الحراج ومثل هذا العدو مجاربك ، والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك . وخرج مصعب من البصرة يريدكم ، وأقبل عمر بن عبيد الله يريدكم ، فتحنى الحراجُ إلى السوس ،

ثم أتوا المدائن ، فقتلوا أحر طيسه ، وكان شجاعاً ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ، ففي ذلك يقول الشاعر :

تركتم قتي القتيان أحر طيسه بساباط لم يعطيف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادها ، ووالها الحرث بن عبد الله القباع ، فتناقل عن الخروج ، وكان جباناً ، فذمره إبراهيم بن الأستر ، ولامه الناس فخرج متحاملًا حتى أتى النخيلة ، ففي ذلك يقول الشاعر :

إن القباع سار سيراً نكرا يسير يوماً ويقم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج ، والحوارج يعيثون ، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباهما بين يديها ، وكانت جميلة ، ثم أرادوا قتلها ، فقالت : أنتلون من ينشأ في الحلية وهو في الحسام غير ممين ؟! فقال قائل منهم : دعوها ، فقالوا : قد فنتك ، ثم قدّموها فقتلوا ، ثم قرءوا أخرى ، وهم بجذاء القباع ، والجسر معقودٌ بينها ، فقطعه القباع ، وهو في ستة آلاف ، والمرأة تستغيث به وهي تقول : علام تقتلونني ؟ فوا الله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت ! والناس يتفلتون إلى الحوارج ، والقباع يمنعهم ، فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر ، فأقام بين دبابها وديري خمسة أيام ، والحوارج بقربه ، وهو يقول للناس في كل يوم : إذا لقيتم العدو غداً فأثبتوا أقدامكم واصبروا ، فإن أول الحرب الترامي ، ثم إشراع الرماح ، ثم السلة ، فشكك رجلاً أمه فر من الزحف . فقال بعضهم لما أكثر عليهم : أما الصفة فقد سمعناها ، فتى يقع الفعل ؟! وقال الراجز :

إن القباع سار سيراً ملنا بين دبابها وديري خمسا

فأخذ الحوارج حاجتهم ، وكان شأن القباع التحصن منهم ، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أصبهان ، فبعث عتاب بن ورقاء إلى الزبير بن علي : أنا ابن عمك ، ولست أراك تقصيد في انصرافك من كل حربٍ غيري . فبعث إليه الزبير : إن أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء .

وإنما سمي الحُرثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع لأنه ولي البصرة فعيرَ  
 على الناس مكابيلهم ، فنظر إلى مكبالٍ صغيرٍ في مرآة العين وقد أحاط بدقيق  
 استكثره ، فقال : إن مكبالكم هذا لقباعٌ . و القباعُ ، الذي يخفي أو  
 يخفى ما فيه ، يقال : اتبع الرجلُ : إذا استتر ، ويقال للقفد القبعُ وذلك  
 أنه يخسُّ رأسه .

قال أبو العباس : وأقام الخوارجُ يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه ،  
 حتى طال عليهم المقام ، ولم يظفروا منه بكبير ، فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا ،  
 لا يمشون بقرية بين أصفهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها .

\* \* \*

وشاور المصعبُ الناس فيهم ، فأجمع رأيهم على المهلب ، فبلغ الخوارجُ  
 مشورته ، فقال لهم قطريُّ : إن جاءكم عتابُ بن ورقاء فهو فانك يطلع في  
 أول المقنب ولا يظفرُ بكبير ، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله فقارسٌ يقدمُ ،  
 فإمّا له وإمّا عليه ، وإن جاءكم المهلب فرجلٌ لا يناجزكم حتى تتاجزوه ، ويأخذ  
 منكم ولا يعطيكم ، فهو البلاءُ اللاتم ؛ والمكروه الدائم .

وعزّم المصعب على توجيه المهلب ، وأن يشخص هو لحرب عبد الملك فلما  
 أحسن به الزبير بن عليّ خرج إلى الري ، وبها يزيدُ بن الحُرث بن رُويم ،  
 فعاربه ثم حصره ، فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه ، فكان الظفرُ للخوارج ،  
 فقتل يزيدُ بن رُويم ، ونادى يومئذ ابنه حوشباً ففر عنه وعن أمه لطيفة ،  
 وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخل على الحُرث بن رُويم يعود ابنه يزيد ،  
 فقال له : عندي جاريةٌ لطيفةٌ الخدمةُ أبعثُ بها إليك . فساها يزيدُ لطيفة ،  
 فقيلتُ معه يومئذ ، ففي ذلك يقول الشاعرُ :

مواقفنا في كلِّ يومٍ كريمةٍ      أمرٌ وأشفى من مواقف حوشبِ  
 دعاه يزيدُ والرماحُ شوارعٌ      فلم يستجب بل راغ ترواع ثعلبِ

ولو كان شهيم النفس أو ذا حفيظةٍ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقد مر خبرُ عيسى بن مصعبٍ مستقصى وقال آخرُ :

نجى حليته وأسلم شيخه نصب الأمانة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشبٍ لبلال بن أبي بُردة يعبره بأمه ، وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف بن عمر : يا ابن حوراء ! فقال بلالٌ ، وكان جلدأً : إن الأمة تسمى حوراءً وجيداءً ولطيفةً !! وزعم الكلبي أن بلالاً كانت جلدأً حيث ابتلي . قال الكلبي : ويعجبني أن أرى الأسير جلدأً . قال : وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف بن عمر : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدهد ركنك ، وغير حالك ، فوا لله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخيفاً بالشريف ، مظهرأً للعصية ! فقال له بلالٌ : إنما طال لسائتك يا خالدٌ لثلاثٍ معك ممن علي : الأمر عليك مُقبِلٌ وهو عني مدبرٌ ، وأنت مطلقٌ وأنا مأسورٌ ، وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريبٌ . وإنما جرى الى هذا لأنه يُقال أن أصل آل الأهمم من الحيرة ، وأنهم أشابةٌ دخلت في بني منقرٍ من الروم .

\* \* \*

ثم انخط الزبير بن علي علي أصفهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر ، وعتابٌ يحاربه في بعضهن ، فلما طال به الحصارُ قال لأصحابه : ما تنتظرون؟ والله مباتوتون من قلةٍ ، وإنكم لفرسانٌ عشاثرٌكم ، ولقد حاربتموم مراراً فانتصقم منهم ، وما بقي منع هذا الحصارِ إلا ان تقني ذخائرٌكم ، فيموت أحدٌكم ، فيدفنه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه ، فقاتلوا القوم وبكم قوة ، من قبل ان يضعف أحدٌكم عن أن يمشي إلى قرنيه !! فلما أصبح الغد ، صلى بهم الصبح ، ثم خرج بهم إلى الحوارج وهم غارئون ، وقد نصب لواءً لجارية له يقال لها ياسمينٌ ، فقال : من أراد البقاء فليلق بلواء ياسمين ، ومن أراد الجهاد فليخرج معي . فخرج في ألفين وسبعمائة فارسٍ ، فلم يشعر بهم الحوارج حتى غشوم ، فقاتلوهم مجدي لم ير الحوارج منهم مثله ، ففقروا منهم خلقاً

كثيراً وقتلوا الزبير بن علي ، وانهمزمت الحوارج ، فلم يتبعهم عتاب ،  
ففي ذلك يقول الشاعر :

ويوم مجي تلافيته ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس : نفسر قوله « ولولاك » في آخر هذا الخبر إن شاء الله .  
وقال رجل من بني ضبة في تلك الواقعة :

خرجت من المدينة مستمينا ولم أك في كنية يميننا

أليس من الفضائل أن قومي غدوا مستثمين مجاهديننا

وترعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ، ويحمل بعضهم  
على بعض ، وربما كانت موافقة بغير حرب ، وربما اشتدت الحرب بينهم ،  
وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريع ، ويكنى أبا هريرة ، إذا  
تجاجز القوم مع المساء نادى بالحوارج وبالزبير بن علي :

يا ابن أبي المأحوز والأشرار كيف ترون يا كلاب النار

شدت أبي هريرة المرار يهرثكم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على المضار تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه ، فكمن له عبيدة بن هلال فضربه ، واحتمله أصحابه ،  
فظنت الحوارج أنه قد قتل ، فكانوا إذا تواقفوا نادوهم : ما فعل المرار ؟  
فيقولون : ما به من بأس ، حتى أبل من عله ، فخرج إليهم فصاح :  
يا أعداء الله ! أترون بي بأساً ؟ فصاحوا به : قد كنا نرى أنك لحقت  
بأمك الهاوية ، في النار الحامية .

\*\*\*

قال أبو العباس : نفسر أشياء من العريضة تحتاج إلى الشرح . من ذلك  
قوله « ولولاك » ، ومنه قوله « ألم تروا جيا » ، ومنه قوله « يهرثكم بالليل والنهار » .  
أما قوله « لولاك » فإن سيويه يزعم أن « لولا » تخفض المضمر ويرتفع بعدها  
الظاهر بالابتداء ، فيقال : إذا قلت « لولاك » فما الدليل ، على أن الكاف  
مخفوضة دون أن تكون منصوبة ، وضمير النصب كضمير الخفض ؟ فتقول :

إنك تقول لنفسك « لولاي » ولو كانت منصوبةً لكانت النون قبل الياء ،  
كقولك « رماني واعطاني » قال يزيد بن الحكم الثقفي :  
وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي  
« النيق » أعلى الجبل ، و « جرم » الإنسان : خلقه .

فيقال له : الضمير في موضع ظاهره ، فكيف يكون مختلفاً ؟ وإن كان  
هذا جائزاً فلم لا يكون في الفعل وما أشبه نحو « إن » وما كان معها  
في الباب ؟

وزعم الاخفش سعيداً ان الضمير مرفوعٌ ، ولكن وافق ضمير الحذف ،  
كما يستوي الحذف والنصب . فيقال : فهل هذا في غير هذا الموضع ؟!

قال ابو العباس : والذي اقول ان هذا خطأ لا يصلح ، إلا ان تقول « لولا  
انت » كما قال الله عز وجل : ( لولا انتم لكانا مؤمنين ) ومن خالفنا فهو  
لا بد يزعم ان الذي قلناه اجود . ويدعي الوجه الآخر فيجيزه على بعده .  
وأما « جي » فالاجود فيها ان تقول :

• الم تروا جيّ على المضارع .

فلا تتوّن ، لانها مدينةٌ ، والاسم اعجميٌ ، والمؤنث إذا سمي باسم اعجميٍّ  
على ثلاثة احرفٍ لم ينصرف إذا كان مؤنثاً وان كان اوسطه ساكناً نحو جورٍ  
وحمص وماء وما كان مثل ذلك ، ولو كان اسماً لمذكرٍ لانصرف ، فإن صرفته  
جعلته اسماً لبلدٍ ، وان لم تصرفه جعلته اسماً لبلدةٍ او لمدينةٍ ، الا ترى انك  
تصرف نوحاً ولوطاً ، وهما اعجميان ؟ وكذلك لو كان على ثلاثة احرف كلها  
متحركاً ، لانك تصرف « قدماً » لو سميت به رجلاً ، فالاعجميُّ بمنزلة المؤنث ،  
لان امتناعها واحداً .

وأما قوله « يهرُّكم » فإن كل ما كان من المضاعف على ثلاثة احرف وكان  
متعدياً فإن المضارع منه على « يفعلُ » نحو شدةً يشدُّه ، وزرته يزُرُّه ، ورده  
يرُدُّه ، وحله يحلُّه . وجاء منه حرفان على « يفعل » و « يفعلُ » فيها جيدٌ ،

هره يهره : إذا كرهه ، ويهره أجود ، وعلته بالخناء يعيله ، ويعله أجود .  
ومن قال حبيته قال تحيته لا غير ، وقرأ أبو رجاء العطاردي  
( فاتبعوني بحكم الله ) وذلك أن بني تميم قد غم في موضع الجزم وتحركوا  
أواخره لالتقاء الساكنين .

★ ★ ★

## رجع الحديث

قال أبو العباس : ثم إن الحوارج أداروا أمرهم بينهم ، فأرادوا تولية عبيدة  
ابن هلال ، فقال : أدلكم على من هو خير لكم مني ، من يطاعن في قبل ،  
ويحمي في دبر ، عليكم قطري بن الفجاءة المازني . فبايعوه ، فوقف بهم ، فقالوا :  
يا أمير المؤمنين ! امض بنا إلى فارس ، فقال : إن بفارس عمر بن عبيد الله بن  
معمر ، ولكن نصير إلى الأهواز ، فإن خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها .  
فأتوا الأهواز ، ثم ترفعوا عنها إلى اندج ، وكان مصعب قد عزم على الخروج  
إلى باجميرا ، فقال لأصحابه : إن قطرياً قد أطل علينا ، وإن خرجنا عن البصرة  
دخلها ، فبعث إلى المهلب فقال : اكفنا هذا العدو ، فخرج إليهم المهلب ، فلما  
أحس به قطري تيمم نحو كرمان ، فأقام المهلب بالأهواز ، ثم كر قطري  
عليه وقد استعد ، فكان الحوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم ،  
بكثرة السلاح ، وكثرة الدواب ، وحصانة الجثث ، فعاربهم المهلب فنقام إلى  
رام مرمز .

وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مراغماً لعتاب بن ورقاء  
يقال أنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي ، وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى  
قتله وحاص إليه أصحابه ، ففي ذلك يقول أعشى همدان :

إن المكارم أكملت أسبابها  
 للفارس الحامي الحقيقة معلماً  
 الحُرث بن عميرة الليث الذي  
 ودَّ الأزارق لو يصاب بطعنة  
 لابن الليث الغر من قحطان  
 زاد الرِّفاق إلى قرى نجران  
 يحمي العراق إلى قرى كرمان  
 ويموت من فرسانهم مائتان

ويروى : زاد الرِّفاق وفارس الفرسان ، وتأويله : أن الرُّفقة إذا صحبها أغناها  
 عن التزوُّد كما قال جريرٌ ، وأراد ابنٌ له سقياً ، وفي ذلك السفر يحيى بن أبي  
 حفصة ، فقال لأبيه زوِّدني ، فقال جريرٌ :

أزاداً سوى يحيى تريدُ وصاحباً  
 فما تكبرُ الكوماء ضربة سيفه  
 إلا إن يحيى نعم زادُ المسافر  
 إذا أرملوا أو خف ما في الغرائر  
 وقوله « ويموتُ من فرسانهم » يكون على وجهين : مرفوعاً ومنصوباً ، فالرفع  
 على العطف ، ويدخل في التمني ، والنصبُ على الشرطِ والخروجِ من العطف ،  
 وفي مصنف ابن مسعودٍ ( ودُّوا لو تُدهن فيدهنوا ) والقراءةُ ( فيدهنوت )  
 على العطف ، وفي الكلامِ : ودَّ لو تأتي فتحدثه ، وإن شئت نصبت الثاني .

\*\*\*

قال أبو العباس : وخرج مصعب بن الزبير إلى باجيرا ، ثم أتى الحوارج  
 خبرٌ مقتله بمكين ، ولم يأت المهلب وأصحابه ، فتواقفوا يوماً على الحدق ،  
 فناداهم الحوارج : ما تقولون في المصعب ؟ قالوا : إمام هدي ، قالوا : فما  
 تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ضالٌّ مضلٌّ . فلما كان بعد يومين أتى المهلب  
 قتلُ مصعبٍ ، وأن أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك ، وورد عليه كتاب عبد  
 الملك بولايته ، فلما تواقفوا ناداهم الحوارج : ما تقولون في مصعبٍ ؟ قالوا : لا نخبركم ! قالوا :  
 فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : إمام هدي ! قالوا : بأعداء الله ! بالأمس  
 ضالٌّ مضلٌّ واليوم إمام هدي ؟ ! يا عبيد الدنيا ! عليكم لعنة الله !!

\*\*\*

وولى خالد بن عبد الله بن أسيد ، فقدم فدخل البصرة ، فأراد عزل المهلب  
 فأشير عليه بأن لا يفعل ، وقيل له : إنما أمن أهل هذا المصر بأن المهلب  
 بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس ، فقد تتحى عمر ، وإن نحيت المهلب لم تأمن  
 على البصرة الأزارقة ، فأبى إلا عزله ، فقدم المهلب البصرة ، وخرج خالد إلى  
 الأهواز ، فأشخصه ، فلما صار بكربيج دينار لقيه قطري فمنعه حط أثقاله ،  
 وحاربه ثلاثين يوماً ، ثم أقام قطري بإزائه ، وخذق على نفسه ، فقال المهلب :  
 إن قطرياً ليس بأحق بالخذق منك ، فعبر دجلاً إلى شق نهر تيرى ، واتبه  
 قطري ، فصار إلى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخذق عليها ، فقال المهلب خالد :  
 خندق على نفسك ، فإني لا آمن عليك البيات ، فقال : يا أبا سعيد ! الأمر  
 أعجل من ذلك ، فقال المهلب لبعض ولده : إني أرى أمراً ضائعاً ، ثم قال  
 لزيد بن عمرو : خندق علينا ، فخذق المهلب وأمر بسفنه ففرت ، وأبى خالد  
 أن يفرغ سفنه ، فقال المهلب لفيروز حصين : صر معنا ، فقال : يا أبا سعيد !  
 الحزم ما تقول ، غير أني أكره أن أفارق أصحابي ، قال : فكن بقربنا ،  
 قال : أما هذه فنعم .

وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالداً بجيش  
 كثيف ، أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، ففعل ، فقدم عليه عبد الرحمن  
 فأقام قطري يغادهم القتال ويراوحهم أربعين يوماً ، فقال المهلب لمولى لأبي عيينة :  
 انتبذ إلى ذلك الناووس فبت عليه في كل ليلة ، ففتى أحسست خيراً من الخوارج  
 أو حركة أو سهيل خيل فاعجل إلينا ، فجاء ليلة فقال : قد تحرك القوم ،  
 فجلس المهلب بباب الخندق ، وأعد قطري سفناً فيها حطب فأشعلها ناراً وأرسلها على سفن خالد ،  
 وخرج في أدبارها حتى خالطهم ، فجعل لا يمر برجل إلا قتله ، ولا بدابة إلا عقرها ، ولا  
 بفسطاط إلا هتكه ، فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى  
 يومئذ ، وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسناً ، وخرج فيروز  
 حصين في مواله ، فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه ، فأثر أثرًا جيلًا ، فصرع

زيد بن المهلب يومئذ ، وصرع عبد الرحمن ، فعامى عنها أصحابها حتى ركبها ،  
وسقط فيروزُ حصين في الخندق ، فأخذ بيده رجلٌ من الأزدِ فاستتقده ، فوهبَ  
له فيروزُ حصينَ عشرة آلاف درهمٍ ، وأصبحَ عسكريُّ خالدٍ كأنه حرةٌ سوداءُ ،  
فجعل لا يرى إلا قتيلاً أو صريعاً ، فقال للمهلب : يا أبا سعيد ! كدنا نفتضحُ ،  
فقال خندقٌ على نفسك ، فإن لا تفعل عادوا إليك ، فقال : اكفني أمرَ الخندقِ ،  
فجمعَ له الأحماس ، فلم يبق شريفٌ إلا عميلٌ فيه ، فصاح بهم الخوارج : والله  
لولا هذا الساحرُ المزونيُّ لكان اللهُ قد دمرَ عليكم . وكانت الخوارجُ تسمي  
المهلبَ الساحرَ ، لأنهم كانوا يدبرون الأمرَ فيجدونه قد سبقَ إلى نقضِ تديروهم .  
فقال أعشى همدانَ لابن الأشعث في كلمةٍ طويلةٍ :

ويوم أهوازِكْ لا تنسهُ  
ليس الثنا والذكرُ بالدائرِ

وقد ذكّرنا في قصر الممدود ، من أن مد المقصور لا يجوزُ ، ما يغني  
عن إعادته .

• • •

ونذكرُ فيروزَ حصينٍ لما مرّ من ذكره :

وكان فيروزُ حصينٍ رجلاً جيّد البيت في العجم ، كريم الحنيد ، مشهورٌ  
الآباءِ ، فلما أسلم والي حصيناً ، وهو حصين بن عبد الله العنبريُّ ، من بني  
العنبر بن نعيم بن مرّة ، ثم من ولد طريف بن نعيم ، وكان فيروزُ حصينٍ شجاعاً  
جواداً ، نبيل الصورة ، جهر الصوت . وتروي الرثواةُ أن رجلاً من العرب  
كانت أمه فتاةً ، فقاول بني عمّ له ، فسبّوه بالعجمية ، ومر فيروزُ حصينٍ ،  
فقال : هذا خالي ، فمن منكم له خالٌ مثله ؟ وظنّ الفتى أن فيروز لم يسمعها ، وسمعها  
فيروز ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى ، فاشتري له منزلاً وجاريةً ، ووهب  
له عشرة آلاف درهم .

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج بن يوسف لما واقف ابن الأشعث برستقباذ

نادى منادي الحجاج : من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ، ففصل فيروز من الصف ، فصاح بالناس : من عرفني فقد اكنى ومن لم يعرفني فأنا فيروزُ حصين ، وقد عرفتم مالي و وفائي ، من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف ، فقال الحجاج : والله لقد تركني أكثرُ التلفتِ وإني ليين خاصتي . فأتى به الحجاجُ فقال له : أنت الجاعلُ في رأس أميرك مائة ألف درهم ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : والله لأمهدينك ثم لأحملنك ، أين المالُ ؟ قال عندي ، فهل إلى الحياة من سبيلٍ ؟ قال : لا ، قال : فأخرجني إلى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق علي ! ففعل الحجاج ، فخرج فيروزُ فأحل الناس من ودائعهم ، وأعتق رقيقه ، وتصدق بماله ، ثم رُد إلى الحجاج فقال : شأنك الآن فاصنع ماشئت ، فشُد في القصب الفارسي ، ثم سل حتى شريح ، ثم نضح بالحلِّ والملح ، فما تأوه حتى مات .

\* \* \*

قال أبو العباس : ومضى قطريُّ إلى كرمان ، فانصرف خالدٌ إلى البصرة ، فأقام قطريُّ بكرمان أشهراً ، ثم عمدَ لفارس ، وخرج خالدٌ إلى الأهواز ، وندب للناس رجلاً ، فجعلوا يطلبون المهلب ، فقال خالدٌ : ذهب المهلبُ بحفظ هذا المصر ، إني قد ولّيتُ أخي قتال الأزارقة ، فولى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلب على الأهواز في ثلاثمائة ، ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفاً ، والخوارجُ بدواب جرد ، فجعل عبدُ العزيز يقولُ في طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب ، فيسعلمون .

قال صعب بن زيد : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهواز جاءني كردوسُ حاجب المهلب فقال : أجب الأمير ، فجئتُ إلى المهلب وهو في سطحٍ وعليه ثيابٌ هرويةٌ ، فقال : يا صعبُ ! أنا ضائع ، كأنني أنظر إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي ، فابعث رجلاً من قبلك يأتيني بخبرهم سابقاً به إلي ، فوجهت رجلاً يقال له عمران بن فلان ، فقلت : اصعب عسكر عبد العزيز واكتب الي بخبر يوم يوم ، فجعلتُ أورده على المهلب .

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقف وقفةً ، فقال له الناسُ : هذا يومٌ صالحٌ ،  
 فينبغي أن تترك - أيها الأميرُ - حتى نطمئنَ ثم نأخذُ أهبتنا ، فقال : كلا ،  
 إلا الأمرُ قريبٌ ، فنزلَ الناسُ على غير أمره ، فلم يستمَ النزولُ حتى وردَ  
 عليهم سعدُ الطلائعِ في خمسمائةِ فارسٍ ، كأنهم خيطٌ ممدودٌ ، فناهضهم عبدُ  
 العزيزُ ، فواقفوه ساعةً ، ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتبعهم ، فقال له الناسُ :  
 لا تتبعهم فإننا على غير تعبٍ ، فأبى ، فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبةً ، فافتحمها  
 ورائهم ، والناسُ ينهونه ويأبى ، وكان قد جعل على بني تميم عيسَ بنَ طلقِ الصريميَّ  
 الملقبَ عيسَ الطعانِ ، وعلى بكر بن وائلٍ مقاتل بن مسمع القيسي ، وعلى شرطته رجلاً  
 من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم ، وكان لهم في بطن العقبة  
 كمينٌ ، فلما صاروا ورائهم خرج عليهم الكمين . وعطف عليهم سعدُ الطلائعِ ؛ فترجلَ  
 عيسُ بن طلقٍ فقتل ، وقتل مقاتلُ بن مسمع ، وقتل الضبيعيُّ صاحبُ الشرطة ،  
 وانحاز عبدُ العزيزُ ، واتبعهم الحوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا ، وكان عبدُ  
 العزيزُ قد خرج معه بأم حفص ابنت المنذر بن الجارودِ امرأته ، فسبوا النساءِ  
 يومئذٍ ، وأخذوا أمرى لاتحصى ، فقدموا في غارٍ بعد أن شدُّوهم وثاقاً ، ثم سدُّوا  
 عليهم بابهُ حتى ماتوا فيه .

وقال رجلٌ حضر ذلك اليوم : رأيت عبدَ العزيزِ وإن ثلاثين رجلاً يضربونه  
 بأسياهم وما تُحك في جسده .

يقال ما أحاك في السيف ، وما يحك فيهِ ، وما حكَّ ذا الأمرُ في صدري ،  
 وما حكى في صدري ، وما احتكى في صدري ، ويقال حاك الرجل في مشيته  
 يحك : إذا تبختر .

ونودي على السبي يومئذٍ ، فعولي بأم حفصِ ، فبلغ بها رجلٌ سبعين ألفاً ،  
 وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالحوارج ، ففرض لكل واحد منهم  
 خمسمائةٍ ، فكاد يأخذها ، فشق ذلك على قطري وقال : ما ينبغي لرجل مسلم  
 أن يكون عنده سبعون ألفاً ، إن هذه فتنةٌ ، فوثب إليها أبو الحديد العبدِيُّ

فقتلها ، فأنتي به قطريُّ فقال له : ياأبا الحديد ! مهيم ؟ فقال : بأمر المؤمنين !  
رأيت المؤمنين قد تزايدوا في هذه الشركة ، فخشيت عليهم الفتنة !! فقال  
قطريُّ : قد أصبت وأحسنت ! فقال رجلٌ من الخوارج :

كفانا فتنة عظمت وجلت      بحمد الله سيف أبي الحديد  
أهاب المسلمون بها وقالوا      على فرط الهوى : هل من مزيد  
فزاد أبو الحديد بنصل سيفٍ      رقيق الحدّ فعل فتى رشيد

قوله « أهاب » يريدُ : أعلن ، يقال أهبْتُ به : إذا دعوتهُ ، مثل صوت ،  
قال الشاعر :

أهاب بأحزان الفؤاد مهيبٌ      وماتت نفوسٌ للهوى وقلوبٌ

وقوله « مهيم » حرفٌ استفهام ، معناه : ما الخبرُ وما الأمرُ ، فهو دالٌّ  
على ذلك مخسوفٌ الخبرِ ، وفي الحديث « أن رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن  
ابن عوفٍ ردع خلقٍ فقال : مهيم ؟ فقال : تزوجتُ برسول الله ، فقال :  
أو لم ولو بشاةٍ ، وكان تزوج على نواةٍ ، وأصحابُ الحديث يروونه « على نواةٍ  
من ذهبٍ قيمتها خمسة دراهم » . وهذا خطأ وغلطٌ ، العرب تقول « نواةٌ ،  
فتعني بها خمسة دراهم ، كما تقول « النش » ، لعشرين درهماً ، و « الأوقية » ،  
لأربعين درهماً ، فإنما هو اسمٌ لهذا المعنى .

وكان العلاءُ بن مطرفٍ السعديُّ ابن عمِّ عمرو القنا ، وكان يجبُ أن  
يلقاه في تلك الحروب مبارزةً ، فلحقه عمرو القنا وهو منزهم ، فضحك عمروٌ  
وقال متمثلاً :

تثنائي ليلقاني لقيطٌ      أعامر لك ابن صعصعة بن سعدٍ

ثم صاح به : انج أبا المصدي ! وكان عمرو القنا يُكنى أيضاً أبا المصدي :  
وهذا البيتُ الذي يمثل به عمروٌ ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابيُّ بقوله ،  
يعني لقيط بن زرارة ، وكان يطلبه .

وقوله « أعام لك ، يريدُ : يا عامر ، فرخمَ ، وإنما يريدُ الحيُّ تعجباً ،  
 أي لكم أعجبٌ من تَمِيهِ للقائي ، فدعا بني عامر بن صعصعة ، وهم بنو صعصعة  
 ابن معاوية بن بكر بن هوازن ، ويقال أنَّ عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن  
 زيدِ مناةَ بن تميمٍ ، لا ابن معاوية ، وأنهم نافلةٌ في قيسٍ ، ولذلك تَمَنَعَتْ  
 بنو سعدٍ من محاربتهم مع بني تميمٍ يوم جَبَّةَ ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ  
 بن صفوان .

وهذا البيتُ وضعه سيديه في باب النداءِ الذي معناه معنى التعجبِ وشبهه  
 به قولُ الصلتانِ العبدِيَّ :

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومِ مثله      جريراً ولكن في كليبٍ تواضعُ  
 على معنى قوله : فقه درءه شاعراً .

وكان العلاءُ بن مطرفٍ قد حمل معه امرأتين له ، إحداهما من بني ضبَّةَ  
 يقال لها أمُّ جليلٍ ، والأخرى بنت عمه ، وهي فلانة بنتُ عقيلٍ ، فطلق  
 الضبَّةَ وتخلصَ بها جميعاً يومئذٍ وحمل الضبَّةَ أولاً ، ففي ذلك يقولُ :

ألتُ كريماً إذ أقول لِفِتِي      قفوا فاحملوها قبل بنتِ عقيلٍ  
 ولولم يكن عثودي نضاراً لأصبحتُ      تحرُّ على المتنينِ أمُّ جليلٍ

★ ★ ★

قال الصَّعْبُ بن يزيد : بعثني المهلب لآتيه بالخبر ، فصرت إلى قنطرةِ  
 أربك على فرسٍ اشتريته بثلاثة آلاف درهمٍ ، فلم أحسنُ خبراً ، فسرتُ مهجراً  
 إلى أن أمسيتُ ، فلما أظلمنا سمعتُ كلام رجلٍ عرفته من الجهاضمِ ، فقلت :  
 ما وراءك ؟ فقال : الشرُّ ، قلت : فأين عبد العزيز ؟ قال : أمامك ، فلما  
 كان من آخر الليلِ إذا أنا بزُهاءِ خمين فارساً معهم لواءٌ : فقلت ، لواءٌ من  
 هذا ؟ فقالوا : هذا لواءُ عبدِ العزيزِ ، فتقدمت إليه ، فسلمت وقلت : أصلح

الله الأمير ، لا يكبرن عليك ما كان ، فإنك كنت في شرّ جندي وأخيه ، قال لي : أو كنت معنا ؟ قلت : لا ، ولكن كافي شاهد أمرك ، قال : كأنك كنت معنا ، قلت : أرسلني المهلب لآتيه بخبرك ، ثم تركه وأقبلت إلى المهلب ، فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : ما يسرّك ، قد هزم عبد العزيز وقلّ جيشه ! فقال : ويحك ! وما يسرّني من هزيمة رجل من قريش وقلّ جيش من المسلمين ؟! قلت : قد كان ذاك ، ساءك أو سرّك ، فوجه رجلاً إلى خالدٍ بخبره ، قال الرجل : فلما أخبرت خالداً قال : كذبت ولوئمت ، ودخل رجل من قريش فكذبني ، وقال لي خالد : والله لعمت أن أضرب عنقك ، قلت : أصلح الله الأمير ، إن كنت كاذباً فاقتلني ، وإن كنت صادقاً فأعطني مطرف هذا المتكلم ! فقال خالد : لبئس ما أخطرت به دمك !! فما برحت حتى دخل بعض الفل .

وقدم عبد العزيز سوق الأهواز ، فأكرمه المهلب وكساه ، وقدم معه على خالد ، واستخلف ابنه حبيبا ، وقال له تحسّس عن الأخبار ، فإن أحسست بخبر الأزارقة قريبا منك فانصرف إلى البصرة ، فلم يزل حيباً مقيماً والأزارقة تدنو منه ، حتى بلغوا قنطرة أربك ، فانصرف إلى البصرة على نهر نوى ، فلما دخلها أعلم خالد ، فغضب عليه ، واستتر حيب في بني هلال بن عامر بن صعصعة ، فتزوج هناك في استتاره الملائية أمّ عبّاد بن حيب .

وقال الشاعر خالد يفيّل رأيه ، أي يخطئه :

بعثت غلاماً من قريش فرؤفةً      وتترك ذا الرأي الأصل المهلبا

أبى النعم واختار الرفاء وأحكمت      قراء وقد ساس الأمور وجربا

وقال الحرث بن خالد الخزومي :

فر عبد العزيز لما رأى الأب      طال بالسفح نازلوا قطرياً

ويروي :

فر عبد العزيز إذ راء عيسى      وابن داهود نازلا قطرياً

عاهد الله إن نجأ ملتنايا ليعودن بعدها حرمياً  
يسكن الخلّ والصّفاح فرأى ن وسلعاً وقلوة نجدياً  
حيث لا يشهد القتال ولا يبد مع يوماً لكرّ خليلٍ دويماً  
قوله « إذ راء عيسى ، الأصل « رأى » ، ولكنه قلب فقدم الألف وأخر الهزلة  
كما قال كثيرٌ :

وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ من أجلكِ هذا هامة اليوم أو غد  
والقلبُ كثيرٌ في كلام العربِ ، وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن  
شاء الله .

وقوله « ملتنايا » يريد من المنايا ، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام ،  
فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظٍ فيحذف أحدهما ، ومن كلام العرب أن يحذفوا  
النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرةً ، فيقولون في بني الحارثِ وبني العنبرِ وما  
أشبه ذلك « بلحارثِ » و « بلعنبرِ » و « بلهجينِ » كما يقولون « علماء بنو  
فلانِ » فيحذفون إحدى اللامين .

وقوله « ليعودن بعدها حرمياً » العرب تنسب إلى الحرم فيقولون « حرميُّ »  
و « حرميُّ » على قولهم حرمة البيت وحرمة البيت ، وقال النابغة الذبيانيُّ :  
من قول حرميةٍ قالت وقد رحلوا هل في مخفيكم من يشتري أدما  
و « الخلُّ » هنا موضعٌ ، وأصله الطريق في الرمل .

\* \* \*

وكتب خالدٌ إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز ، وقال للمهلب : ماترى عبد الملك  
صانعاً بي ، قال : بعزلك ، قال : أترأه قاطعاً رحمي ؟ قال نعم ، أته  
هزيمة أمية أخيك من البحرين . وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس .  
قال أبو العباس : فكتب عبد الملك إلى خالدٍ :

أما بعد ، فإني كنت حدثتُ لك عدداً في أمر المهلب ، فلما ملكت

أمرك نبذت طاعتي ، وامتددت برأيك ، فوليت المهلب الجبابة ، ووليت أخاك حرب الأزارقة ، فقبح الله هذا رأياً ، أتبعثُ غلاماً غراً لم يجرب الحروب للحرب ، وتتركُ سيداً شجاعاً مدبئراً حازماً قد مارس الحروب تشغله بالجبابة؟! أما والله لو ككافأتك على قدر ذنبك لأناك من نكيري ما لا بقيّة لك معه ، ولكن تذكرتُ رَحِمَكَ فَلَمَفَتِي عَنْكَ ؛ وقد جعلتُ عقوبتك عزك .

وولي بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب إليه :

أما بعد ، فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإياه مروان بن الحكم ، وإن خالداً لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية ، فانظر المهلب بن أبي صفرة ، فولت حرب الأزارقة ، فإنه سيدٌ بطلٌ مجربٌ ، فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجلٍ .

فشقّ عليه ما أمره به في المهلب . وقال : والله لأقتلته ، فقال له موسى ابن نصير : ايها الأمير ! إن للمهلب حفاظاً وبلاءً ووفاءً .

وخرج بشر بن مروان يريد البصرة ، فكتب موسى وعكرمة إلى المهلب أن يتلقاه لقاءً لا يعرفه به ، فتلقاه المهلب على بغلٍ ، فسلم عليه في مخار الناس ، فلما جلس بشرٌ مجلسه قال : ما فعل أميركم المهلب؟ قالوا : قد تلقاك ايها الأمير وهو شاكٍ .

فهم بشرٌ أن يولي حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله ، فقال له أسماء بن خارجة : إنما ولاءك أمير المؤمنين لتري رأيك ، فقال له عكرمة بن ربيعة : اكتب إلى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب ، فكتب إليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يُغني غناه ، ووجهً بالكتاب مع وفدٍ أوفدم إليه ورئيسهم عبد الله ابن حكيم الجاشعي ، فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال : إن لك ديناً ورأياً وحزماً ، فمن لقتال هؤلاء الأزارقة؟ قال : المهلب ، قال : إنه

عليّ ، قال : ليست علة بانعته ، قال عبد الملك : اراد بشرّ أن يفعل ما فعل خالد .

فكتب إليه يعزم عليه ان يولي المهلب ، فوجه إليه ، قال المهلب : أنا عليّ ولا يمكنني الاختلاف ؛ فأمر بشرّ بجمل الدواوين إليه فجعل يتنخب ، فاعترض بشرّ عليه ، فاقطع أكثر نخبته ، ثم عزم عليه ان لا يقيم بعد ثالثة ، وقد أخذت الحوارج الأهواز وخلّفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات ، فخرج إليهم المهلب حتى صار إلى شاربطاق ، فأتاه شيخ من بني تميم فقال : أصلح الله الأمير ، إن سني ما ترى فهني لعيالي ، قال : علي ان تقول للأمير إذا خطب فمخّم على الجهاد : كيف تحمّنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا واهل النجدة منا ؟ ففعل الشيخ ذلك ، فقال له بشر : وما أنت وذاك ؟ قال : لا شيء ، وأعطى المهلب رجلاً ألف درهم على أن يأتي بشراً فيقول له : ايها الأمير أعين المهلب بالشرطة والمقاتلة ، ففعل الرجل ذلك ، فقال له بشر : ما أنت وذاك ؟ قال : نصيحة تحضرتني للأمير والمسلمين ولا اعود إلى مثلها ، فأمدّه بالشرطة والمقاتلة .

وكتب بشرّ إلى خليفته بالكوفة ان يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف ، من كل رُبْع ألفين ، ويوجه به مدداً إلى المهلب ، فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزديّ فعقد له ، واختار له من كل رُبْع ألفين ، فكان على رُبْع اهل المدينة بشر بن جرير البجليّ ، وعلى رُبْع تميم ومهدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ ، وعلى رُبْع كندة وربيعة محمد بن إسحق بن الأشعث الكندي ، وعلى مذحج وأسديّ زحر بن قيس المذحجيّ ، فقدموا على بشر ، فخلا بعبد الرحمن بن مخنف ، فقال له : قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك ، فكن عند ظني ، انظر هذا المزونيّ فخالفه في أمره ، وأفسد عليه رأيه ، فخرج عبد الرحمن بن مخنف وهو يقول : ما اعجب

ماطمع مني فيه هذا الغلام ! بأمرني ان أصغر شيخاً من مشايخ أهلي وسيداً من ساداتهم ؟! فلتحق بالمهلب .

• • •

فلما أحسّ الأزارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات ، فاتبعهم المهلب إلى سوق الأهواز ، فنقام عنها ، ثم تبعهم إلى رام هرمز فهزمهم منها ، فدخلوا فارس ، وابل ي زيد ابنه في وقائع هذه بلاءً حسناً ، تقدم فيه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، فلما صار القوم بفارس وجه إليهم ابنه المغيرة ، فقال له عبد الرحمن بن صبيح : ايها الأمير ! إنه ليس برأي لك قتل هذه الأكلب ، ولئن - والله - قتلتم لتعدن في بيتك ، ولكن طاولهم واكل بهم ، فقال : ليس هذا من الوفاء .

فلم يلبث برام هرمز إلا شهراً حتى أتاه موت بشر ، فاضطرب الجند على ابن محنف ، فوجه إلى محمد بن إسحق بن الأشعث وابن زحر واستحلفها أن لا يبرحا ، فحلفا له ، ولم يقيا ، فجعل الجند من أهل الكوفة يتسلون حتى اجتمعوا بسوق الأهواز ، وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب ، فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم ، فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير .

وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان ، فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز ، يحلف فيه بالله مجتهداً ، لئن لم يرجعوا إلى مراكزم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم إلا قتله ، فجاء مولاة فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله ، فقال : إني لأرى وجوهاً ما القبول من شأنها ! فقال له ابن زحر : أيها العبد ! اقرأ ما في الكتاب وانصرف إلى صاحبك ، فإنك لاتدري ما في أنفسنا ، وجعلوا يستعجلونه في قراءته ، ثم قصدوا قصداً الكوفة ، فزولوا النخيلة ، وكتبوا إلى خليفة بشر يسئلونه أن يأذن لهم في الدخول ، فأبى ، فدخلوها بغير إذن .

فلم يزل المهلبُ ومن معه من قوادهِ وابنِ محنفٍ في عددٍ قليلٍ ، فلم ينشروا  
 أن ولى الحجاجُ العراقَ ، فدخل الكوفةَ قبلَ البصرةِ ، وذلك في سنة خمسٍ  
 وسبعين ، فخطبهم ونهدهم ، وقد ذكرنا الخطبةَ متقدِّماً ، ثم نزل فقال لوجوه  
 أهلها : ما كانت الولايةُ تفعل بالعصاة ؟ فقالوا : كانت تضربُ وتحبسُ ، فقال  
 الحجاجُ : ولكن ليس لهم عندي إلا السيفُ ، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين  
 لغزاهم المشركون ، ولو ساغتِ العصيةُ لأهلها ما قوتل عدوُّ ولا جُبي فيهِ  
 ولا عزَّ دينٌ .

ثم جلسَ لتوجيهِ الناسِ ، فقال : قد أجلتكم ثلاثاً ، وأقسم بالله لا يتخلف  
 أحدٌ من اصحابِ ابنِ محنفٍ بعدها ولا من أهلِ الثُّغورِ إلا قتلتهُ ، ثم قال  
 لصاحبِ حرسه وصاحبِ شرطه : إذا مضت ثلاثة أيامٍ فاتخذنا سيوفكما عصياً ،  
 فجاءهُ عميرُ بنُ ضابئٍ البرجميُّ بابنه . فقال : أصلح الله الأمير ، إن هذا أنفع  
 لكم مني ، هو أشدُّ بني تميمٍ أيداً ، وأجمعهم سلاحاً ، وأربطهم جأشاً ، وأنا  
 شيخٌ كبيرٌ عليّ ، واستشهدَ جلساءه ، فقال له الحجاجُ : إن عنركَ  
 لو اضحَ ، وإن ضعفك لينٌ ، ولكنني أكره أن يجترىء بك الناسُ عليّ ، وبعد  
 فانت ابنُ ضابئٍ صاحبِ عثمان ، ثم أمر به فقتل ، فاحتمل الناسُ ، وإن أحدهم  
 لبتبع بزادهِ وسلاحه ، ففي ذلك يقول ابنُ الزبيرِ الأسديُّ :

أقول لعبد الله يوم لقيته	أرى الأمر أمسي منصباً متشيباً
تخييراً فإما أن تزور ابن ضابئ	عميراً وإما أن تزور المهلباً
هما خطتا خسف نجاؤك منها	ركوبك حولياً من الثلج أشهباً
فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه	يد الدهر حتى يترك الطفل أشياء
فأضحى ولو كانت خراسان دونه	رأها مكان السوق أو هي أقرباً

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال :  
 أقاتلي الحجاج إن لم أزره له  
 حواب وأترك عند هندی فؤاديا  
 وقد مرت هذه الأبيات .

\* \* \*

وخرج الناس عن الكوفة ، وأتى الحجاج البصرة ، فكان عليهم أشدّ إخلالاً ،  
وقد كان أتاهم خبره بالكوفة ، فتحمل الناس قبل قدومه ، فأتاه رجلٌ من بني  
يشكر ، وكان شيخاً كبيراً أعور ، وكان يجعل على عينه العوراء صوفة ،  
فكان يلقب ذا الكرسفة ، فقال : أصلح الله الأمير إن بي فتقاً ، وقد عنفني  
بشر ، وقد رددت العطاء . فقال : إنك عندي لصادق ، ثم أمر به فضربت  
عنقه ، ففي ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق :

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربةً      تقرقرّ منها بطن كلّ عريف

ويروى عن ابي ميرة قال : إنا لتغدى معه يوماً إذ جاء رجلٌ من بني  
سليم برجلٍ يقوده ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن هذا عاصٍ ، فقال : له  
الرجل : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فوالله ما قبضت ديوناً قط ، ولا  
شهدت عسكرياً ، وإني لحائكٌ أخذت من تحت الحف ، فقال : اضربوا عنقه ،  
فلما أحس بالسيف سجد ، فلحقه السيف وهو ساجد ، فأمسكنا عن الطعام ، فأقبل علينا  
الحجاج فقال : مالي أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل  
رجلٍ واحدٍ؟! إن العاصي يجمع خلافاً : يخل بمركزه ، ويعصي أميره ، ويفرّ  
المسلمين من نفسه وهو أجيرٌ لهم ، وإنما يأخذ الأجرة لما يعمل ، والوالي مخير  
فيه إن شاء قتل وإن شاء عفا .

ثم كتب الحجاج الى المهلب : أما بعد ، فإن بشراً رحمه الله استكره نفسه  
عليك ، وأراك غناه عنك ، وأنا أريك حاجتي اليك . فأرني الجد في قتال  
عدوك ، ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله ، فإنني قاتلٌ من قبلي ومن كان  
عندي من وليٍّ من هرب عنك فأعلمني مكانه ، فإنني أرى أن آخذ الوليَّ بالولي ،  
والسمي بالسمي .

فكتب اليه المهلب : ليس قبلي الا مطيعٌ ، وإن الناس إذا خافوا العقوبة  
كبروا الذنب ، وإذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب ، وإذا يئسوا من العفو

أكفرهم ذلك ، فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة ، فإنما هم فرسان أبطال ،  
أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه .

\* \* \*

فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال : اليوم قوتل هذا العدو . ولما رأى  
ذلك قطري قال : انهضوا بنا يزيد السردان فتحصن فيها ، فقال عبيدة بن  
هلال : أو تأتي سابور ، وخرج المهلب في آثارهم ، فأتى أرجان ، وخاف  
أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان ، وليست بمدينة ، ولكن جبال محذقة  
منيعه ، فلم يصب بها أحداً ، فخرج نحوهم فعسكر بكازرون ، واستعدوا  
لقتاله ، وخذق على نفسه ، ثم وجه إلى عبد الرحمن بن مخنف : خندق على  
نفسك ، فوجه إليه : خنادقنا سوفنا ، فوجه إليه المهلب : إني لا آمن عليك  
اليات ، فقال ابنه جعفر : ذاك أهون علينا من خرطة جل ! فاقبل المهلب  
على ابنه المغيرة فقال : لم يصيبوا الرأي ولم يأخذوا بالوثيقة ، فلما أصبح القوم  
غادوه الحرب ، فبعث إلى مخنف يستمده ، فأمدته بجاعة ، وجعل عليهم ابنه  
جعفر ، فجاؤا وعليهم أقية بيض جد ، فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم ،  
وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد ، ثم نظر إلى رئيس  
منهم يقال له صالح بن خراق ، وهو يتخب قوماً من جلة العسكر ، حتى  
بلغوا أربعمائة ، فقال لابنه المغيرة : ما بعد هؤلاء إلا لليات ، وانكشف  
الحوارج والأمر للمهلب عليهم ، وقد كثر فيهم القتل والجراح .

\* \* \*

وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال ، فكان يجبسهم  
نهاراً ، ويفتح الحبس ليلاً ، فينسل الناس إلى ناحية المهلب ، وكان الحجاج  
لا يعلم ، فإذا رأى اصراعهم تمثل :

إن لها لسائفاً عشتورا إذا وتين وثية تغشرا

العشزور « الصُّلب » ، و « التغشمر » ركوب الرأس ، و « المتغشمر »  
الجاد على ما خيئت .

وكتب إلى المهلب من قبل الوقعة : أما بعد ، فإنه بلغني أنك أقبلت على  
جباية الحراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليتكَ وأنا أرى مكان عبد الله بن  
حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الجبلي ، واخترتك وأنت من أهل عمان ، ثم  
رجلٌ من الأزدي ، فالقهم يوم كذا في مكان كذا ، والا أشرعت إليك  
صدرَ الرمح !!

فشاور بنه فقالوا : انه أميرٌ ، فلا تغلظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب : ورد علي كتابك تزعم أنني أقبلت على جباية الحراج  
وتركت قتال العدو ، ومن عجز عن جباية الحراج فهو عن قتال العدو أعجز ،  
وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن  
حصين الجبلي ، ولو وليتني لكانا مستحقين لذلك في فضلها وغنائها وبطشها ،  
واخترتني وأنا رجلٌ من الأزدي ، ولعمري ان شرّاً من الأزدي لقيلة تنازعها  
ثلاث قبائل ، لم تستقر في واحدةٍ منهن ، وزعمت أنني ان لم القهم في يوم كذا في مكان كذا  
أشرعت إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبت إليك ظهر المجن ، والسلام .

ثم كانت الوقعة . فلما انصرف الحوارج قال المهلب لابنه المغيرة : إني  
أخافُ اليات علي بنى تميم ، فانهض إليهم فكنّ فيهم ، فأقام المغيرة ، فقال له  
الحريش بن هلال : يا أبا حاتم ! أخاف الأمير أن يؤتى من ناحيةنا ؟ قل له  
فليببت آمناً فإننا كافرهم ما قبلنا إن شاء الله . فلما انتصف الليل ، وقد رجع  
المغيرة إلى أبيه ، سرى صالح بن خرقاق في القوم الذين أعدّهم إلى ناحية بني تميم ،  
ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول :

إني لمُذَكِّرٌ للشراة ناراها ومانعٌ ممن أتاها دارها

وغاسلٌ بالطعن عنها عارها

فوجد بني تميم أبقاظاً متعارسين ، فخرج إليهم الحريش بن هلال ،  
وهو يقول :

لقد وجدتم وُقراً أنجاداً      لا كُشفاً ميلاً ولا أوغادا  
هياتَ لا تلفوتنا رُقّاداً      لا بل إذا صيح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه ، فاتبعهم وصاح بهم : إلى أين يا كلاب  
النار ؟ فقالوا : إنما أعدت النار لك ولأصحابك . فقال الحريش : كل  
مملوك لي حرٌّ إن لم تدخلوا النار إن دخلها مجوميّ فيما بين سفوان وخراسان .

قوله « وجدتم وُقراً » : جمع وُقورٍ . و « النجيد » ضد البليد ، وهو  
المتيقظ الذي لا كل عنده ولا فتور . و « الأميل » فيه قولان ؛ قالوا :  
الذي لا يستقرُّ على الدابة ، وقالوا : هو الذي لا سيف معه . و « الأكَشَفُ »  
الذي لا تُرْس معه . و « الأَجْمُ » الذي لا رُمح معه . و « الحاسر » الذي لا درع  
عليه . و « الأعزل » الذي لا يتقوم على ظهر الدابة . و « الوغد » الضعيف .

ثم قال بعضهم لبعض : نأتي عكر ابن مخنف فإنه لا خندق عليهم ، وقد  
تعب فرسانهم اليوم مع المهلب ، وقد زعموا أننا أهون عليهم من شرطة جمل ،  
فاتوهم ، فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم إلا وقد خالطوهم في عكرهم ،  
وكان ابن مخنف شريفاً ، يقول رجلٌ من غامدٍ لرجلٍ يعاتبه ويضربُ بابن  
مخنف المثل :

تروحُ وتغدو كلَّ يومٍ معظماً      كأنك فينا مخنفٌ وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل ، وقتل معه سبعون من القراء ،  
فيهم نفرٌ من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، ونفرٌ من أصحاب  
ابن مسعود ، وبلغ الخبر المهلب ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب ،  
فجاءهم مغيباً ، فقاتلهم حتى ارتث وصرع ، ووجه المهلب إليهم ابنه حياً فكشفهم ،  
ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله ، وصار جنده

في جندِ المهلبِ ، فضمهم إلى ابنه حبيبٍ ، فعيرهم البصريون ، فقال رجلٌ لجعفر  
ابن عبد الرحمن :

تركت أصعابنا تدمى نخورم      وجئتَ تسمى إلينا خضفة الجملِ  
قوله « خضفة الجملِ » يريد خرطة الجملِ ، يقال خضفَ البعيرُ ، وأنشدني  
الرياشيُّ لأعرابيٍّ يذمُّ رجلاً اتخذ وليمةً :

إنا وجدنا خلفاً بنس الحلفِ      أغلقَ عنا بابهُ ثم حلف  
لا يدخلُ البوابُ إلا من عرفَ      عبدٌ إذا ما ناء بالحملِ خضفُ  
يقال « ناء بحمله » إذا حمله في ثقلٍ وتكلفٍ ، وفي القرآن : ( ما إن  
مفاتيحهُ لتتوء بالعصبة أُولي القوةِ ) والمعنى أن العصبة تتوء بالمفاتيح ، وقد مضى  
تفسير هذا ، وتقول العرب « حبج الرجل وحبق وخضف وردم » كل ذلك  
إذا ضرط .

فلامهم المهلب ، وقال : بثما قتم ، واقد ما فروا ولا جبنوا ، ولكنهم  
خالقوا أميرهم ، أفلاتذكرون فراركم يوم دولا ب ، وفراركم بدارس عن عثمان ،  
وفراركم عني ؟!

\* \* \*

ووجه الحجاجُ البراء بن قبيصة إلى المهلبِ يستحثه في مناجزة القوم ،  
وكتب إليه أنك لتحبُّ بقاءهم لتأكل بهم . فقال المهلبُ لأصحابه : حرِّكواهم ،  
فخرج فرسانٌ من أصحابه إليهم ، فخرج إليهم من الخوارج جمعٌ ، فاقبلوا إلى  
الليل ، فقال لهم الخوارج : ويلكم أما تملئون ؟ فقالوا : لا ، حتى تملأوا ،  
قالوا : فمن أتم ؟ قالوا : تميمٌ ، قالت الخوارج : ونحن بنو تميم ، فلما أمسوا  
افترقوا ، فلما كان الغد خرج عشرةٌ من أصحاب المهلبِ وخرج إليهم عشرة  
من الخوارج ، فاحتفر كل واحدٍ منهم حفيرةً وأثبت قدمه فيها ، فكلما قتلَ  
رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجتره ووقف مكانه ، حتى أغموا ، فقال لهم

الحوارجُ : ارجعوا ، فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم ! من أنتم ؟  
فقالوا : تميم ، قالوا : ونحن تميم ، فرجع البراءُ بن قبيصة إلى الحجاج ، فقال  
له : مه ؟ قال : رأيت قوماً لا يعينُ عليهم إلا الله .

وكتب إليه المهلب : إني منتظرٌ بهم إحدى ثلاثٍ : موتٌ ذريعٌ ، أو جوعٌ  
مضراً ، أو اختلافٌ من أهوائهم .

وكان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحدٍ ، كان يتولى ذلك بنفسه ،  
ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده .

وقال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب :

عدمتك يامهلب من أميرٍ      أما تندي يمينك للفقيرِ  
بدولابٍ أضعت دماءَ قومٍ      وطرت على مواشكةٍ درورِ

فقال المهلبُ ويحك ! والله اني لأقيمُ بنفسي وولدي ، قال : جعلني الله  
فداء الأمير ، فذاك الذي نكره منك ، ما كلنا يجبُ الموت ، قال ويحك ! وهل  
عنه محيصٌ ؟ قال : لا ، ولكننا نكره التعجيل ، وأنت تقدم عليه إقداماً ،  
قال المهلب : أما سمعت قول هيرة الكلبية اليربوعي :  
فقلت لكأسٍ أجمها فإيما      نزلنا الكئيب من زرود لنفزعاً ؟

قال : بلى والله قد سمعته ، ولكن قولي أحب إلي منه ، وهو :

فلما وقفتم غدوةً وعدوكم      إلى مهجتي وليت أعداءكم ظهري  
وطرت ولم أحفلُ مقالة عاجزٍ      يسافي المنايا بالرؤدنية السمرِ

فقال له المهلبُ : بش حشو الكتيبة والله أنت ! فإن شئت أذنت لك  
فانصرفت إلى أهلك ؟ فقال : بل أقيمُ معك أيها الأمير ، فوهب له المهلبُ  
وأعطاه ، فقال بمدحه :

يرى حتماً عليه أبو سعيدٍ      جلادَ القوم في أولى النفيرِ  
إذا نادى الشراةُ أبا سعيدٍ      مشى في رقلٍ محكمةٍ القيرِ

« الرقلُ ، الذئيل .

وقال المهلبُ : ما يسرني أن في عسكري ألف شجاعٍ بدل بييسِ بن صهيبِ ،  
فيقال له : أيها الأميرُ ! بييسٌ ليس بشجاعٍ ، فيقول : أجلٌ ، ولكنه شديد  
الرأي محكمُ العقلِ ، وذو الرأي حذرٌ سؤولٌ ، فأنا آمنٌ أن يغتفل ، فلو كان  
مكانه ألف شجاعٍ قلت انهم ينشامون حتى يحتاج اليهم .

ومطرت السماءُ ليلةً مطراً شديداً وهم يسابور ، وبين المهلبِ وبين الشراة  
عقبةٌ ، فقال المهلبُ : من يكفيننا هذه العقبةَ الليلةَ ؟ فلم يبق أحدٌ ، فلبس  
المهلبُ سلاحه وقام إلى العقبةِ واتبعه ابنه المغيرةُ . فقال رجلٌ من أصحابه  
يقال له عبد الله : دعانا الأميرُ إلى ضبط العقبةِ ، والحظ في ذلك لنا ، فلم نطعه ،  
فلبس سلاحه واتبعه جماعةٌ من أهل العسكر فصاروا إليه ، فاذا المهلبُ والمغيرةُ  
لا تالك لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأميرُ فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما  
أصبحوا إذا بالشراةِ على العقبةِ ، فخرج اليهم غلامٌ من أهل عمان على فرس ، فجعل  
يحمل وفرسه يزلق ، وتلقاه مدركٌ بن المهلبِ في جماعةٍ معه حتى ردهم .

فلما كان يومُ النحرِ والمهلبُ على المنبرِ يخطب الناسَ إذا الشراةُ قد تألبوا ،  
فقال المهلبُ : سبحان الله ! أفي مثل هذا اليوم ؟ يا مغيرةُ اكفينهم ، فخرج  
اليهم المغيرةُ بن المهلبِ وأمامه سعد بن نجدٍ القردوسيُّ ، وكان سعدٌ شجاعاً  
متقدماً في شجاعته ، وكان المهلبُ إذا ظنَّ برجلٍ أن نفسه قد أعجبه قال  
له : لو كنت سعدَ بن نجدٍ القردوسيِّ ما عدا - وقردوسٌ من الأزدِ - فخرجَ  
أمامَ المغيرةِ ، وتبع المغيرةُ جماعةً من فرسان المهلبِ ، فالتقوا ، وأمام الخوارجِ  
غلامٌ جامع السلاحِ ، مديدُ القامةِ ، كريةُ الوجه ، شديدُ الحملة ، صبيحُ الفروسيةِ ،  
فأقبل يحمل على الناس وهو يقول :

نحن صبحناكم غداة النحر  
بالحليل أمثال الوشيحِ نمجري

فخرج إليه سعد بن نجدٍ القردوسي من الأزد ، ثم تجاوزا ساعةً ، فطعنه سعدٌ  
فقتله ، والتقى الناس ، فصرع يومئذ المغيرةُ ، فحامي عليه سعد بن نجدٍ وذبيان  
السختياني وجماعةٌ من الفرسان حتى ركب ، وانكشف الناس عند سقطةِ

المغيرة ، حتى صاروا إلى أبيه المهلب ، فقالوا : قتل المغيرة ، ثم أتاه ذبيان  
السختياني ، فأخبره بسلامته ، فأعنى كل مملوك كان بحضرته .

\* \* \*

ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطئه في مناجزة القوم ،  
وكتب إليه : أما بعد ، فإنك جيت الحراج بالعليل ، وتحصنت بالحنادق ،  
وطاولت القوم ، وأنت أعز ناصراً ، وأكثر عدداً ، وما أظن بك مع هذا  
معصية ولا جبناً ، ولكنك اتخذت أكلاً ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ،  
فناجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام .

فقال المهلب للجراح : يا أبا عقبة ! والله ما تركت حيلة إلا احتلتها ، ولا  
مكيدة إلا عملتها ، وما العجب من إبطاء النصر وتراخي الظفر ، ولكن  
العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يصيره !! ثم ناهضهم ثلاثة أيام ،  
يغاديهم القتال ، ولا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف أصحابه وبهم قرح ،  
وبالحوارج قرح وقل ، فقال له الجراح : قد أعذرت .

فكتب المهلب إلى الحجاج : أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم ، على  
أنك لا تقطن بي معصية ولا جبناً ، وقد عاتبني معاتبه الجبان ، وأوعدتني وعيد العاصي ،  
فاسئل الجراح ، والسلام .

فقال الحجاج للجراح : كيف رأيت أخاك ؟ قال والله مارأيت أيها الأمير  
منه قط ولا ظننت أن أحداً يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه  
أياماً ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون  
بالسيوف ويتخابطون بالعمد ، ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئاً ، رواح قوم  
تلك عاداتهم وتجارهم . فقال له الحجاج : لشد ما مدحت أبا عقبة ! قال :  
الحق أولى .

وكانت ركب الناس قديماً من الخشب ، فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع ،  
فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد ، فأمر المهلب فضربت الركب  
من الحديد ، وهو أول من أمر بطبعها ، ففي ذلك يقول عمار بن  
عصام العنزي :

ضربوا الدمام في إمارتهم      وضربت للحدثان والحرب  
حلقاً ترى منها مرافقهم      كمنالك الجمالة الحرب

\* \* \*

وركب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي ، من بني رياح بن يربوع بن  
حنظلة ، وهو والي أصبهان : يأمره بالمسير إلى المهلب وأن يضم إليه جند عبد  
الرحمن بن مخنف ، فكل بلد تدخله من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة  
فيه ، وأنت على أهل الكوفة ، فإذا دخلت بلداً فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير  
الجماعة فيه ، والمهلب على أهل البصرة .

نقدم عتاب في إحدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب ، وهو  
بسابور ، وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس ، وعتاب على  
أصحاب ابن مخنف ، والحوارج في أيديهم كرمان ، وهم يزاء المهلب بفارس  
يجارونه من جميع النواحي .

فوجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم ، أحدهما يقال له  
زباد بن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صعصعة ، والآخر من آل أبي عليل  
جد الحجاج ، فضم زباداً إلى ابنه حبيب ، وضم الثقفي إلى يزيد ابنه ، وقال  
لها : خذا يزيد وحيباً بالمناجزة ، فغادوا الحوارج فاقتلوا أشد قتال ، فقتل  
زباد بن عبد الرحمن ، وفقد الثقفي ، ثم باكروهم في اليوم الثاني وقد وجد الثقفي  
فدعا به المهلب ودعا بالغداء ، فجعل النبل يقع قريباً منهم ، والثقفي يعجب من  
أمر المهلب ، فقال الصلتان العبدى :

ألا يا اصبحاني قبل عوق العوائق      وقبل اختراط القوم مثل العقائق

غداة حبيبٌ في الحديد يقودنا  
تحرون إذا ما الحرب طار شرارها  
نحوض المئابا في ظلال الحوافق  
وهاج عجاج الحرب في البوارق  
زباداً أطلحته رماح الأزارق  
فمن مبلغ الحجاج أن أميته

قوله « وقبل اختراط القوم مثل العقائق » يعني السيوف و « العقائق » جمع عقيقة ، يقال سيف كأنه عقيقة بوق ، أي كأنه لمعة بوق ، ويقال انعق البرق إذا تبسم ، وللعقيقة مواضع ، يقال فلان بعقيقة الصبي ، أي بالشعر الذي ولد به لم يخلقه ، ويقال عقت الشيء أي قطعته ، ومن ذا فلان يعق أوبه ، وكذا عقت عن الصبي ، إذا ذبحت عنه ، وقال أعرابي :

لم تعلمي يادارَ يلجاء أنثي  
أحبُّ بلادِ الله ما بين مشرفِ  
إذا أجديتْ أو كان خصباً جنبها  
إلي وسلمي أن يصب سحابها  
بلادٌ بها عتق الشبابُ ممعني  
وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ثرابها

فلم يزل عتابُ بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر ، حتى ظهر شبيب ، فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمصير إليه ليوجهه إلى شبيب ، وكتب إلى المهلب يأمره بأن يرزق الجند ، فرزق المهلب أهل البصرة ، وأبى أن يرزق أهل الكوفة ، فقال له عتاب : ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة ، فأبى ، فحبرت بينها غليظة ، فقال عتاب : قد كان يبلغني أنك شجاع فرأيتك جباناً ، وكان يبلغني أنك جواد فرأيتك بخيلاً ، فقال له المهلب : يا ابن اللخناء ! فقال له عتاب : لكنك معمٌ مخولٌ !! فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ، ووثب ابنُ نعيم بن هيرة بن أبي مصقلة على عتاب فشتمه ، وقد كان المهلب كلها للحليف ، فلما رأى نصره بكر بن وائل له سرّة الحلف وانغبط به ، ولم يزل يؤكّده ، فغضبت عيمُ البصرة لعتاب ، وغضبت أزدُ الكوفة للمهلب .

قال أبو العباس : تحالف الأزدُ وربيعة بعد الإسلام ، وادّعوا أن ذلك كان قديماً في الجاهلية ، لقول النبي عليه السلام : « لا حلف في الإسلام ، وكل حلف في الجاهلية فلن يزيد الإسلام إلا شدة » . والحلفُ العهد والصحة ،

والخليفة صاحب . وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الحلف في الإسلام لثلاثين مسلم على مسلم ، فأما ما مضى فقد ثبت به حرمة لا يزيدتها الإسلام إلا شدة . فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب ، فقال لعتاب : يا أبا ورقاء ! إن الأمير يصير لك إلى كل ما تحب ، وسأل أبا أن يرزق أهل الكوفة ، فأجابه ، فصلح الأمر ، فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب ، وقال عتاب : إني لأعرف فضله على أبيه ، وقال رجل من الأزدي من بني إمام بن سود :

ألا أبلغ بني ورقاء عنا      فلو أننا كنا غضابا  
على الشيخ المهلب إذ جفانا      للاقت خيلكم منا ضرابا

• • •

وكان المهلب يقول لبيته : لا تبدوهم بقتال حتى يبدوكم فيبغوا عليكم ، فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم .

فشخص عتاب بن ورقاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين ، فوجهه إلى شيب ، فقتله شيب ، وأقام المهلب على حربهم ، فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهراً اختلفوا .

وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حداداً من الأزارقة كان يعمل نصالاً مسمومة ، فيرمى بها أصحاب المهلب ، فرُفِعَ ذلك إلى المهلب فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله ، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عكر قطري فقال : ألق هذا الكتاب في عسكر قطري واحذر على نفسك ، وكان الحداد يقال له أبزي ، فمضى الرسول ، وكان في الكتاب : أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلي ، وقد وجهت إليك بألف درهم ، فاقبضها وزدنا من هذه النصال . فوقع الكتاب والدرهم إلى قطري ، فدعا بأبزي ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فهذه الدرهم ؟ قال : ما أعلم عليها ، فأمر به فقتل ، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له : أقتلت

رجلاً على غير ثقةٍ ولا تبينٍ؟! فقال له : ما حالُ هذه الدراهم ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذيباً ويجوز أن يكون حقاً ، فقال له قطريُّ : قتلُ رجلٍ في صلاح الناس غيرُ منكرٍ ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحاً ، وليس للرعية أن تعترض عليه ، فتسكَّر له عبد ربه في جماعةٍ معه ، ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلب فدنسَ إليه رجلاً نصرانياً ، فقال له : إذا رأيت قطرياً فاسجد له ، فإذا نهاك فقل : إنما سجدتُ لك ، ففعل النصرانيُّ ، فقال له قطريُّ : إنما السجودُ لله ، فقال : ما سجدتُ إلا لك ، فقال له رجلٌ من الخوارج : قد عبدك من دون الله ، وتلا : ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصبٌ جهنم ، أنتم لها واردون ) فقال قطريُّ : إن هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى ابن مريم فما ضر ذلك عيسى شيئاً ، فقام رجلٌ من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر ذلك عليه وقال : أقتلت ذمياً؟! فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب ، فوجه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدَّم به إليه ، فأثام الرجلُ فقال : رأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم ، فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخرُ فامتحنتموه فلم يميز المحنة ، ماتقولون فيها ؟ فقال بعضهم : أما الميتُ فهو من أهل الجنة ، وأما الآخرُ الذي لم يميز المحنة فكافرٌ حتى يميزها ، وقال قومٌ آخرون : بل هما كافران حتى يميزا المحنة ، فكثير الاختلافُ .

• • •

فخرج قطري إلى حدود إصطخر ، فأقام شهراً والقومُ في اختلافهم ، ثم أقبل ، فقال لهم صالح بن خرقاء : يا قوم ! إنكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطعتموهم فيكم ، لما ظهر من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة .

وخرج عمرو القنا فنادى : يا أيها المحلثون : هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ؟ ثم قال :

ألم ترَ أنا منذ ثلاثون ليلةً قريبٌ وأعداءُ الكتاب على خفي

فتهايج القوم وأصرع بعضهم إلى بعض ، فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب ،  
وصار في وسط الأزارقة ، فجعلت الرماح تحطه وترفعه ، واعتورت رأسه  
السيوف ، وعليه ماعد حديد ، فوضع يده على رأسه ، فجعلت السيوف  
لا تعمل فيه شيئاً ، واستنقذه فرسان من الأزد بعد أن صرع ، وكانت الذي  
صرعه عبيدة بن هلال ، وهو يقول :

أنا ابن خير قومه هلال شيخ علي دين أبي بلال

وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة : كئنا نعجب كيف تُصرع ، والآن نعجب كيف  
تُنجو !!

وقال المهلب لبيه : إن سرحك لغار ، ولست آمنهم عليه ، أفوكلتهم به  
أحداً ؟ قالوا : لا ، فلم يستم الكلام حتى أتاه آت فقال : إن صالح بن خرق  
قد أغار على السرح ، فشق ذلك على المهلب ، وقال : كل أمر لا إليه بنفسه  
فهو ضائع ، وتدمر عليهم ، فقال له بشر بن المغيرة : أرح نفسك ، فإن كنت  
إنما تريد مثلك فوائده لا يعدل أحدنا شيع نعلك ، فقال : خذوا عليهم الطريق ، فثار  
بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب ، فسبق بشر إلى الطريق ، فإذا  
رجل أسود من الأزارقة يشل السرح ، أي يطرده ، وهو يقول :

نحن قمناكم بشل السرح وقد نكأنا القرح بعد القرح

« الشل » الطرد . ويقال « نكأت القرحة » مهموز ، و « نكيت  
العدو » غير مهموز من النكابة ، و « نكأت القرحة نكاً » قال ابن  
هرمة :

ولا أراها تزال ظلمة تُحدث لي قرحة وتكوها

ولحقه المفضل ومدرك ، فصاحا برجل من طيء : اكفنا الأسود ، فاعتوره  
الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه ، وأمر رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلب :  
بمن الرجل ؟ قال : رجل من همدان ، قال : إنك لشين همدان ، وخلي سبيله .

قال : وكان عياش الكندي شجاعاً بئساً . فأبلى يومئذٍ ، ثم مات على فراشه بعد ذلك . فقال المهلب : لا وآلت نفس الجبان بعد عياش .  
وقال المهلب : ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم .

• • •

ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين ، أحدهما من كلب ، والآخر من سليم ، يستحثانه بالقتال ، فقال المهلب متمثلاً :  
ومستعجب بما يرى من أاناتنا  
ولو زينته الحرب لم يتورم .  
الشعر لأوس بن حجر .

وقوله « زينته » يقول : دفعته . و « لم يتورم » أي لم يتحرك ، يقال :  
قيل له كذا وكذا فما تورم .

وقال لي زيد : حرّكهم ، فحرّكهم فتهايجوا ، وذلك في قرية من قرى  
إصطخر ، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه ، فشك  
فخذه بالسرج ، فقال المهلب للسلمي والكلبي : كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم ؟  
وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد ، وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني  
مالك بن ربيعة ، على فرس له أدم ، وبه نيفٌ وعشرون جراحةً ، وقد وضع  
عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولى الجمع وحمائم فارسان ، فقال يزيد لقيس الحشني  
موثي العتيك : من لهذين ؟ قال : أنا ، فحمل عليها ، فعطف عليه أحدهما ،  
فطعنه قيس الحشني فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه ، فسقطا جميعاً إلى الأرض ،  
فصاح قيس الحشني ، اقتلونا جميعاً ، فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء ، فحجزوا  
بينها ، فإذا معانقه امرأة ! فقام قيس مستحيماً ، فقال له يزيد : أما أنت  
فبارزتها على أنها رجلٌ ، فقال : رأيت لو قتلتُ أما كان يقال قتله امرأة ؟!

وأبلى يومئذٍ ابن المنجب السدومي ، فقال له غلامٌ له يقال له خلاجٌ : والله  
لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مستقرهم فأستلب بما هناك جاريتين ،

فقال له مولاه : وكيف تمت اثنتان ؟ قال : لأعطيك إحداهما وآخذ الأخرى !  
فقال ابن المنجب :

أخلاج إنك لن تعانق طفلةً      شرقاً بها الجادي كالتّمثال  
حتى تلاقي في الكتيبة معلماً      عمرو القنا وعيدة بن هلال  
وترى المقطر في الكتيبة مقدماً      في عصبة قسطوا مع الضلال  
أو أن يُعلمك المهلب غزوةً      وترى جبالا قد دنت لجبال

\* \* \*

قوله « طفلة » يقول ناعمة ، وإذا كسرت الطاء فقلت « طفلة » فهي الصغيرة . و « الجادي » الزعفران . « الكتيبة » الجيش ، وإنما سمي الجيش كتيبة لا تضام أهل بعضهم إلى بعض ، وبهذا سمي الكتاب ، ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة إذا خرزت ذلك الموضع منها وكتبت القرية . و « المعلم » الذي قد شهر نفسه بعلامة ، إما بعمامة صبيغ ، وإما بمشيرة ، وإما بغير ذلك . وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه معلماً يوم بدر بريشة ناعمة في صدره ، وكان أبو دجاجة ، وهو سماك بن خرشة الأنصاري ، يوم أحد لما قال رسول الله ﷺ « من يأخذ سيفي هذا بحقه ؟ قالوا : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن يضرب به في العدو حتى ينحني ، فقال أبو دجاجة : أنا ، فدفعه إليه ، فلبس مشيرة فأعلم بها ، وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه إذا لبس تلك المشيرة لم يبق في نفسه غاية ، ففعل ، وخرج يمشي بين الصّفين ، فقال رسول الله ﷺ : إنها لمشيّة يغضها الله عز وجلّ الا في مثل هذا الموضع . و يروى « أن رسول الله ﷺ سمع علياً صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى إليها سيفه فقال : هاك حميداً فاغسلي عنه الدم ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقته معك سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصّمة ، وفي بعض الحديث « وقيس بن الربيع ، وكل هؤلاء من الأنصار .

★ ★ ★

## عاد الحديث إلى ذكر الخوارج

وعمر بن القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل ، والذي طعن صاحب المهلب في فخذة فشكها مع السرج من بني تميم ، قال : ولا أدري أعمر أو أم غيره ، والمقنطري من عبد القيس .

وقوله « قسطوا » أي جاروا ، يقال قسط يقسط فهو قاسط ، إذا جار ، قال الله جل ثناؤه : ( وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ) . ويقال أقسط يقسط فهو مقسط ، إذا عدل ، قال الله تعالى : ( إن الله يحب المقسطين ) . وكان بدر بن المذنب شجاعاً ، وكان لحانة ، فكان إذا أحس بالخوارج نادى : يا خيل الله اركبي ! وله يقول القائل :

وإذا طلبت إلى المهلب حاجة      عرضت توابع دونه وعبيد  
العبد كردوس وعبد مثله      وعلاج باب الأحرار شديداً

« كردوس » رجل من الأزد ، وكان حاجب المهلب . وقوله « وعلاج باب الأحرار شديداً » العرب تسمى العجم الحمراء ، وقد مرّ تفسير ذلك . وقوله « توابع » أراد به الرجال ، فجاز في الشعر ، وإنما رده إلى أصله للضرورة ، وما كان من النعوت على « فاعل » ، فجمعه « فاعلون » ، لا يلتبس بجمع « فاعلة » التي هي نعت ، وقد قلنا في هذا ولم قالوا « فوارس » ، و « هالك » في المراكب .

وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسناً عرف مكانه فيه ، وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة ، فقال لهم : يا بني عم ! اني قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعب ، حتى كاني لا موصول ولا محروم ، فاجعلوا لي فرجة أعش بها ، وهبوني امرأة رجوت نصره أو خفتم لسانه . فرجعوا له ووصلوه ، وكلموا فيه المهلب فوصله .

وولى الحجاج كردماً فارس ، فوجهه الحجاج إليها والحرب قائمة ، فقال رجل  
من أصحاب المهلب .

ولو رأها كردمٌ لكردماً كَرْدَمَةَ الْعَيْرِ أَحْسَنَ الضَّيْغِ  
« الضيغم ، الأسد . » والكردمة ، الثفور .

\* \* \*

فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصطخر ودَرَابِ جَرْدٍ  
لأرزاق الجند ، ففعل ، وقد كان قطرياً هدم مدينة إصطخر ، لأن أهلها كانوا  
يكاتبون المهلب بأخباره ، وأراد مثل ذلك بمدينة فسا ، فاشتراها منه آزاداً  
مرْدُ بن الهريذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها ، فواقعه المهلب فهزمه ، ونفاه إلى  
كرمان واتبعه ابنه المغيرة ، وقد كان دفع إليه سيفاً وجهه به الحجاج إلى  
المهلب ، وأقسم عليه أن يتقلده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلد به ، فرجع  
به المغيرة إليه وقد دمّاه ، فسر المهلب بذلك وقال : ما سرّني أن أكون  
كنت قد دفعته إلى غيرك من ولدي ، اكفني جباية خراج هاتين الكورتين ،  
وضمّ إليه الرقاد ، فجعلنا يجيان ولا يعطيان الجند شيئاً ، ففي ذلك يقول رجل  
منهم ، وأحسبه من بني نعيم ، في كلمة له :

ولو علم ابن يوسف ما نلاقي من الآفات والكرب الشدادِ  
لفاضت عينه جزعاً علينا وأصلح ما استطاع من الفسادِ  
ألا قلّ للأميرُ جزيّة خيراً أرحنا من مغيرة والرقادِ  
فما رزقا الجنود بها قفيزاً وقد ساست مطامير الحصادِ

يقال « ساس الطعام وأساس » إذا وقع فيه السوس ، و « دادَ وأداد » من  
الدود . وروى أبو زيد « ديدَ فهو مدودٌ » في هذا المعنى .

فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى تقام عنها إلى جيوفت ، واتبعهم فزل قريباً  
منهم ، واختلفت كلمتهم .

وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكريّ اتهم بامرأة رجلٍ حداديّ وأوه مراراً يدخل منزله بغير إذنٍ ، فأتوا قطرياً فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبيدة من الدين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : إنا لانقارُهُ على الفاحشة ، فقال : انصرفوا ، ثم بعث إلى عبيده فأخبره وقال : إنا لانقارُهُ على الفاحشة ، فقال : يَهْتُونِي يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فما ترى ؟ قال : إني جامعٌ بينك وبينهم ، فلا تخضع خضوع المذنب ، ولا تتناول تطاول البريء ، فجمع بينهم فتكلموا ، فقام عبيدة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ( إنَّ الذين جاءُوا بالإفكِ مُعْصِبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) الآيات ، فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه ، وقالوا : استغفر لنا ، ففعل ، فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة : والله لقد خدعكم ! فباع عبد ربه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يُظهروا ولم يجدوا على عبيدة في إقامة الحدِ ثبَتًا .

• • •

وكان قطريّ قد استعمل رجلاً من الدهاقين فظهرت له أموالٌ كثيرةٌ ، فأتوا قطرياً فقالوا : إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُ عماله على مثل هذا ، فقال قطريّ : إني استعملته وله ضياعٌ وتجاراتٌ ، فأوعز ذلك صدورهم ، وبلغ ذلك المهلب فقال : إن اختلافهم أشد عليهم مني .

وقالوا لقطريّ : ألا تخرج بنا إلى عدونا ! فقال : لا ، ثم خرج ، فقالوا : قد كذب وارتدّ ! فاتبعوه يوماً فأحسّ بالشرّ ، فدخل داراً مع جماعة من أصحابه ، فصاحوا به : يادابة اخرج إلينا !! فخرج إليهم ، فقال : رجعتم بعدي كفاراً ؟! فقالوا أو لست دابة ؟ قال الله عز وجل : ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ) ولكنك قد كفرت بقولك أنا قد رجعنا كفاراً ، فنبّأ إلى الله عز وجل ، فشاور عبيدة ، فقال : ان ثبتَ لم يقبلوا منك ، ولكن قل : إنما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفاراً ، فقال ذلك لهم فقبلوه منه ، فرجع إلى منزله ، وعزم أن يبيع المقطرَ العبدي ، فكرهه القوم وأبوه فقال

له صالح بن مخراقٍ عنه وعن القوم : ابغ لنا غير المقعطر ، فقال لهم قطري :  
أرى طول العهد قد غيركم ، وأنتم بصدد عدوكم ، فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم  
واستعدوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن مخراق : ان الناس قبلنا قد ساموا  
عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل ، ويجب على الإمام أن  
يعفي الرعية بما كرهت ، فأبى قطري أن يعزله ، فقال له القوم : انا خلعتناك  
وولينا عبد ربه الصغير ، فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر ، وجلهم الموالي  
والعجم ، وكان هناك منهم ثمانية آلاف ، وهم القراء ، ثم ندم صالح بن مخراق  
فقال لقطري : هذه نفة من نفات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى  
عدوك ، فأبى قطري الا المقعطر ، فحمل قتي من العرب على صالح بن مخراق  
فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله .

ومعنى « أجره الرمح » طعنه وترك الرمح فيه ، قال عنترة :

وآخر منهم أجرت رعي وفي البجلي معبة وقبع

فشبت الحرب بينهم ، فتهابجوا ، ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم ، فلما كان  
الغد اجتمعوا فاقتلوا قتالاً شديداً ، فأجلت الحرب عن ألفي قتيل ، فلما كان  
الغد باكروهم القتال ، فلم يتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة ،  
وأقام عبد ربه بها ، وصار قطري خارجاً من مدينة جيفت بإزائهم ، فقال له  
عيبة : يا أمير المؤمنين ! إن أمت لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تخندق ،  
فخندق على باب المدينة ، وجعل يناوشهم .

وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ، ورسول الحجاج معه يستحثه ، فقال  
له : أصلح الله الأمير ، عاجلهم قبل أن يصلحوا ، فقال المهلب : إنهم لن يصلحوا .  
ولكن دعهم ، فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفلحون معها ، ثم دس رجلاً من  
أصحابه فقال : إيت عسكر قطري فقل : إني لم أزل أرى قطرياً يصيب الرأي  
حتى نزل منزله هذا ، فبان خطؤه ، أنقيم بين المهلب وعبد ربه ، يغاديه هذا  
القتال ويراوجه هذا ؟! فسمى الكلام إلى قطري ، فقال : صدق ، تحروا بنا

عن هذا الموضع ، فإن اتبعنا المهلب قاتلناه ، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون ، فقال له الصلت بن مرة : يا أمير المؤمنين ! إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم ، وإن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ، وأنشأ الصلت يقول :

قل للمحلين قد قرئت عيونكم      بفرقة القوم والبغضاء والهرب  
كنا أناساً على دينٍ فقيرنا      طول الجدال وخطب الجدِّ باللعب  
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم      عن الجدال وأغنام عن الخطب  
إني لأهونكم في الأرض مضطرباً      مالي سوى فرسي والرَّمح من نشب

ثم قال : أصبح المهلب يرجو منّا ما كنا نطمع فيه منه ، فارتحل قطريّ ، وبلغ ذلك المهلب ، فقال لهريم بن عديّ بن أبي طحمة المجاشعيّ : إني لا آمنُ أن يكون قطريّ كادنا بتوك موضعه ، فاذهب فتعرف الخبر ، فمضى هريم في اثني عشر فارساً ، فلم ير في العسكر إلا عبداً وعلجاً ، فألها عن قطريّ وأصحابه ؟ فقالا : مضوا يرتادون غير هذا المنزل ، فرجع هريم إلى المهلب فأخبره ، فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطريّ ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالعداء ، وأحياناً بالعشيّ ، ففي ذلك يقول رجلٌ من سدوس ، يقال له المعتق ، وكان فارساً :

ليت الحرائر بالعراق شهدتنا      ورأيتنا بالسفح ذي الأجيال  
فكحن أهل الجزء من فرساننا      والضارين جماجم الأبطال

\* \* \*

ووجه المهلب يزيد إلى الحجاج بخبره أنه قد نزل منزل قطريّ ، وأنه مقيم على عبد ربه ، ويسأله أن يوجه في إثر قطريّ رجلاً جليداً في جيش ، فسرّ ذلك الحجاج سروراً أظهره ، ثم كتب إلى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب ، وفي الكتاب :

أما بعد ، فإنك تراخى عن الحرب حتى تأتيك رُسلي ، فترجع بعذرك ، وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح ، وتُنسى القتلى ، ويجمّ الناس ، ثم تلقاهم

فتحتلُّ منهم مثل ما يَحتملون منك ، من وحشة القتل ، وألم الجراح ، ولو كنتَ  
تلقاهم بذلك الجِدَّة لكان الداءُ قد حَسَمَ ، والقرنُ قد قَصَمَ ، ولعمري ما أنتَ  
والقومُ سواءٌ ؛ لأن من ورائك رجالاتٌ وأمالك أموالاً ، وليس للقوم إلا ما معهم  
ولا يدركُ الوجيفُ بالدَّيْبِ ، ولا الظفرُ بالتعذيرِ .

فقال المهلب لأصحابه : إن الله عزَّ وجلَّ قد أراحكم من أقرانٍ أربعةٍ :  
قطريُّ بن الفجاءة ، وصالح بن خرقاء ، وعبيدة بن هلالٍ ، وسعدِ الطلائع ،  
وإنما بين أيديكم عبدٌ ربُّه ، في خُشارٍ من خُشارِ الشيطانِ ، تقتلونهم  
إن شاء الله .

فكانوا يتغادون القتال ويتراوحن ، فتصيبهم الجراحُ ، ثم يتعاجزون كأنما  
انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه ، فيضحكُ بعضهم إلى بعضٍ ، فقال  
عبيدُ بن موهب للمهلب : قد بانَ عُذْرُكَ ، وأنا مُخْبِرُ الأميرِ ، فكتب  
المهلب إليه :

أما بعد ، فإني لم أعطِ رسلك على قول الحقِّ أجراً ، ولم أحتجَّ منهم  
مع المشاهدة إلى تلقينٍ ، ذكرتُ أني أجمُّ القومِ ، ولا بد من راحةٍ يستريح  
فيها الغالبُ ، ويحتال فيها المغلوبُ ، وذكرتُ أن في ذلك الجمام ما ينسى القتلى ،  
وتبرأ منه الجراح ، وهيات أن ينسى ما بيننا وبينهم ، تأبى ذلك قتلى لم تجنَّ ،  
وقروحٌ لم تتعرفُ ، ونحن والقوم على حالةٍ ، وهم يرقبون منا حالاتٍ ، إن  
طمعوا حاربوا ، وإن ملوا وقفوا ، وإن يشوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم  
إذا قاتلوا ، وتتحرز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأيَ  
كان القرنُ مقصوماً ، والداءُ ياذن الله محسوماً ، وإن أعجلتني لم أطعك  
ولم أعصِ ، وجعلتُ وجهي إلى بابيك ، وأنا أعوذ بالله من سخطِ الله ،  
ومقتِ الناسِ .

★ ★ ★

ولما اشتد الحصار على عبد ربّه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلم إذا صح توحيدُه عزّ بربّه ، وقد أراحكم الله من غلظة قطريّ ، وعجلة صالح بن مخراقٍ ونخوته ، واختلاط عبيدة بن هلالٍ ، ووكلكم إلى بصائرهم ، فالتقوا عدوكم بصبرٍ ونيةٍ ، وانتقلوا عن منزلكم هذا ، من قتل منكم قتلَ شهيداً ، ومن سلم من القتل فهو المحرومٌ .

وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلتِ الثقفيّ يستحثّه بالقتال ، ومعه أمينان ، فقال له : خالفت الأمير ، وآثرت المدافعة والمطاولة ، فقال له المهلب : ما تركت جهداً ، فلما كان العشيّ خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخيف متاعهم لينتقلوا ، فقال المهلب لأصحابه : الزموا مصافكم ، وأشرعوا رماحكم ، ودعوم والذهب ، فقال له عبيد : هذا لعمرى أيسرٌ عليك ، فقال للناس : ردوم عن وجهتهم ، وقال لبيد : تفرقوا في الناس ، وقال لعبيد بن أبي ربيعة : كن مع يزيد فخذهُ بالمحاربة أشد الأخذ ، وقال لأحدِ الأمينين : كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، حتى عقرت الدواب ، وصرع الفرسان ، وقتلت الرجال . فجعلت الحوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الحيس أشد قتالٍ ، وسقط ومع لرجل من مرادٍ من الحوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل ، وذلك مع المغرب ، والمراديّ يقول :

الليلُ ليلٌ فيه ويلٌ وويلٌ      وسال بالقوم الشراة السيلُ

• إن جاز للأعداء فينا قول •

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب إلى المغيرة : خلّ عن الرمح عليهم لعنهم الله ، فخلوا لهم عنه .

ثم مضت الحوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ، ودخلها المهلب وأمر يجمع ما كان لهم فيها من المتاع ، وما خلفوه من رقيق ، وختم عليه هو

والتقني والأمينان ، ثم اتبعهم ، فإذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها إلا قوي ، يأتي الرجل بالللو قد شدها في طرف رمح فيستقي بها ، وهناك قرية فيها أهلها ، فغاداهم القتال ، وضم التقني إلى يزيد ، وأحد الأمينين إلى المغيرة ، واقتل القوم إلى نصف النهار ، فقال المهلب لأبي علقمة العبدي ، وكان شجاعاً عاتياً : أمدد بنجيل اليعمدي ، وقل لهم : فليعيرونا جماجم ساعة ، فقال له : إن جماجم ليست بفخار فتعار وليست أعناقهم كرادى فتنبت - قال أبو الحسن الاخفش : تقول العرب لأعذاق النخل : كرادى ، وهو فارسي أعرب - وقال حبيب بن أوس : كرت على القوم ، فلم يفعل ، وقال :

يقول لي الأمير بغير علم      تقدم حين جد به المراس  
فإني إن أطعتك من حياة      وما لي غير هذا الرأس رأس

نصب « غير » لأنه استثناء مقدم ، وقد مضى تفسيره .

وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة : احمل ، فقال : لا ، إلا أن تزوجني أم مالك بنت المهلب ، ففعل ، فحمل على القوم فكشفهم ، وطعن فيهم ، وقال :

ليت من يشترى الغداة بال      هللكه اليوم عندنا فيرانا  
نصل الكرم عند ذاك بطعن      إن للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الحوارج ، فالتفت عند ذلك المهلب إلى المغيرة فقال : ما فعل الأمين الذي كان معك ؟ قال : قُتِلَ ، وكان التقني قد هرب ، وقال ليزيد : ما فعل عبيد بن أبي ربيعة ؟ قال : لم أراه منذ كانت الجولة ، فقال الأمين الآخر للمغيرة : أنت قتلت صاحبي ، فلما كان العشي رجعت التقني ، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة :

مازلت بالتقني تخطب بيننا      وتغننا بوصية الحجاج  
حتى إذا ما الموت أقبل زائراً      وسما لنا صرناً بغير مزاج  
وليت بالتقني غير مناظر      تنساب بين أحزة وفجاج

ليست مقارعة الكهاة لدى الوغى

شرب المدامة في إناء زجاج

قوله « بين أحزة » هو جمع حزير ، وهو مثنى يتقاد من الأرض ويغلظ ،  
و « الفجاج » : الطرق ، واحدها فج .

وقال المهلب للأمين الآخر : ينبغي أن توجه مع ابني حبيب في ألف رجل  
حتى تبيتوا عسكرهم ، فقال : ماتريدُ أيها الأمير إلا أن تقتلني كما قتلت صاحبي!  
قال : ذاك إليك ، وضحك المهلب ، ولم تكن للقوم خنادق ، فكان كل  
حذراً من صاحبه ، غير أن الطعام والعدة مع المهلب ، وهم في زهاء ثلاثين  
ألفاً ، فلما أصبح أشرف على وادٍ فإذا هو برجل معه رمحٌ مكسورٌ وقد خضبه  
بالدماء ، وهو ينشدُ :

إذا بات أطواء بني الأصغر  
وأعلم غير الظن أني مغاورٌ  
يرث بنا في بطن فيحان طائرٌ

جزاني دواني ذو الحمار وصنعتي  
أخادعهم عنه ليغبق دُونهم  
كأني وأبدان السلاح عشية

فدعاه المهلب فقال : أئيمي أنت ؟ قال : نعم ، قال أحظلي ؟ قال : نعم ،  
قال : أيربوعي ؟ قال : نعم ، قال : أتعلي ؟ قال : نعم ، قال : أمن  
آل نورية ؟ قال : نعم ، أنا من ولد مالك بن نورية ، وسبحان الله أيها الأمير !  
أبكون مثلي في عسكرك لاتعرفه ؟ ! قال : عرفتك بالشعر ! !

قوله : « ذو الحمار » يعني فرساً ، وكان ذو الحمار فرس مالك بن نورية ، قال  
جريرٌ يهجو الفرزدق :

فلا مجدي بلغت ولا افتخاري  
يواري شمسه رهج الغبار  
وعتابٌ ، وفارسٌ ذي الحمار

يربوع فخرتُ وآل سعدٍ  
يربوع فوارسٌ كلُّ يومٍ  
عتبةٌ ، والأحيمر ، وابن عمرو

قوله : « أطواء » يقال : رجلٌ طوي البطن ، أي منطوي ، يخبر أنه كان  
يوثر فرسه على ولده ، فيشبعه وهم جياعٌ ، وذلك قوله :

أخادعهم عنه ليغيبق دونهم

و « الغبوق » : شرب آخر النهار ، وهذا شيء تقتخر به العرب ، قال  
الأسعري الجعفي :

لكن قييدة بيتنا مجفوة  
نقفي بعيشة أهلها وثابة  
باد جناجن صدرها ولها غنى  
أوجر شعاً نهد المراكل والشوى

\* \* \*

قال : فكثروا أياماً على غير خنادق ، يتحازسون ودوابهم مسرجة ، فلم  
يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد  
ربه جمع أصحابه وقال : يا معشر المهاجرين ! إن قطرياً وعبدة هربا طلب البقاء ،  
ولا سبيل إليه ، فالتقوا عدوكم ، فإن غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت ،  
فتلقوا الرماح بنحوركم ، والسيوف بوجوهكم ، وهبوا أنفسم في الدنيا يهبها  
لكم في الآخرة .

فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً ، نسي به ما كان قبله ،  
فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب : من يباعدني على الموت ؟ فبايعه  
أربعون رجلاً من الأزد وغيرهم ، فصرع بعضهم ، وقتل بعض ، وجرح بعض ،  
وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب : احموا ، فقال المهلب : أعرابي  
مجنون ! وكان من أهل نجران ، فحمل وحده ، فاخترق القوم حتى نجم من  
ناحية أخرى ، ثم رجع ، ثم كرّ ثانية ، ففعل فعلته الأولى ، وتهايج الناس  
فترجلت الحوارج وعقروا دوابهم ، فناداهم عمرو القنا ، ولم يترجل هو وأصحابه  
من العرب ، وكانوا زهاء أربعائة : موتوا على ظهور دوابكم ، ولا تعقروها ،  
فقالوا : إننا إذا كنا على اللواب ذكرنا الفرار .

فاقتلوا ، ونادى المهلب بأصحابه : الأرض الأرض ، وقال لبنيه : تفرقوا  
في الناس ليروا وجوهكم ، ونادى الحوارج : ألا إن العيال لمن غلب ، فصبر

بنو المهلب ، وصبر يزيد بين يدي آية ، وقاتل قتالاً شديداً أبلي فيه ، فقال له  
أبوه : يا بني إني أرى موطناً لا ينجو فيه إلا من صبر ، وما مرّ بي يومٌ مثل  
هذا منذ مارست الحروب .

وكسرت الحوارج أجفان سيوفها ، وتجاولوا ، فأجلت جولتهم عن عبد ربه  
مقتولاً ، فهرب عمرو القنا وأصحابه ، واستامن قومٌ ، وأجلت الحرب عن أربعة  
آلاف قتلٍ ، وجرحى كثيرٍ من الحوارج ، فأمر المهلبُ بأن يدفع كلَّ جريحٍ  
إلى عشيرته ، وظفر بعسكرهم فعوى مافيه ، ثم انصرف إلى جيفت ، فقال :  
الحمد لله الذي ردنا إلى الخفض والدعة ، فما كان عيشنا بعيشٍ ، ثم نظر إلى قومٍ  
في عسكره لم يعرفهم ، فقال : ما أشدَّ عادة السلاح ! هتاولوني درعي ، فلبسها ،  
ثم قال : خذوا هؤلاء ، فلما صيرَ بهم إليه قال : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ  
جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك ، فأمر بهم فقتلوا .

\* \* \*

قال أبو العباس : ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري ، ومرة بن تليد  
الأزدي من أزد شنوءة ، فوفدا على الحجاج ، فلما طلعا عليه تقدم كعبٌ فأنشده :  
ياحفصَ إني عدائي عنكم السفر      وقد سهرت فأردى نومي السهر  
فقال له الحجاج : أشاعرٌ أم خطيبٌ ؟ قال : كلاهما ، ثم أنشده القصيدة ،  
ثم أقبل عليه فقال له : أخبرني عن بني المهلب ؟ قال : المغيرةُ فارسيهم وسيدهم ،  
وكفى يزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيم قيصة ، ولا يستحي الشجاع أن  
يفرَّ من مدركٍ ، وعبد الملك ممٌ ناقعٌ ، وحبيبٌ موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ ليث  
غابٍ ، وكفاك بالفضل نجدةٌ ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : خلفتهم  
بنجير ، قد أدركوا ماملوا ، وأمنوا ماخافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب  
فيكم ؟ قال : كانوا حماة السرح نهاراً ، فإذا ألبوا ففرسان الليات ، قال :  
فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة ، لا يدري أين طرفها ، قال :  
فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال : كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا أخذنا يئسنا

منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ، فقال الحجاجُ : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلكم قطريُّ ؟ قال : كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلاً اتبعتموه ؟ قال : كان الحد عندنا أثرَ من الفلِّ ، قال : فكيف كان لكم المهلبُ وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقةُ الوالدِ ، وله منا برُّ الولدِ ، قال : فكيف اغتباطُ الناس ؟ قال : فشا فيهم الأمن ، وشملهمُ النفل . قال : أكنتَ أعددت لي هذا الجواب ؟ قال : لا يعلمُ الغيبَ إلا الله . قال : فقال : هكذا تكونُ والله الرجالُ . المهلبُ كان أعلم بك حيث وجهك . وكان كتابُ المهلبِ إلى الحجاج :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ماسواهُ ، الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده . أما بعد ؛ فقد كان من أمرنا ما قد بلغك ، وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين ، بسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم ، فقد كان علن أمرهم حتى ارتفعت له الفتاةُ ، ونوم به الرضيعُ ، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدريت السواد من السوادِ ، حتى تعارفت الوجوه ، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتابُ أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

فكتب إليه الحجاج :

أما بعد ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ قد فعلَ بالمسلمين خيراً ، وأراحهم من حدِّ الجهادِ ، وكنتم أعلم بما قبلك ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا وردَ عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيهم ، ونقلِ الناس على قدرِ بلائهم ، وفضل من رأيتَ تفضيله ، وإن كانت بقية من القوم بقيةً فخلف خيلاً تقومُ بإزائهم واستعمل على كرمانَ من رأيتَ ، وولَّ الخيلَ شهماً من ولدك ، ولا ترخص لأحدٍ في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم علي ، وعجل القدوم ، إن شاء الله . فولى المهلب ابنه يزيدَ كرمانَ . وقال له : يا بني ! إنك اليومَ لست كما

كنتَ ، إنما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ، ولن تحتل إلا على ما احتلَ عليه أبوك ، فأحسن إلى من معك ، وإن أنكرتَ من إنسان شيئاً فوجهه إلى وتفضل على قومك إن شاء الله .

وقدم المهلبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر اكرامه وبره ، وقال : يا أهلَ العراق ! أنتم عبيدُ المهلب ، ثم قال : أنت والله كما قال لقيطُ الأيادي :

وقلدوا أمركم لله دَرُّكُمْ	رَحِبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعاً
لا يطعمُ النومَ إلا ريثَ بيعته	همُّ يكادُ حشاهُ يقصمُ الضلعا
لامترَفاً أن رِخاءُ العيش ساعدهُ	ولا إذا عض مكروهً به خشعا
ما زال يجلب هذا الدهر أسطره	يكونُ متبعاً طوراً ومتبعاً
حتى استمرت على شُر مريته	مستحكماً الرأي لاقحماً ولا ضرعاً

فقام إليه رجل ، فقال : أصلحَ الله الأمير ، والله لكأنني أسمعُ الساعة فطرياً وهو يقولُ : المهلبُ كما قال لقيطُ الأيادي ، ثم أنشد هذا الشعر ، فسر الحجاجُ حتى امتلأ سروراً . قوله « نقل » أي أقسم بينهم ، والنفلُ : العطيّةُ التي تفضل ، كذا كان الأصل ، وإنما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده ، قال لبيدُ :

إن تقوى ربنا خير نفلٍ      ويأذن الله ريثٌ وعجل

وقال جل جلاله : ( يسئلونك عن الأنفال ) ويقال : نفلتك كذا وكذا أي : أعطيتك ، ثم صار النفل لازماً واجباً . وقول الأيادي « رحب الذراع » فالرحبُ : الواسع ، وإنما هذا مثلٌ ، يريد : واسع الصدر ، متباعد ما بين المنكبين والذراعين ، وليس المعنى على تباعد الخلق ، ولكن على سهولة الأمر عليه ، قال الشاعر :

رحيب الذراع بالتي لا تشينهُ      وإن قبلت العوراء ضاق بها ذرعاً

وكذلك قوله جل وعز : ( يجعل صدره ضيقاً حرجاً ) وقوله « مضطلعاً »

أما هو «مفتعل» من الضليع ، وهو الشديد ، يريد أنه قويٌّ على أمر الحرب ، مستقلٌ بها . وقوله : « يكون متبعاً طوراً ومتبعاً » أي قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس ، واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد ألتنا وابلنا علينا ، أي قد أصلحنا أمور الناس ، وأصلحت أمورنا . وقوله : « على شزر مريرته » فهذا مثلٌ ، يقال شزرت الجبل : إذا كررت قتله بعد استحكامه راجعاً عليه ، والمريرة : الجبل . و «الضرع» : الصغير الضعيف . و «القحم» : آخر سن الشيخ ، قال العجاج :

رأينَ قحماً شاباً واقلحياً طال عليه الدهر فاسلها

والمقلحُ مثل القحم ، وهو الجافُ ، ويقال للصبي ملقحمٌ : إذا كان ميه الغداء ، أو ابن هرمة ، ويقال رجلاً إنقحلاً وامرأةً إنقحله : إذا أسن حتى يبس ، والمسلم الضامر ، قال الشاعر :

لما رأني خلقاً إنقحلاً .

ويقال في معنى : قحمٍ قحراً ، ويقال بعيرٌ قحاريةٌ ، في هذا لمعنى . وقوله « لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه همٌ ، فريثٌ وعوضٌ بما يضاف إلى الأفعال ، وتأويله أنه لا يطعم النوم إلا يسيراً حتى يبعثه همٌ ، فعناه مقدار ذلك ، وبما يضاف إلى الأفعال أسماءُ الزمان ، كقوله عز ذكره : ( هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) فأسماءُ الزمان كلها تضاف إلى الفعل ، نحو قولك : آتاك يوم يخرجُ زيدٌ ، وجئتك يوم قام عبد الله ، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف إلى الابتداء والخبر ، فتقولُ : جئتك يوم زيدٌ أميرٌ ، ولا يجوز ذلك في المستقبل ، وذلك لأن الماضي في معنى إذ ، وأنت تقول : جئتك إذ زيدٌ أميرٌ ، والمستقبل في معنى إذا ، فلا يجوز أن تقول : أجيتك إذا زيدٌ أميرٌ ، فلذلك لا يجوز أجيتك يوم زيدٌ أميرٌ . فأما الأفعال في إذا وإذ فهي بمنزلة واحدة ، تقول : جئتك إذ قام زيدٌ ، وأجيتك إذا قام زيدٌ ، فهذا واضحٌ بينٌ . وبما يضاف إلى الفعل « ذو » في قولك افعل ذلك بذني

تسلم ، وافعلناه بذني تسلمان ، معناه : بالذي يستلكنها ، ومن ذلك آية  
في قوله :

بآية تقديمون الخيل شعناً كأنّ على سنانها مذاماً

والنحو يتصل ويكثر ، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار . فقال  
المهلب : إنا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ، ولكن دمع الحق الباطل ،  
وقهرت الجماعة الفتنة ، والعاقبة للتقوى ، وكان ما كرهناه من المطاوعة خيراً مما  
أحببناه من العجلة . فقال له الحجاج : صدقت ، اذكر لي القوم الذين أبلوا  
وصف لي بلائهم . فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج ، فقال لهم المهلب : ما ذخر  
الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله . ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم  
في البلاء وتفاضلهم في الغناء ، وقدم بينه المغيرة ويزيد ومدركاً وحيياً وقيصة  
والمفضل وعبد الملك ومحمداً ، وقال : إنه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته  
عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخرتهم . قال الحجاج : صدقت ، وما أنت بأعلم  
بهم مني وإن حضرت ونبت ، إنهم لسيوف من سيوف الله . ثم ذكر معن بن  
المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباهاها ، فقال الحجاج : أين الرقاد ؟ فدخل  
رجلٌ طويل أجناً ، فقال المهلب : هذا فارس العرب ، فقال الرقاد : أيها  
الأمير ! إني كنتُ أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس ، فلما صرتُ  
مع من يلزمني الصبر ويجعلني إسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء ، صرت أنا  
وأصحابي فرساناً ؛ فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم ، وزاد ولدا المهلب  
ألفين ، وفعل بالرقاد وجماعة شبيهاً بذلك .

قال يزيد بن حبناء من الأزارقة :

دعي اللوم إن العيش ليس بدائم	ولا تعجلي باللوم بأُم عاصم !
فإذ عجلت منك الملامة فاسمعي	مقالة معني بحقك عالم
ولا تعذلينا في الهدية إنما	تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس يهدى من يكون نهاره	جلاداً ويمسي ليله غير قائم

يريد ثوابَ الله يوماً بطعنةٍ      غموسٍ كشدقِ العنبريِّ بن سالم  
أبيتُ وسربالي دلاصٌ حصينةٌ      وميغفرها والسيف فوق الحيازم  
حلفت بربِّ الواقفين عشيّةً      لدى عرفاتٍ حلقةً غير آثم  
لقد كان في القوم الذين لقيتهم      بسبورٍ شغلٌ عن بزوز اللطائم  
توقدُ في أيديهم زاعبيّةً      ومرهفةً تقري شؤون الجمائم

قوله « من يكون نهاره جلاداً وُميسي ليله غير نائم » يريد : يمسي هو في ليله ويكونُ هو في نهاره ، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة ، وفي القرآن ( بل مكر الليل والنهار ) والمعنى : بل مكرم في الليل والنهار ، وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص :

أما النهار فقي قيدي وسلسلي      والليل في جوف منحوتٍ من الساج  
وقال آخر :

لقد لمّتنا بأُمّ غيلان في السرى      ومنتِ وما ليل المطيِّ بنائم  
ولو قال : « من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم » لكان جيداً ، وذلك أنه أراد : من يكون نهاره يجالّد جلاداً ، كما تقول : إنما أنت سيراً ، وإما أنت ضرباً ، تريد : تسير سيراً ، وتضرب ضرباً ، فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً ، ولو رفعه على أن يجعل الجلاد في موضع المجالد ، على قوله : أنت سير ، أي أنت سائرٌ ، كما قالت الخنساء :

فإنما هي إقبال وإدبار .

وفي القرآن ( قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً ) أي غائراً ، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح . ولو قال « وُميسي ليله غير نائم » لجاز ، بصيرُ اسمه في « ميسي » ويجعل « ليله » ابتداءً ، و « غير نائم » خبره على السعة التي ذكرنا . وقوله « غموس » يريد واسعةً محيطةً . و « العنبريُّ بن سالم » رجلٌ منهم ، كان يقال له الأشدق . و « اللطائم » واحدها « لطيمة » وهي الإبل التي تحمل البزّة والعطر . وقوله : « توقدُ في أيديهم زاعبيّة » يعني

الرّماح ، والتوقدُ للأسنّة ، والزاعيةُ منسوبةٌ إلى زاعبٍ ، وهو رجلٌ من  
الخزرج كان يعمل الرماح ، و «تقري» : تقدُّ ، يقال : فرى : إذا قطع ،  
وأفري : إذا أصلح .

وقال حبيب بن عوفٍ من قواد المهلب :

أبا سعيدٍ جزاك الله صالحاً      فقد كَفَيْتَ ولم تعنفْ عليّ أحدًا !  
داويت بالحلم أهل الجهل فانتقمعوا      وكنت كالوالد الحاني على الولد

وقال عبيدة بن هلالٍ في هربهم مع قطريّ :

ما زالت الأقدار حتى قدفتني      بقومسَ بين الفرّخان وصول

ويروى أن قاضي قطريّ وهو رجلٌ من بني عبد القيس سمع قول عبيدة  
ابن هلالٍ :

علا فوق عرشٍ فوق سبع ودونهُ      سماعتري الأرواح من دونها تجري

فقال له العبدي : كفرت إلا أن تأتي بمخرجٍ ، قال : نعم ، روح المؤمن

تخرج إلى السماء ، قال : صدقت . وقال يذكر رجلاً منهم :

يهوي وترفعه الرّماح كأنه      شلوّ تشبّ في مخالب ضارٍ  
فتوى صريعاً والرماح تتوشه      إن الشّراة قصيرة الأعمارِ

«توشه» : تأخذه وتتأوله ، قال الله عز وجل : ( وأنى لهم التناوشُ من

مكانٍ بعيدٍ ) أي التناول . ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي :

فيم الشّهانةُ إعلاناً بأسدٍ وغىً      أفنّاهم الصبر إذا أبقاكم الجزعُ  
وقال أيضاً في شيءٍ بهذا المعنى :

إن ينتحل حدثانُ الموت أنفسكم      ويسلم الناس بين الحوض والعطن  
فلما ليس عجيباً أن أعذبهُ      يقنى ويمتدُّ عمر الآجن الأسين

وقال أيضاً :

عليك سلام الله وقفاً فإني      رأيت الكريم الحر ليس له عُمرُ

وقال القاسم بن عيسى :

أحبك إجنان فانت مني  
ولو أني أقول : مكان روحي  
مكان الروح من بدن الجبان  
لحقت عليك بادرة الزمان  
وهاب حماها حرّ الطعان  
لإقدامي إذا ما الحرب جاشت

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى :

أكن الجبان يرى أنه  
فقد تدرك الحادثات الجبان  
يدافع عنه الفرار الأجل ؟  
ويسلم منها الشجاع البطل  
رجع الحديث : وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب :

سائل بنا عمرو القنا وجنوده  
وأبا نعامة سيد الكفار

أبو نعامة : قطري . وقال المغيرة بن حنابلة الحنظلي من أصحاب المهلب :

إني امرؤ كفتي ربي وأكرمني  
إنما أنا إنسان أعيش كما  
عن الأمور التي في رعيها وخم  
عاشت رجال وعاشت قبلها أمم  
عني بما صنعوا عجز ولا بكم  
إذن الأمير ولا الكتاب إنزفوا  
أو أمتدحه فإن الناس قد علوا  
والمستعان الذي تجلي به الظلم  
أبو سعيد إذا ما عدت النعم  
واذ تمني رجال أنهم هزموا  
معاقتي عن قفول الجند إذ قفلوا  
ولو أردت قفولاً ما تجهمني  
إن المهلب إن أشتق لرؤيته  
أن الأريب الذي ترجى نوافه  
القائل الفاعل الميمون طائره  
أزمان أزمان إذ عض الحديد بهم

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم نبتدئه لتصل فيه أخبار الخوارج ،

ولكن ربما اتصل شيء بشيء ، والحديث فو شجون ، ويقترح المقترح ما يفسخ  
به عزم صاحب الكتاب ، ويصده عن سنته ، ويزيده عن طريقه ، ونحن راجعون  
إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الكتاب ، فإن مرّ من أخبار الخوارج شيء  
مرّ كما يمرّ غيره ، ولو نسقناه على ماجرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا  
خبر نجدة وأبي فديك وعمارة الرجل الطويل وشيب ، ولكان يكون الكتاب  
لخوارج مخلصاً .



# الفهرس

- ٥ بيعة الخوارج لعبد الله الراسي وتكرهه  
٦ وقوع واصل بن عطاء في قبضة الخوارج وحيثه  
٦ توجيه سيدنا علي بن عبد الله بن عباس للخوارج لمناقشتهم في الخروج على أمير المؤمنين علي  
٧ استفتاء اعرابي عمر بن الخطاب فيمن أصاب ظيماً وهو محرم  
٧ قول قطري بن الفجاءة لأبي خالد القناني ورده عليه  
٨ حديث عمران بن حطان رأس القعد من الصفرية  
١٦ أول من حكم من الخوارج  
١٦ أول سيف مل من سيوف الخوارج  
١٧ سبب تسمية الخوارج الحرورية  
١٨ كلمة الصلتان العبدى  
١٩ خطاب الراعى لعبد الملك  
٢٠ محاربة المهلب للأزارقة وقول شاعر الأزارقة في ذلك  
٢٢ حديث الرجل الأسود مع النبي ﷺ حين قسمة غنائم خيبر  
٢٤ هجاء بشار بن برد لواصل بن عطاء  
٢٥ لثغة واصل بن عطاء وقدرته على تجنبها  
٢٦ محاربة علي للخوارج وهرب قسم منهم إلى مكة  
٢٧ اتفاق ثلاثة من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو

٣١	رثاء أبي زيد الطائي علي بن أبي طالب
٣١	رثاء الكميّ علي بن أبي طالب
٣٢	قول كثير في حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية
٣٤	وقف علي بن أبي طالب أمواله
٣٥	كتاب معاوية إلى عامله مروان بن الحكم بشأن خطبة أم كلثوم
٣٥	حديث أمير المؤمنين علي مع الخوارج في أول خروجهم عليه
٣٧	حوار عبد الله بن خباب مع الخوارج
٣٨	سمر غيلان بن خرشة الضبي عند زياد وحديثه عن الخوارج
٣٨	معارضة مرداس لزياد وهو يخطب
٣٩	من يرى رأي الخوارج من الفقهاء ومن لا يراه
٣٩	كلمة ( لا أبالك ) وفيه تستعملها العرب
٤٢	وصف النبي ﷺ الخوارج
٤٣	انتجاع نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس
٤٤	هجاء جرير لآل المهلب بن أبي صفرة
٤٧	تضجر ابن عباس من ابن الأزرق
٤٩	حوار عبد الملك مع أحد الخوارج
٥٠	وفادة الكتابي علي معاوية
٥١	حديث عبد الملك مع الكتابي الذي أسلم
٥١	حديث ابن جعدبة للمنصور
٥٢	أهل النخيلة وعلي بن أبي طالب
٥٤	أول من خرج علي معاوية بعد قتل علي
٥٥	حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ
٥٦	وصية سيدنا علي لأبنائه بعد طعنه
٥٧	خروج قريب الأزدي وزحاف الطائي علي زياد

معاملة زياد لمن خرج من النساء	٥٨
قصة البلجاء الخارجية	٥٩
أخبار مرداس الخارجي	٦٠
مدح عيسى بن فاتك الخوارج	٦٣
رثاء عمران بن حطان مرداساً	٦٥
مقتل عباد بن أخضر المازني	٦٦
الفرزدق يذكر أخذ ثار عباد	٦٦
تشديد عبد الله بن زياد على الخوارج	٦٨
سياسة زياد مع الخوارج	٦٨
الرثمين	٦٩
المختار بن عبد الله الثقفي	٧٠
باب اللام التي للاستغاثة والتي للاضافة	٧٥
عود إلى أخبار الخوارج	٧٧
عبد الله بن زياد وخالد بن عباد السدوسي	٧٧
افتراق الخوارج	٧٨
حوار الأزارقة مع ابن الزبير	٨٠
خروج نافع بن الأزرق إلى الأهواز	٨٣
انفصال نجدة بن عامر عن نافع بن الأزرق وخروجه إلى اليمامة	٨٥
كتاب نجدة بن عامر إلى نافع	٨٥
جواب نافع إلى نجدة	٨٦
كتاب نافع إلى عبد الله بن الزبير	٨٧
كتاب نافع إلى من بالبصرة من المحكمة	٨٨
مقتل نافع بن الأزرق في وقعة دولاب	٩٠
قول قطري في يوم دولاب	٩٢
باب فعل	٩٤

- ٩٥ باب النسب إلى المضاف
- ٩٧ عود إلى أخبار الحوارج
- ٩٧ الأزارقة وولاية ابن الزبير في البصرة
- ٩٩ تشاور أهل البصرة وتولية المهلب بن أبي صفرة لقتال الحوارج وأخبره معهم
- ١٠٢ كتاب المهلب إلى الوالي يبشره بالنصر وجواب الوالي عليه
- ١٠٣ خطبة المهلب في أصحابه يحثهم على قتال الحوارج
- ١٠٤ هجاء رجل من بني تميم للمهلب
- ١٠٦ معنى الضمار وأصل كلمة كائن
- ١٠٧ يوم على وسليرى
- ١١١ كتاب المهلب إلى الوالي الحارث بن عبد الله وجواب الوالي عليه
- ١١١ مبايعة الحوارج الزبير بن علي
- ١١٤ تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه المهلب
- ١١٥ تولية عمر بن عبيد الله مكان المهلب بقتال الحوارج
- ١٢٠ حصار الحوارج لعتاب بن ورقاء وانتصاره عليهم
- ١٢٣ مبايعة الحوارج قطري بن الفجاءة بعد مقتل الزبير بن علي
- ١٢٤ كتاب عبد الملك إلى المهلب يوليه
- ١٢٥ عزل خالد بن عبيد الله المهلب ومحاربتة الحوارج في الأهواز
- ١٢٦ مأثر فيروز حصين
- ١٢٧ تولية خالد أخاه عبد العزيز. قتال الأزارقة
- ١٣٢ كتاب خالد إلى عبد الملك يعذر أخيه عبد العزيز وجواب عبد الملك عليه
- ١٣٣ تولية بشر بن مروان مكان خالد بن عبيد الله
- ١٣٣ كتاب الخليفة إلى أخيه بشر يأمره بتولية المهلب. قتال الأزارقة وكره بشر لذلك
- ١٣٤ تأكيد الخليفة تولية المهلب قتال الحوارج
- ١٣٥ موت بشر واختلاف الكلمة على ابن مخنف

- ١٣٦ تولية الحجاج أمر العراق
- ١٣٧ رسائل الحجاج الى المهلب وردوده عليها
- ١٤١ توجيه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب
- ١٤٤ إرسال الحجاج الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطنه
- ١٤٥ كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي
- ١٤٦ وقوع الخلاف بين عتاب والمهلب بسبب أرزاق الجند وسعي المغيرة بينها بالصلح
- ١٤٧ دعاء المهلب وقوة حيلته في ايقاع الخلاف بين الخوارج
- ١٥٠ كتاب الحجاج يستحث المهلب
- ١٥٢ كتاب المهلب إلى الحجاج
- ١٥٨ ما قاله عبد ربه لأصحابه عند اشتداد الحصار
- ١٦٢ رسولا المهلب الى الحجاج
- ١٦٣ كتاب المهلب إلى الحجاج بالنصر ورد الحجاج عليه
- ١٦٣ تولية المهلب ابنه يزيد على كرمان و قدومه على الحجاج
- ١٦٤ الحجاج يكرم المهلب ويثني عليه
- ١٦٦ الحجاج يطلب من المهلب أن يصف له بلاء اصحابه
- ١٦٦ قول يزيد بن جنادة من الازارقة وتفسير ماورد في ذلك من الغريب
- ١٦٩ قول المغيرة بن جنادة الحنظلي من أصحاب المهلب يمدحه
- ١٧١ الفهرس